

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190442

UNIVERSAL
LIBRARY



عَلَّمَ الدِّينَ

لحضرة العالم الفاضل صاحب السعادة

علي باشا مبارك

ناظر الاشغال العمومية المصرية

الجزء الرابع

طبع في مطبعة جريدة المحروسة بالاسكندرية

١٢٩٩

سنة

١٨٨٢



بسم الله الرحمن الرحيم



المسامرة السابعة والتسعون

الجمعية المشرقية

ثم ان الخوجا فتح الصندوق واطلع على ما فيه ثم اقبله وقال
لابن الشيخ وعدتك بنظارة ونحن بالمركب فها هي فخذها
واحفظها وهي نفسك فانك متوجه معنا فاخذها ووضعها في غرفته
وغير ثيابه ورجع وكانت العربية حاضرة فركبوا جميعا الى المدرسة
المشرقية ليلقي الشيخ فيها درسا فساروا قليلا فوجدوا رئيس الجمعية
على بابها فتلقاهم وحياهم. واخذ بيد الشيخ بغاية ما يليق من التعظيم
والوقار وما ينبغي من الاحترام والاعتبار وكان على الشيخ يومئذ
حلة مصرية مما يلبسه العلماء فشخصت العيون اليه وكان لا يمر

باحد الا قام له ونظر اليه وتامله وما زال ذلك الرئيس آخذاً
 بيد الشيخ الى ان ادخله محل الدرس فوجد به جمعا لا يشق له
 غبار وجميع الطلبة في الانتظار فلما قدم عليهم قاموا جميعا تعظيما
 له واجلالا وتلقوه بما يليق بمثله فشق الشيخ صف الحلقة ودخل معه
 الرئيس والخوaja وابنه حتى اجلسوه على كرسي قد هين له في وسط
 الحلقة فكان الشيخ وحده ، فقاما على منبر الخاضعين فاطرق راسه
 مليا خاشعا لله تعالى ولما جلس الجميع واستقر كل في مكانه افتتح
 الشيخ الدرس فقال بعد التعوذ والبسملة نسبحك اللهم على ما اوليتنا
 من النعم التي لا نعد والممن التي لا تحصى خلقت الارض والسموات
 واسكنت فيها انواع المخلوقات الفرد انهم لا شريك لك في الملك
 يا مدبر الفلك ومجري الفلك انت الاول الاخر الباطن الظاهر
 فاليك المرجع والمستند وعليك التوكل والمعتد اللهم وقفنا لما
 يرضيك يا رحيم واهدنا الصراط المستقيم اما بعد فقد سألني حضرة
 الرئيس المعظم والاستاذ المقيم ان اشرح بعض مسائل علمية وفنون
 ازهرية عقلية ونقلية فلم تسعني حاشيتي بل وجبت علي طاعته
 ومحالته مع اني اعلم من نفسي المستحسن الخوض في هذا المشرع
 وعدم القدرة على ان احوم حول هذا المرتج فارجوكم ايها السادة
 الاساتذة والاحبار الجهابذة ان تذكروا الشريف عن المنفوات ونصفوا
 عما يقع من الزلات فان من الواضح الذي عن البيان ان الانسان
 محل النسيان كما قيل

وما سي الاسان الانسيه

ولا القلب الا انه يتقلب

واسئل الجميع ان ينظروا الى الفقير بعين الرضى والقبول
في كل ما يفعل او يتزل وتد ثيل

وعين الرضى عن كل عيب كليله

كما ان عين السخط تبدي المساويا

والله تعالى يوفىكم وياكم الى اقوم طريق ويهدينا معالم التحقيق
بجاه سيدنا محمد خير الانام عليه وعلى سائر الانبياء افضل الصلاة
والسلام ثم قال اعلموا ان الله تعالى لما خلق الانسان علمه البيان
فخلق آدم وعلمه الاسماء كلها وكان يتكلم بالسريانية فالسريانية هي
اول اللغات ثم نوع اللغات الى انواع فجعل افصحها وافضلها اللغة
العربية فزيد التكلم في طرف ما يتعلق بها فنقول ان اول من
تكلم باللغة العربية نبي الله اسماعيل بن نبي الله ابراهيم الخليل عليهما
السلام ثم ما زالت تسع جيلا بعد جيل الى ان صارت لا يحيط
بها من ائمة اللغة الا القليل وقد طلبتم مني لحسن ظنكم في ان املي
عليكم منها بعض دروس تكون لغياهب غوامضها كالشموس فما
وجدت اقرب من الدواوين التي تشمل على ما كانت تستعمله
العرب في تغزلاتهم وما كانوا يتولونه في حلولهم وتنقلاتهم ورأيت من
احسن ما صنف في هذا المعنى ديوان حامل لواء الشعراء وامام كل
شاعر فوق الخبراء وهو امر القيس المشهور الذي ورد فيه الاثر

المأثور واسمه جندح بن حجر بن عمرو وجندح بضم أوه وثالثه
وسكون ثانيه على وزن قنغد ومعناه في الاصل رملة طيبة تنبت
الوانا وامه فاطمة بنت ربيعة اخت كليب ومهلل وامرء القيس لقبه
وكنيته ابو وهب وابو الحارث ويلقب ايضا بذي القروح لقوله في
بعض قصائده

وبدلت فرحا داميا بعد صحة

لعل منا يانا تحولن ابؤسا

ويلقب ايضا بالذائد لقوله في بعض قصائده

(اذود القوافي عني زيادا)

ومعنى امرء القيس في الاصل رجل الشدة لان القيس في
اللغة الشدة وقيل ان القيس كان اسما لصنم فنسب اليه ولهذا كان
الاصمعي يكره ان يروي قوله الاثني

عقرت بعيري يا امرء القيس فانزل

فكان يقول يا امرء الله وكان ابوه حجر طرده في صغره من
اجل عذرة التي كان يتشبه بها فلما طرده صار يتقلب في اجاء
العرب ويتنبح صعا ليكم وهم اللصوص وكان ابوه ملكا على بني
اسد فعسفهم عسفا شديدا فتالوا على قتله فقتلوه فلما بلغه قتل
ابيه وكان يشرب الخمر قال اليوم خمر وغدا امر ضيعني صغيرا
وحملني ثقل الثار كبيرا وقام في اخذ ثار ابيه في خبر طويل سنتكم
عليه اذا دعا الحال اليه وما زال في طلب ثار ابيه الى ان وصل

انقرة قطعن في ابطه فتزل هناك بجانب جبل يقال له عسيب
وتفرق عنه اصحابه وكان بجانب الجبل قبر لبعض بنات الملوك
وفيهما يقول

اجارتنا ان الخطوب تنوبُ * واني مقبم ما اقام عسيبُ
اجارتنا انا غريبان ههنا * وكل غريب للغريب نسيبُ
فان تصليني تسعدي بمودتي * وان تقطعيني فالغريب غريبُ
فلما مات دفن بجانبها وكان اخر ما تكلم به (رب طعنة
شعنجة وخطبة مستحضرة وجفنة مدعثة وقصيدة محبرة تبقى غداً
باتقرة (الشعنجة) في الاصل الجفنة التي يسيل ودكها فشبه الطعنة
بالجفنة التي يسيل منها الودك وهو الدهن والجفنة القصعة الصغيرة
والمدعثة المكسورة والمحبرة المحسنة وانقرة بفتح الهمزة وسكون النون
وكسر القاف معرب انكوريه وهي عمودية التي مات بها امرؤ
القيس ثم شرع يلقي عليهم من حفظه ويتألق في تعبيره ولنظمه
ويجمل ويوضح ويكني ويصرح ويطنب فلا يمل ويوجز فلا يخل
وكان من جملة ما القاه عليهم عند الكلام على قول امرئ
القيس

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

بسقط اللوا بين الدخول فحومل

ان قال ان الالف في قفا يحومل ان تكون للتثنية لان
العادة ان اعوان الرجل في الغالب اثنان راى ابله وراى غنمه

وكذلك الرفقة ادنى ما تكون ثلاثة ويحتمل ان يكون الخطاب
لواحد وانما جرى خطاب الاثنين على الواحد لمرور الستم عليه
كقوله

فان تزجراني يا ابن عفان ازجر

وان ترعياني احم عرضا منعا
وان تكون مبدلة من نون التوكيد والاصل قفن فابدها
ألفا في الوصل قياسا على ابدالها في الوقف ويحتمل ان المراد تكرير
الامر مرتين والاصل قف قف فالحق الالف اماره دالة على ان
المراد ذلك كما قالوه في قوله تعالى حكاية عن اهل النار قال رب
ارجعون ان المراد منه ارجعني ارجعني ارجعني ثلاثا فجعلت الواو
علامة مشعرة بان المعنى تكرير الفعل مراراً والدخول بفتح الدال
اسم مكان وهو مفرد ولفظ بين يقتضي الاشتراك فلا يدخل الا على
مثنى او مجموع كقولك المال بينهما والدار بين الاخوة وكقوله
شوقي اليك نفى لديك هجوي

فارقني فاقام بين ضلوعي

فان وقع بعدها مفرد فلا بد من العطف عليه بحرف مشرك
وهو الواو نحو المال بين زيد وعمرو وقد وقع بعدها هنا مفرد وهو
الدخول وعطف عليه بالفاء ثم اجاب بان الدخول اسم واقع
على عدة امكنة فهي وان دخلت على مفرد لفظا فهي داخلة على
متعدد معنى فلذلك عطف عليه بالفاء الموضوعة للتعقيب لا

للاشتراك فقال له بعض من بالمجلس اذا شرطنا في لفظة بين ان لا تدخل الاعلى متعدد فما تصنع في قول القرآن في صفة المنافقين مذبذبين بين ذلك فان لفظ ذا لا يشار به الا الى مفرد فقال له الشيخ لو دقت النظر لوجدت الجواب واضحاً وذلك ان اسم الاشارة وان كان مفرداً لفظاً لكنه متعدد معنى لانه ادى تأدية شيئين وناب مناب لفظين وقد كشف سبحانه هذا التأويل بقوله بعد لا الى هواء ولا الى هواء وكان تقدير الكلام في الآية بين ذينك الفريقين ونظيره لفظة احد في قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله فان هذه اللفظة وان كانت مفردة الا انها تستغرق الجنس الواقع على المفرد والمتنوع والجمع ومما يدل على ان اسم الاشارة هنا نائب عن شيئين نيابته في باب ظن عن المفعولين نحو ظننت ذلك فتلخص من هذا ان بين لا يقع بعدها الا متعدد او ما يوذي تأدية المتعدد فقال له اخر اذا كان كذلك فحيثئذ لا يصح ان يقال المال بين زيد وبين عمرو

فقال الشيخ وهو كذلك بل الصواب في مثله حذف بين الثانية كقوله تعالى يخرج من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين

فقال ذلك السائل فما تقول في قوله تعالى حكاية عن قول فرعون لموسى فاجعل بيننا وبينك موعداً لا نخلفه فان بين الثانية مضافة لضمير المخاطب وهو مفرد وقول موسى لشعيب ذلك بيني

وبينك ايما الاجلين قضيت فلا عدوان عليّ وقوله هذا فراق بيني
وبينك فان بين في الموضعين مضافة لمفرد الاول ضمير المتكلم والثاني
ضمير المخاطب فلم جاز ذلك ولم يجزان يقال المال بين زيد وبين
اخيه فقال الفرق بين الموضعين ان المعطوف في الايات قد عطف
على المضمحل المجرور وقد شرط جمهور النحويين في العطف عليه
تكرير الجار فيقولون مررت بك وبزيد ولا يميزون مررت بك
وزيد ولهذا الحنوا من جر الارحام في قوله تعالى واتقوا الله الذي
تسألون به والارحام عطفاً على الضمير المجرور حتى قال بعضهم
لو اني صليت خلف امام فقرأ بها لقطعت صلاتي وبعضهم وجه
المجر بان الواو للقسم فيكون الباري سبحانه قد اقسم بالارحام تنويهاً
بفضلها وتنبيهاً على تاكد حقها ووجوب رعايتها ثم سمع الشيخ رجلاً
من وسط الحلقة يقول

وبينا المرء في الاحياء مغتبط

اذ صار في الرمس تعفوه الاعاصيرُ

كانه يعرض بالاعتراض على الشيخ في اشتراطه في لفظ بين
ان تضاف الى متعدد

فقال الشيخ ليس ببدع ان يتغير حكم كلمة بتغيير ما تضم اليه
لان التركيب يزيل الاشياء عن اصولها ويحيلها عن اوضاعها ألا
تري ان ربّ الحجارة لا يليها الا الاسم كقولك ربّ اخ لم تلده امك
فاذا اتصلت بها ما غيرت حكمها ووليها الفعل كقوله تعالى ربما

يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وكذلك لم المجازمة فانها حرف
 فاذا زيد عليها ما وهي حرف ايضاً صارت اسماً في بعض المواطن
 بمعنى حين ونظير ذلك في الافعال قلّ وطال فانها فعلان لا
 يستغنيان عن الفاعل كما هو حكم جميع الافعال فان كلب فعل
 لا بد له من فاعل فلا يلي الافعال الا الاسماء لفظاً او تقديرًا
 وهذان الفعلان لما دخلت عليهما ما الزائدة وتركبت معها استغنيا
 عن الفاعل وجازان يليهما الفعل نحو قولك طال ما زرتك وقلّ
 ما هجرتك وكذلك لم اشياء تختلف اسماءها باختلاف اوصافها فانهم
 لا يقولون للقدح كأس الا اذا كان فيه شراب ولا للبئر ركية الا
 اذا كان فيها ماء ولا للدلو سحبل الا اذا كان فيه ماء ولو قل ولا
 يقال له ذنوب الا اذا كان ملأنا ولا يقال للبستان حديقة الا اذا
 كان عليه حائط ولا للاناء كوز الا اذا كانت عليه عروة ولا
 فهو كوب ولا للعجاس ناد الا وفيه اهله ولا للمرأة ظعينة الا وهي
 في الهودج ولا للسرخدر الا اذا اشتمل على امرأة ولا للقدح سهم
 الا اذا كان فيه نصل وریش ولا للسرب نفق الا اذا كان نافذاً
 ولا للخيط سمط الا اذا كان فيه نظم ولا لماء الفم رضاب الا ما
 دام في الفم ولا لما يتخذ لتقديم الطعام عليه مائدة الا اذا كان عليه
 الطعام والا فهو خوان ومثل ذلك كثير في كلامهم وهذا من اسرار
 اللغة العربية التي لم يطلع عليها الا من تتبع مواقع استعمالهم وتضلع
 من موارد كلامهم

ثم قال له آخر لماذا لقبوا امرء القيس بذي الفروع وبالذائد
مع ان له كلاماً كثيراً غيرها

فقال الشيخ لا بدع في ذلك فان الإنسان قد ينسب الى ما
اخترعه وقد ينسب الشاعر نفسه الى بعض كلامه ومن ذلك قول
دعبل الخزاعي انا ابن قولي

لا تعجبي يا سلم من رجل * لعب المشيب برأسه فبكى

وقول ابي تميم انا ابن قولي

نقل فوادك حيث شئت من الهوى

ما الحب الا للحبيب الاول

كم منزل في الارض يألفه الفتى

وحينه ابداً لاول منزل

وقول محمد بن وهيب انا ابن قولي

ما لمن تمت محاسنه * ان يعادي طرف من رمقا

لك ان تبدي لنا حسنا * ولنا ان نعمل المحدفا

فقال له اخرو كان له اطلاع على دواوين الشعراء اظن ان

دعبلا سرق معنى بيته السابق يعني قوله لا تعجبي الخ من قول مسلم

بن الوليد

مستعبر يبكى على دمنة * ورأسه يضحك منه المشيب

فقال له الشيخ نعم الا ان دعبلا جاء به اجود فصار احق به

منه وقد تفتن الشعراء من بعده في نظم هذا المعنى فمنه قول بعضهم

تبسم الشيب بذقن الفتى * يوجب سح الدمع من جفنه
 حسب الفتى بعد الصبا ذلة * ان يضحك الشيب على ذقنه
 ولما علم الشيخ ان لم يفن البديع بعض المام قال وفي هذه
 الابيات عند علماء البديع من الجناس ايهام التضاد وهو الجمع بين
 معنيين غير متقابلين بلفظين يوهان ذلك وذلك لان المراد من
 ضحك المشيب وتبسمه ظهوره وهو بهذا المعنى لا يقابل البكاء ولا
 سح الدمع وانما يقابله بلفظه فلذلك سي بايهام التضاد وكلما كثر
 عدد المتقابلات كان الكلام ابلغ فقد تكون المقابلة بين شيئين
 كالابيات المتقدمة وقد تكون بين ثلاثة كقوله

ما احسن الدين والدنيا اذا اجتمعا
 واقبح الكفر والافلاس بالرجل

وكقوله

فلا الجود يفني المال والمجد مقبل
 ولا النخل يبيد المال والمجد مدمر
 وقد تكون بين اربعة كقوله
 قابلتهم بالرضى والبشر منشرحا

ولو غضاها فيا حزني لغيظهم
 وقد تكون بين خمسة وخمسة كقوله
 ازورهم وسواد الليل يشفع لي
 واثني وبياض الصبح يغري بي

وكقوله

راحت تحب دجى شباب مظلّم

وغدت تعاف ضعى مشيب نير

وقد تكون بين ستة وستة كقوله

على رأس عبد تاج عز يزينه

وفي رجل حر قيد ذل يشينه

فقال له بعض القوم نسمع ان هذه القصيدة وهي قفا

نبك الخ يقال لها احدى المعلقات السبع فما المعلقات وما سبب

تسميتها بذلك

فقال الشيخ كانت العرب في الجاهلية يقول الرجل منهم الشعر

في اقصى الارض فلا يعبا به ولا ينشده احد حتى يأتي به مكة

فيعرضه على اندية قريش فان استحسنوه روي عنه وكان فخراً لقائمه

وان لم يستحسنوه طرح ولم يعبا به فكانت العرب في الجاهلية تجتمع

في كل عام بمكة وتعرض اشعارها على هذا الحى من قريش واول

شعر علق على الكعبة شعرا مرى القيس هذا فعلقه على ركن من

اركانها ايام الموسم حتى نظر اليه اهل الموسم فتبعه الشعراء وعلقوا

قصائدهم من بعده ولما كانت ايام بني امية اختار بعض امراءهم

منها سبعة فسميت المعلقات السبع فهذه احداها وهي من البحر

الطويل وعدتها ثمانون بيتا الابيتا والثانية لطرفة ابن العبد وهي

من الطويل ايضا ومطلعها

رَبِّهِ اِطْلَالٌ بِبِرْقَةٍ ثَمَدٍ تَلُوحُ كَبَاقِي الْوَشْمِ فِي ظَاهِرِ الْإِدْرِ
وَقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلِيٌّ مَطِيمٌ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجْلِدُ
وَهِيَ مَائَةٌ بَيْتَ وَبَيْتَانِ

وَالثَّلَاثَةُ لَزْهَيْرِ بْنِ أَبِي سُلَيْمٍ الْمَزْنِيِّ وَهِيَ مِنَ الطَّوِيلِ وَمُطْلَعُهَا
أَمْنٌ أَمْ أَوْفَى دِمْنَةٍ لَمْ تَكْمَلْ بِحُجُومَانَةِ الدَّرَاجِ فَلَمْتَلَمْ
وَدَارَ لَهَا بِالرَّقَّتَيْنِ كَانَهَا مَرَا جِيعَ وَشَمِّ فِي نَوَاشِرِ مَعْصَمٍ
وَهِيَ اثْنَانِ وَسِتُونَ بَيْتًا

وَالرَّابِعَةُ لِلْبَيْدِ ابْنِ رَبِيعَةَ الْعَامِرِيِّ مِنَ الْكَامِلِ وَمُطْلَعُهَا
عَفَتْ الدِّيَارُ مَحَلَّهَا فَمَقَامُهَا بَنَى تَأْبَدَ غَوْلُهَا فَرَجَامُهَا
فَمِدَافِعُ الرِّيَافِ عَرَى سَهْمُهَا خَلَقْنَا كَمَا ضَمَّنَ الْوَحْيُ سَلَامُهَا
وَهِيَ سَبْعَةٌ وَثَمَانُونَ بَيْتًا

وَالْخَامِسَةُ لِعَمْرُو بْنِ كَلْثُومٍ مِنَ الْوَافِرِ وَمُطْلَعُهَا
أَلَا هَبِي بِصَحْنِكَ فَاصْبِحِينَا وَلَا تَبْقِي خَمُورَ الْإِنْدَرِينَا
مَشْعُشَعَةً كَأَنَّ الْحَمَصَ فِيهَا إِذَا مَا الْمَاءُ خَالَطَهَا سَخِينَا
وَهِيَ مَائَةٌ بَيْتَ وَوَاحِدَ

وَالسَّادِسَةُ لِعَنْتَرَةَ بْنِ شَدَادٍ مِنَ الْكَامِلِ وَمُطْلَعُهَا
هَلْ عَادَرِ الشَّعْرَاءُ مِنْ مَتَرْدِمٍ أَمْ هَلْ عَرَفَتْ الدَّارُ بَعْدَ تَوْهَمٍ
يَا دَارَ عِبْلَةٍ بِالْجَوَاءِ تَكَلِّبُ وَعِي صَبَاحًا دَارَ عِبْلَةٍ وَاسْلِي
وَهِيَ خَمْسَةٌ وَسَبْعُونَ بَيْتًا

وَالسَّابِعَةُ لِلْحَارِثِ بْنِ حَلْزَةِ الْيَشْكِرِيِّ مِنَ الْخَفِيفِ وَمُطْلَعُهَا

اذتتنا بينهما اسماء رب ثاور يمل منه الثواء
 بعد عهد لنا ببرقة شماء فادنى ديارها الخلاء
 وهي ثمانون بيتاً

وكان سبب انشاء امرى القيس لقصيدته هذه انه كان
 يعشق عذبة ابنة شرحبيل وكان لا يحظى بلقاءها ووصالها فانتظر
 ظعن الحى ونخلف عن الرجال حتى اذا ظعننت النساء فسبقهن
 الى الغدير المسى دارة جملج واستخفى هناك اذ علم انهن اذا
 وردن هذا الماء اغتسلن فيه فلما وردت عذبة والعذارى
 اللواتي كنّ معها ونضون ثيابهن وشرعن في الماء ظهر امرى
 القيس وجع ثيابهن وجلس عليها فلما رأته اكبرن هذا الامر
 وشق ذلك عليهن وناشدنه ان يخلي سبيلهن فحلف ان لا يدفع
 اليهن ثيابهن الا بعد ان يخرجن اليه عواري فخاصنه زماناً طويلاً
 من النهار فأبى الا ابرار قسمه فخرجت اليه اوقهن فرمى بثيابها اليها
 ثم تنابعن حتى بقيت عذبة واقسمت عليه فقال لها يا ابنة الكرام
 لا بد لك من ان تفعلين مثل ما فعلن فخرجت اليه فراها مقبلة
 ومديرة فلما لبسن ثيابهن اخذن في عذله وقلن له قد جوعتنا
 واخرتنا عن الحى فقال لهن لو عقرت راحلتي لكنّ أناكلن فقلن نعم
 فعقر راحلته ونجزها وجمعت الاماء الحطب وجعلن يشوين اللحم
 وياكلن الى ان شبعن وكان معه ركوة خمر فسقاهن منها فلما
 ارتحلن اقتسمن امتعته فبقي هو فقال لعذبة يا ابنة الكرام لا بد لك

من ان تحمليني والحت عليها صواحبيها ان تحمله على مقدم هودجها
فحملته فجعل يدخل رأسه في الهودج ويقبلها وهو يشير الى ذلك
كله في قصيدته ومع علو منزلة امرئ القيس في البلاغة
وشهادة الاولين والآخرين له بذلك فهو قائد الشعراء الى النار
يوم القيامة لان ابامرة اغراه على قبائح صارت سنة عنه وصار قدوة
فيها وان كان من اهل الفترة وقد قال الله تعالى وما كنا معذبين
حتى نبعث رسولا فتعذبه من بين اهل الفترة لحكم يعلمها
الباري سبحانه

واستمر الشيخ يتفهم بلمحه الى ان جاء الوقت المقدر للقيام
وكاد من كثرة ما التى عليهم ان يخرج عن المقام وقد بهرت عقولهم
جلالته وملأت قلوبهم مهابته لرقعة تعبيره ودقة تقريره واتساع فهمه
وغزارة علمه فلما ختم الدرس وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم
قام اليه صاحبه الانكليزي ورئيس الجمعية ونائبه ووضعوا ايديهم
في يديه ومشوا ومعظم اهل المجلس حافون به الى ان وصلوا محلا
قد اعد للاستراحة فحصولوا الشيخ بصدر المجلس وكان قد بقي في
نفس بعض الطلبة بعض مسائل هاب ان يسأل عنها في اثناء
الدرس فلما شربوا القهوة قال قد ذكرت لنا ايها الاستاذ ان
العرب كانوا في ابتداء امرهم لا يلتفت الى نظمهم ونثرهم الا بعد
شهادة قريش لهم فمن قريش وما قدر ما حازوه من فنون
الادب حتى اذعن لهم جميع العرب

فقال الشيخ قد سألت عن علاصيتهم وشاع وانتشر فخرهم
 في البقاع خلاصة ولد قحطان وصفوة سلالة عدنان ومن بلسانهم
 نزل القرآن قوم كانت البلاغة شعارهم والفصاحة دثارهم
 حازوا الفضائل تفصيلاً وجملاً واحسبوها نهلاً وعلاً قوم قد
 تباعدوا عن عننة تميم وتلتله بهراً وكشكشة ربعة وكسكسة بكر
 وططمانية حمير وغنمة قضاة فقال ما ذاك ايها الحبر لقد زدني
 تشوقاً لبيانك وتطلعاً لتبيانك

فقال اما عننة تميم فانهم يبدلون من الهمة عيناً ومنه قوله
 اعن توسمت من خرقاء منزلة

ماء الصبابة من عينيك مسجوم

يريد ائن توسمت

واما كشكشة ربعة فانهم يبدلون كاف المخاطبة شيئاً فيقولون
 ما بش وما لش يريدون ما بك وما لك ومن ذلك قوله
 فعيناش عيناها وجيدش جيدها

ولكن عظم الساق منش دقيق

ومنهم من يقلب الباء ميماً والميم باء اذا كانا في اول الاسم
 فيقولون في نحو بكر وبكر ومكر ومدر وفي نحو مسجد
 ومعبد بسمجد وبعبد ومن ذلك ما يحكى عن ابي عثمان المازني
 وكان يتكلم بلك اللغة قال دخلت على الواثق فقال لي ممن
 الرجل فقلت من مازن فقال من اي الموازن مازن تميم ام قيس ام ربعة

فقلت له من مازن ربيعة فكلمني بلغة قومي وقال لي بسمك وكان اسم السبيح بكر قال فكرهت ان اجيبه بلغة قومي كراهة ان اواجهه بالمكر فقلت له بكر يا امير المؤمنين ففطن لما قصدته وكان من الفطنة بمكان ومن فطنته ما حكى انه كان بحضرتة جاريد تغنيته

قول القائل

أظلم ان مصابكم رجلا اهدى السلام تحية ظلم
فاختلف من بالحضرة في رجل فمنهم من نصبه على انه
اسم ان ومنهم من رفعه على انه خبرها والجارية مصرة على ان شيخها
ابا عثمان المازني لقنها اياه بالنصب فسأله عنه فقال الوجه النصب
فقال ولم ذلك فقال لان مصابكم مصدر بمعنى اصابتكم فعارضه
بعض من بالمجلس فقال له المازني هو بمنى لة قولك ان ضربك زيدا
ظلم فرحلا مفعول مصابكم والدليل عليه ان الكلام معلق الى ان
تقول ظلم فتم الكلام فاستحسن الواثق الجواب وامر المازني بالف
دنار واما كسكسة بكر فانهم يزيدون على كاف المرأة سينا عند
الوقف ليبينوا حركة الكاف فيقولون للمرأة مررت بكس واكرمتكس
واما غمجمة قضاة فصوت لا يفهم تقطيع حروفه

واما طمطمانية حمير فهي ما في لغتهم من الكلمات المستكبرة
فمنهم من يجعل اداة التعريف ام بابدال اللام ميا فيقولون طاب
ام شراب يريدون طاب الشراب ومنه ماروي عن النبي صلى الله
عليه وسلم لما سأل سائل وكان حميريا امن امرا مصيام في ام

سفر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم وكان يكلم كل قوم بلغتهم
ليس من امبرامصيام في امسفر واما ثلثة بهراء فانهم يكسرون حرف
المضارعة فيقولون انت تعلم بكسر التاء ونحن نعلم بكسر النون وهو
يعلم بكسر الياء

ثم قام في المجلس سائل فقال للشيخ ولم سميت قريش قريشاً
فقال له لان القرش في اللغة يطلت على دابة من دواب البحر تغلب
ولا تغلب فسمي احد اجدادهم قريشاً تشبيهاً بتلك الدابة وكل من
كان ينتهي نسبه اليه يسمى قريشاً

وقد اختلف المؤرخون في ذلك الجدل الذي لقب بقريش
ف قيل هو فهر بن مالك بن النضر وقيل هو النضر بن كنانة كما
قال صاحب السيرة

اما قريش فالاصح فهر جماعها والاكثر النضر
فقال السائل وحيث كان هذا الجدل عظيماً فلم يصغر اسمه فقال
الشيخ تصغيره ليس للتحقير بل للتعظيم على حد قول القائل
ما قلت حبيبي من التحقير

بل يعظم اسم الشيء بالتصغير

فقال السائل وهل ورد عن العرب التصغير لغير التحقير قال
نعم من سنن العرب تصغير الشيء اما لتحقيره كقولهم في رجل
رجل وفي دار ديرة واما لتكبيره وتهويله كقول لبيد

وكل اناس سوف تدخل بينهم

دويبة تصفر منها الانامل

واما لتقيصه كما يقال لم يبق من بيت المال الا دُنَيْرَاتُ واما

لتقريبه كقول امرئ القيس يصف فرسه بطول الذيل

وانت اذا استدبرته سدّ فرجه

بضافٍ فوق الارض ليس باعزل

اي بذيل طويل فضاف صفة لموصوف محذوف وكقولك ازورك

بعيد العيد وجاءني فلان قبيل الظهر لان التصغير في الظروف

بمعنى التقريب

واما لآكرامه والشفقة عليه كقولك يا بنيّ ويا اخيّ وكقول

لثمان لانه وهو يعظه يا بنيّ لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم

واما لتشريفه وتعظيمه كما هنا وكفى اولئك القوم شرقا على

سائر الانام قول نبينا عليه الصلاة والسلام ان الله اصطفى كنانة

من ولد اسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفاني من قريش فانا

خيار من خيار من خيار فقال له كيف يحفظ نسبهم الى اسماعيل

وقد مضى له من الزمن اجيال فقال له ان العرب عموماً من عاداتهم

المحافظة على انسابهم فكيف نسب من كان منهم سيد العالمين

وصفوة الله من المخلق اجمعين فهو محمد ابن عبد الله بن عبد

المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن

كعب بن لؤي بن غالب بن فهر ابن مالك بن النضر بن كنانة

بن خزيمة بن مدركة بن الياس ابن مضر بن نزار بن معد بن
عدنان بن إد بن أد بن اليسع بن الهميسع بن سلامان بن نبت
بن حم بن قينار ابن اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليها السلام لكن
النسب الصحيح تفصيلاً ينتهي الى عدنان وهو المجد المتم عشرين
وما زاد على ذلك الى اسماعيل فلم يرد فيه حديث صحيح وقد جمع
بعضهم اباؤه صلى الله عليه وسلم في بيتين من الشعر على طريق
الرمز الى كل اب باول حرف من حروف كلماتها وهما
علقت شفيحاً هال عتلي قرانه

كتاب مبين كسب لي غرائب

فدى معشر نفسي كرام خبيرة مدا الفهم مذنبيل مجد عواقبه
فالعين في علت اشارته الى ابيه عبدالله والشين في شفيحاً
اشارته الى جده سببة الحمد وهو عبد المطالب والهاء في هال اشارته
لهاشم وهكذا

وكان من عادة الشيخ اذا فتح له باب في الكلام يطنب فيه
ولا يخرج منه حتى يستوفيه فلذلك قال وكان اسماعيل حين
اسكه ابراهيم بمكة كما هو مذكور في القرآن وجد بها قبائل من
جرهم بن قحطان وهم العرب العاربة فلما كبر اسماعيل تزوج منهم
امراً فولد له منها اتني عشر ولداً ذكراً فقيلاً لهم ولذريتهم العرب
المستعربة وانما قيل لهم ذلك لان لغة اسماعيل كانت عبرانية فلما
تزوج من جرهم تكلم بالعربية فمعنى المستعربة اي المكتسبة للعربية

بخلاف العاربة فبعناه المتأصلة في العربية وكان قبل جرم بن قحطان عرب يقال لهم طسم وجديس وكانت مساكنهم باليامة من جزيرة العرب ولكنهم اتقروا عن اخرهم ولم يبق لهم اثر ولم ينقل عنهم بعد ذلك خبر وذلك ان الملك كان في طسم فاستمروا على ذلك مدة من الزمن حتى انتقل الملك الى رجل منهم غشوم ظلوم جعل سنته ان لا تزف عروس بكر من جديس الى بعلمها حتى يدخل هو عليها فأنفت جديس من ذلك ودبروا في قتله ودفنوا سيوفهم في الرمل وعملوا له ولخواصه طعاما دعوه اليه فلما حضر في خواصه من طسم عمدت جديس الى سيوفهم فقتلوا الملك ومن لحقوه من خواصه فهرب رجل من طسم الى تبع ملك اليمن وشكا اليه ما فعلته جديس بملكهم واستنصر به فزار ملك اليمن الى جديس ووقع بهم حتى افناهم عن اخرهم فلم يبق لاطسم ولا لجديس بعد ذلك ذكر فلذلك سميت العرب البائدة ولذلك جعل المؤرخون العرب ثلاثة اقسام بائدة وعاربة ومستعربة فالبائدة هم العرب الاول الذين ذهب عنا تفاصيل اخبارهم لتقدم عهدهم وهم عاد وثمود وجرهم الاولى وكانت على عهد عاد

فلما اظنبت الشيخ في وصف العرب ونسبتهم وتفضيل عنصرهم ولغتهم قال له بعضهم ايها الاستاذ قد اجمع اهل الملل واصحاب النحل من المتأخرين والمتقدمين على ان القران عربي مع اننا نجد

فيه الفاظ منها ما هو فارسي وما هو سرياني وما هو عبراني وما هو باللغة الحبشية وما هو بالعجمية كالارائك في قوله تعالى على الارائك ينظرون فانها حبشية ومعناها السرور وكالجبث فانه اسم للشيطان او الساحر وهي حبشية ايضاً ومعناها بها كذلك وكالدري فان معناه المضي وهي حبشية ايضاً ومعناها بها كذلك وكالاباريق فانها فارسية ومعناها طريق الماء او صبه على هيئة ونحو سراق فانها سريانية ايضاً واصلها سرادر ومعناها الدهليز او سرا برده ومعناها ستر الدار ونحو حصب في قوله تعالى للكفار انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم فانها زخمية ومعناها حطب ونحو سري في قوله تعالى لمريم قد جعل ربك تخك سرياً فانها زخمية ومعناها النهر ونحو غساق فانها تركية بل طمارية ومعناها البارد الممتن ونحو الفوم فانها عبرية ومعناها الخنطة ونحو القسطاس فانها رومية ومعناها الميزان او العدل ونحو اليم في قوله تعالى لام موسى فاذا خفت عليه فالتقيه في اليم فانه سرياني ومعناه البحر وهكذا فاما من لغة الا ونجد منها في القرآن الباطلاً

فقال الشيخ لا يخفى ان لغة العرب متسعة جداً حتى قال بعض ائمتنا انه لا يحيط بها الا نبي ومع ذلك فلا مانع من وجود بعض كلمات في القرآن بغير لغة العرب وقد ورد في الخبر الصحيح ان في القرآن من كل لسان على انها الفاظ محصورة يمكن عدها وهذا لا يخرج القرآن عن كونه عربياً فان وجود كلمات

يسيرة غير عربية في خلال كلام عربي لا يخرج عن كونه عربياً
ألا ترى ان القصيدة او الرسالة الفارسية مثلاً لا تخرج عن كونها
فارسية بوجود لفظ او بعض الفاظ فيها غير فارسية ولعل حكمة
وقوع مثل هذه الكلمات في القرآن وان كان كل كتاب انما
نزل بلغة القوم الذين انزل عليهم انه حوى علوم الاولين
والآخرين ونبأ كل شيء ومن لازم ذلك ان يكون فيه الاشارة
الى انواع اللغات والالسنه لتتم احاطته بكل شيء وايضا فان
النبي صلى الله عليه وسلم مرسل الى سائر الامم فلا بد ان يكون
في كتابه طرف من لغة كل قوم وان كان اصله بلغة قومه
فاخير له من كل لغة اعذبها واخفها واكثرها استعمالاً للعرب
وبعد ذلك كله فلا مانع من كون هذه الكلمات كانت في الاصل
غير عربية ثم وقعت للعرب قبل نزول القرآن فعربت بها بالاستنها
وحولتها عن الفاظها الاصلية الى لغتها فصارت عربية ثم نزل
القرآن وقد اخلطت هذه الكلمات بكلامهم فما نزل القرآن الا
بلغتهم فقال السائل قد وقع في كلامك ذكر الشعار والدثار
والعلل والنهل فامعنى ذلك فقال الشيخ الشعار هو الثوب الذي
يلي جسد الانسان لانه ملاصق لشعره والدثار الثوب الذي لا
يلي الجسد بل يلبس فوق الشعار والنهل الشرب الاول للابل
والعلل الشرب الثاني لان الابل تشرب مرتين في العرصة
الواحدة الاولى نهل والثانية عل وهذه الالفاظ من جملة الفاظ

مزدوجة من كلام العرب منها الهياط والمياط والعطيط والاطيط
والحي واللي والمائع والمائع والسائح والبارح ومنها شذر ومذر
والشائح والباطح والصادح والصائح وشاع وذاع وعزوبز والمعجر
واليجر والطارف والتلبد والصادر والوارد والهمزة والهمزة والقسم
والنضم والنضم والنضم والنامور والجامور وكظ وبظ والعامر
والغامر والهدير والهرير والفرح والمرح وحيص ويص والبع
والبع الى غير ذلك فمجب السائل من كمال استحضار الشيخ وقال
لولا خوفا من ملالك لسألت عن كل ما يخطر ببالي مما سبقت
الاشارة اليه فقال الشيخ اني لا امل من ذلك بل هو عين
البغية فقال قد عبرت عن ابليس اللعين فيما مضى بأبي من فهل
له ابن يسمى مرف فقال الشيخ هذه كنيته ولا يلزم ان يكون له ولد
يسمى بذلك بل يحتمل ويحتمل لان العرب عندهم في الاعلام
اسم ولقب وكنية فالاسم ما وضع على الشيء اولاً والمقب ما اشعر
بمدح كزبن العابدين او ذم كاتق الناقة والكنية ما صدرت بأب
او ام كابي الفضل وام الخير ولو لم يكن لنفسه ولد يسمى
الفضل او الخير وهذا القسم وهو الكنية كثير في كلام العرب حتى
لغير الادميين وكما يكنى الشيطان بابي من يكنى ايضاً بابي كردوس
وان شئت سردت لك جملة من كنى الحيوانات فقال السائل
اني اريد ذلك

فقال الشيخ ان كنية الاسد ابو الحارث وابو فراس وابو

حصص وابو الابطال وابو الزعفران وابو العباس وابو شبل وكنية
 الافعوان ابو حيان وابو يحيى وكنية ابن آوى ابو دئب وابو كعب وابو
 وائل وكنية البرذون ابو الاخطل وكنية البرغوث ابو طامر وابو
 الوثاب وابو عدي وكنية البغل ابو الاتج وابو الحرون وابو الصقر
 وابو كعب وابو قموص وابو مختار وابو ملعون وكنية البومة ام
 خراب وام الصبيان وكنية التنين ابو مرداس وكنية الثعلب ابو
 الحصين وابو النجم وابو نوفل وكنية الثور ابو عجل وكنية
 الجراد ام عوف وكنية الحداة ابو الخطاف وكنية الحرباء ابو
 قادم وابو الزنديق وكنية المحرام ابو صابر وابو زياد وكنية الخنزير
 ابو زرة وابو غنية وكنية الخنفسا ام الاسود وام مخرج وام الفسوف
 وكنية الدب ابو جهينة وكنية الدحاجة ام الوليد وام احدى
 وعشرين وكنية الديك ابو حسان وابو اليقظان وكنية
 الذباب ابو جعفر وكنية الذئب ابو جعدة وابو حدقة وابو كاسب
 وكنية الرخمة ام قيس وام جعران وكنية الزرافة ام عيسى وكنية
 السرطان ابو بجر وكنية السنور ابو خدش وكنية الصقر ابو
 منهل وابو شجاع وكنية الظبي ابو الحشف وكنية الضبع ابو
 عامر وكنية الضفدع ابو المسيح وكنية الطاووس ابو الحسن وكنية
 النعام ابو البيض وكنية العصفور ابو محرز وابو يعقوب وكنية
 العقاب ابو الحجاج وكنية العقرب ام عريط وام ساهر وكنية
 العنكبوت ابو خيثمة وابو قشعم وكنية ابن عرس ابو الوثاب وكنية

الغراب ابو حاتم وابو الجراح وكنية الفار ابو خراب وكنية
 الفرس ابو مضاء وابو مدرك وكنية الفيل ابو الحجاج وابو كلثوم
 وكنية الفرد ابو خالد وابو حبيب وكنية القطا ام ثلاث وكنية
 القهري ابو ذكري وكنية القنفذ ابو سفيان وابو الشوك وكنية الكركي
 ابو عريان وابو نعيم وكنية النسر ابو الاصبع وكنية الناقة ام مسعود
 وام حوار وكنية النعجة ام الاموال وام فروة وكنية النمر ابو الاسود
 وابو جهل وكنية النمل ابو مشغول وكنية الهدهد ابو الاخيار
 الى غير ذلك وقد يكون للواحد كنى كثيرة

فقال الحاضرون ايديك الله ايها الشيخ قد اعشت ارواحنا
 وازلت اتراحنا وجلبت افراحنا ثم قام الشيخ وقاموا ليودعوه فكان
 من جملتهم الطلياني الذي كان اجتمع به في مرسليليا فقال
 للشيخ اريد ان تشرفني غدا انت وصاحبك الانكليزي ومن تحب
 فقال له الشيخ يكون ذلك ان شاء الله ثم مضى مع الانكليزي الى
 المنزل وكان الشيخ لم يصل الفرض الذي عليه فلما انصرف
 الانكليزي الى النوم قام الشيخ فتوضأ وصلى ثم التفت الى ولده وقال
 كيف كان الدرس فقال ما رأيك في جلالة مثل ما رأيك
 في هذا اليوم ولقد كان قلبي في هذا الامر يخفق ولساني من
 هيبة المجلس يكاد ان لا ينطق الى ان افتتح الدرس فانجلي ما ي
 وذهب اضطرابي فكانت كل كلمة نطقت بها تسري في بدني كسريان
 الماء او الدواء اذا وافق الداء ولقد رأيته تارة تأتق في الكلام

وتطنب في توضيح المرام وتميط عن مخدرات المسائل الحجاب وتكشف
 عن وجوه مشكلاتها النقاب ولعمري لقد سررت في هذا اليوم
 أكثر من فرح الأطفال بعيد الصوم سيما وقد رأيت أهل الجمع
 كلهم يشنون وبفضلك يعترفون فما أجلك متلا الأكما قال القائل
 غموض الشيء حين تذب عنه ثقل ناصر الخضم المحقق
 تضيق عقول مستمعيه عنه فيقضي للعجل على المدقق
 فضمه والده اليه وقبله بين عينيه وأنشد
 ما أبيض وجه المرء في طلب العلا

حتى تسود وجهه في المبدأ

ثم قال وأنا أخبرك بما حصل لي وهواني كنت قبل قدومي
 عليهم أحسب مجلسهم لا يعتريني منه أدنى خجل ولا ير بفكري منه
 وجل فلما قدمت اليهم واجلسوني على الكرسي مرتفعاً اعتراني
 بعض فتور وخشيت أن يفرط مني بعض هفوات فيتوهوا في
 القصور فلما استعذت بالله واستعنت به وفقني للصواب واتسع لي
 ميدان الخطاب وقد استغربت مهاتي لهذا المضمر مع اني كثيراً ما
 قرأت دروساً في جمع اعظم من هذا بالازهر وقد تم المجلس بفضل
 ذي الجلال والحمد لله على كل حال واريد الان ان ارجع بدني
 لان الخواجا في انتظارني لنخرج الليلة للنزهة فان كان لك غرض
 في الخروج معنا فم أد فرضك وارح بدنك

المسامرة النائمة والتسعون
الدركة في الحركة

فخرج ابن الشيخ من عند أبيه وأدى ما وجب عليه ثم ذهب
الى يعقوب في غرفته فالح عليه يعقوب ان يدخل فأبى وقال انما
جئت لآخبرك بان والدي عازم على الخروج هذه الليلة مع الخواجا
للنزهة وقد اذن لي في الخروج معه وان حضرة الخواجا في انتظاره
فهل انت ذاهب معه فقال يعقوب ذلك غاية رغبتى لولا العذر
وكان ابن الشيخ حريصاً على صحبة يعقوب لما كان ليعقوب
من العلم بالامور لكثرة تغربه واسفاره فكان دائماً يستفيد منه
معلومات تتحسن بها آدابه وكان كل منهما نأس بالآخر فلذا
قال ابن الشيخ ان لم تكن معنا فلست بمتوجه معهم
فقال يعقوب لا يليق بك ذلك واظن انهم عازمون على

التوجه الى التيار فتوجه انت معهم لتنظر ما هناك وفي غد
نستأذن ونتوجه نحو العين التي كنا بها سابقاً وانتم لك هناك ما
كما شرعنا فيه ثم سمع نداء والده عليه فذهب اليه فوجده متهيئاً
للخروج فمشى خلفه فوجد الخواجا في انتظارها والعربة حاضرة
مهيأة للركوب فقال الشيخ اظن ان المشي انفع لنا واكثر فائدة لما
فيه من التمكن من الاطلاع على كل ما نمر به فنستفيد منه علماً
فقال الانكليزي هذا صواب ولكني اخشى عليك التعب وما اريد
ان اشق عليك

فقال الشيخ جزاك الله عني خيراً فان لكبر السن حكماً
وللعادة احكاماً وقد صدق القائل لكل امرء من دهره ما تعود
فاني كنت وانا صغير في بلدي كثير الحركة والتقل فكنت صحيح
الجسم سليم البنية قوي الحواس لا يقاومني في النشاط وخفة الحركة
احد من اترابي فلما جاورت بالازهر رأيت حركاتهم قليلة بسبب
طول الجلوس في المطالعة وليس عندهم وقت للفسحة فلاجل
تحصيل العلم سلكت مسلكهم ولازمت السكون مع علمي بان هذه
عادة سيئة بالنسبة للصحة خصوصاً مع برودة البلاط وعدم الحائل
الكثيف الذي يمنع برده عنهم ولقد صدق المثل من عاشر القوم
اربعين يوماً صار منهم فكنت اخرج من منزلي اول النهار الى
الازهر فلا اعود اليه ولا اخرج من الجامع الا ليلاً بل لا اتحول
من مكاني الا لأزالة ضرورة اداء عبادة وكذلك في الليل

اجلس مجلساً واحداً للمطالعة حتى ينتصف الليل فانام مكاني
وصار هذا ديدني مدة اقامتي بالازهر فتولدت لي بذلك الامراض
وتسلطت على جسي الاسقام حتى آل بي الامر الى ان كنت اصلي
بعض الصلوات من جلوس لانه قد اعتراني تقاعد يشبه العجز
فان الجلوس يحبس الدم عن الجريان في العروق والاعصاب
ولقد صدق المثل ان في الحركة بركة ولما قدر الله لي السياحة
 واجتمعت بحضرتكم داخلني الشياط ودبت الصحة في جسي بسبب
كثرة الحركة والانتقال وازدادت قوتي مع كبر سني فانا اليوم
اكره عدم الحركة حتى اذا كنت منفرداً في غرفتي اراني احب القيام
والمشي فاقوم لانظر من الشاييك واطلع على الاحوال فانا احمد
الله واشكره كثيراً على الاجتماع بحضرتكم وقد ادركت للسياحة
فوائد كثيرة حجة غير الحركة الداعية الى الصحة فمنها كثرة الاطلاع
وتحصيل الفوائد الدنيوية والاخرية ولقد صدق من قال
لو كان في شرف المأوى بلوغ منى

لم تبرح الشمس يوماًدارة الحمل

ومنها زيادة البركة في العمر فان كثرة الاطلاع بمنزلة زيادة
العمر وقلة الاطلاع بمنزلة قصر العمر كما قيل
وفي الجهل قبل الموت موت لاهله

فاجسامهم قبل القبور قبور
وقد قالوا ان الماء الراكد عرضة للتغير فكروها الاغتسال فيه

بخلاف الماء الجاري فهو بعيد عن التغير ولا يكره استعماله بحال
فهو أكثر نفعاً ثم مشياً وابن الشيخ خلفها واستمر في الكلام على
الحركة

فقال الخواجه لا شك ان الانتقال يبلغ الامال والنعود
يفيت المقصود والنعود على الحركة مما يتوي البدن ويرى كثيراً
من الامراض ولذلك مدحها الحكماء وحث عليها الاطباء واما
كثرة السكون فيتولد عنها الكسل وخيبة الامل وبرودة الدم
وكثرة العلل وما يدل على وجوب الحركة ان الخالق سبحانه وتعالى
حكم بها على جميع الموجودات حتى على الشمس والقمر وسائر
الكواكب التي في السماوات فان القمر يدور حول الارض والارض
تدور حول الشمس وبالحيلة فلا شيء من العالم بثابت مطلقاً
فالكون وما حواه من حيوان ونبات وجماد وشموس واقمار
وغيرها مما لا يعلم كنهه الاً يكونه يتحرك بحيلته فضلاً عن حركة
اجزائه صغيراً وكبيراً وما ذلك الا لحكمة بالغة اقتضتها ارادة
مدبر الكون ومديره فالزلازل التي يظهر اثرها على الكرة الارضية
تنبئ عن حركة عظمى في باطنها وسر يبلغ اودع في جوفها
وكذلك الحوادث الجوية كالعواصف والصواعق فانها تدل على
ان السماوات دائماً في حركة فليس الحكم بالحركة خاصاً بالاجسام
الحيوانية والنباتية بل هو شامل لها ولغيرها حتى الجبال والبحار
وقد قيل ان جبال الجهة القطبية الشمالية تسقت في قدم الزمان

وتهددت وانتقلت صخورها الى الجهات القطبية الجنوبية وبعد ان مزقت حرارة الجهات التي مرت بها طبقاتها الثلجية فمنها ما رسب في قاع البحر ومنها ما استقر في صحاري اسيا وافريقيا فكل من مربها وتأمل هياكلها ونظر الى تركيبها علم انها ليست من جنس الارض التي هي بها بل انتقلت اليها من جهات بعيدة لحوادث عنيفة واسباب قوية ولم تزل مثل هذه الامور تحصل الى الان فاحيانا ياخذ البحر صخوراً من جهة ويسير بها الى جهة اخرى وتارة ينضم بعضها الى بعض فتقف بالشواطئ فتكون سواحل وتارة تتراكم في جهة من قاع البحر فتكون جزائر فيكسوها مرور الدهر اتساعاً ويكسوها تداول الايام عمراناً وارتفاعاً فسبحان القادر على كل شيء وهو الفاعل لكل شيء وكما فعل سبحانه وتعالى فيما نراه فكذلك يفعل فيما لا نراه فمن ذلك ظهور الجبال في ارض لم يكن بها منها شيء وكذلك ما يظهر وسط البحار من الشعاب والجزائر والجبال التي لم تكن من قبل وما ذاك الا للحكم بالحركة التي دبر الله بها الالكوان ورزق بها الحيوان واغرب من ذلك دقيق الرمل والمحصى فان اصلهما صخور ضخمة تكون على قمم الجبال الشاهقة عرضة لتأثير حوادث الجو من الحرارة والبرودة والامطار والثلوج والرياح فتفتت وينقلها السيل وتنسفها الرياح فتارة تأتي في اغوار الارض فيرتفع بها ما كان منخفضاً ويخصب ما كان مجدياً وتارة تلتقي في البحر فتتراكم فيه وتعظم حتى تحوله عن

موضعه فانظر صنع الصانع كيف سلط على الجبال ما اثر فيها
 ففتتها رمالاً وحصى ثم ارسل عليها ما قذف بها الى البحار حتى
 حولتها عن مواضعها فسبحان الحكيم العليم فمن تأمل في مجاري
 الانهر والشجان ومصابها رأى ان كل ما يحدث فيها من الجزائر
 انما هو من الاجزاء الدقيقة التي جرت مجرياتها ومن امعن النظر
 وتبع كتب التاريخ والاطر وجد هذه الانهار قد تحولت عن
 مجاريها الاصلية حتى صارت مواضعها الاولى ارضاً ذات مزارع
 وبساتين ومساكن ونحو ذلك ومن ذلك اقاليم مصر البحرية فقد
 قالوا انها انما تكونت ما تخلف عن نهر النيل من الطمي كما ان
 ما يجلبه نهر الطونة والرين من تلك المواد الدقيقة كل عام يسد
 مصبها وكذلك نهر المسيسيبي بامريكا فانه لضعف جريانه لا يقوى
 على دفع ما فيه من الزبد والرمل فيحدث من ذلك في كل سنة
 ارض جديدة بخلاف نهر الكنج الذي هو احد انهار الهند فانه لقوة
 دفعه وسرعة جريانه لا يبقى في قراره شيئاً ما يأتي به بل يأخذه
 معه حتى يلتقيه على شاطئ البحر الملح فمن مصادمة الصخور والشعوب
 ونحوها لما يقذفه على مدا الازمان تكونت عنه ارض تبلغ مائتي ميل
 وهناك اسباب اخرى لا ندرکها تحدث احياناً بظاهر الكرة الارضية
 فانا نجد في بعض الجهات ارضاً قد ارتفعت شيئاً فشيئاً واخرى
 قد انخفضت كذلك ولا نشعر بها ولا ندرکها لطول الزمن الذي
 مرّ عليها فلو اطلعنا على حال الارض في الازمان السابقة وحالها

في الازمان اللاحقة لجزمنا بان الكرة الارضية وما فيها من اول خلقها الى الان دائماً في حركة وتموج كتموج المياه فيتنفخ ما كان مرتفعاً ويرتفع ما كان منخفضاً وقد استدلوا على ذلك بانحطاط ما بين مدينة صور وثغر اسكندرية عما كان عليه ايام الرومان وبارتفاع ارض الروسية الشمالية عما كانت عليه فانها كانت غامرة بالماء ثم انجلى عنها فظهرت وبني بها مدائن وقد وجد في ارضها بعد انحسار الماء عنها كثير من العاج متخلفاً عن الحيوانات التي غشيتها تلك الحادثة حتى ابتلعنها الارض

وقد استفيد من التواريخ ان كثيراً من المين القديمة صارت الان ارضا قارة وان كثيراً من المدن صارت في قاع البحار فهذا ايضا ما يدل على ان كرة الارض دائماً في حركة ومن ذلك تأثير الشمس في البحر فيرتفع منه بخار فينعقد سحاباً ثم يسير الى الجهة التي يسوقه الله اليها فيسقط على الارض اما مائعاً او متجمداً ثم ينمى لتأخذ منه ما يكفيها ويكفي ساكنيها جميع السنة ومن ذلك الرياح فانها هي التي تسير السحاب من جهة الى جهة على مقتضى ارادته سبحانه وتعالى وان كنا لا نعلم من اين تأتي ولا الى اين تذهب وبالحجالة فلم يخلق الله شيئاً الا وفيه سرٌّ وله حركة اما على انفراده واما بامتزاجه مع غيره ولو اراد العارف استقصاء الكلام على ادنى شيء من المخلوقات لاستغرق فيه العمر ولا فنى به الحال الى تفويض العلم بالحقيقة الى من له الخلق والامر

فقال الشيخ وقع لي كتاب قد مسح يد الزمان والمحقة في
النسخ بخبر كان فتصفحه فوجدت فيه ما يقرب من ذلك وهو ان
الله تعالى لما خلق الكون بقدرته ودبره بحكمته جعل الافلاك العلوية
والكواكب السماوية بمنزلة الآباء وجعل الاركان الاربعة وهي
التراب والماء والنار والهواء بمنزلة الامهات فافتضت حكمته تعالى
انه اذا اتصلت اشعة الكواكب التي هي بمنزلة الآباء بالاركان
الاربعة التي هي بمنزلة الامهات حدث المواليد الثلاثة التي هي
المعدن والحيوان والنبات فما وجدت المواليد الثلاثة الا بمحركة
اتصال الآباء بالامهات وهذه الاركان الاربعة وان كانت
كالامهات بالنسبة للمواليد الثلاثة الا انها متولدة عن غيرها ايضا
لانهم يقولون ان الحرارة اتصلت باليبوسة فانتجنا ركن النار ثم اتصلت
بالرطوبة فانتجنا ركن الهواء ثم اتصلت البرودة بالرطوبة فانتجنا ركن
الماء ثم اتصلت باليبوسة فانتجنا ركن التراب فحصل في الابناء حقائق
الآباء والامهات فكانت النار حارة يابسة فحاررتها من جهة الاب
ويبوستها من جهة الام وهكذا فانظر كيف جعل المولى كل صفة
من صفات الاشياء مكتسبة وراجعة الى اصلها

وفي اثناء ذلك الكلام وصلوا الى باب بستان يسمى لو كسانبور
وهو من الاماكن المشهورة المعدة للنزهة فدخلوه فوجدوا به خلقا
كثيرا على عادتهم في اوقات نزهتهم فطافوا فيه برهه وتخبروا للجلوس
ناحية منه قد راق منظرها وخضرتها وحلت في اعينهم نضرتها

اغصانها دانية وعينهم - هامة فمالوا الى ذلك الموضع فكانوا بحيث يرون كل من يمر عليه فعجب الشيخ من كثرة المارين واختلاف هياتهم

فقال الانكليزي لو تأملنا في هؤلاء الخلق واختلاف السنتهم واجناسهم والوانهم وسالنا كل واحد منهم على حدته عن قطره وبلدته واصل مشئه ومنبته لوجدنا فيهم من جميع الجهات من هندي وصيني وتركى وشامى وغير ذلك وها هو حضرنكم مصري والمفتير انكليزي قد فارقنا الاوطان وجمعنا هذا المكان فلولا الحركة في طلب المعاش ما خرج احد عن بلده ولو عاش الى ان يرى ولد ولدوله وليست هذه الحركة خاصة بنوع الانسان بل كذلك انواع النبات والحيوان فانها تنتقل من جهة الى جهة ومن قطر الى قطر انما النبات لا ينتقل حالة كونه نباتا بل بذره هو الذي ينتقل فقد يأخذ الريح بذرا من ارض فيلقيه في ارض غير ارضه وقد يكون البذر في اجواف الحيوانات وحواصل الطير فاءذا انتقلت من ارض الى اخرى القته فيها فينبت ولعل هذا معنى ما قيل ان ريع ما على الكرة الارضية من النبات لبذره احنجة او شبه الاجنحة فيطير بمعونة الهواء حتى اذا سكن وقع فينبت حيثما استقر ومن اسباب انتقال الحبوب والنباتات ايضا السيل والخلجان والبحار فكثيرا ما يأخذ البحر المحيط من جزائره انواعا من الفاكهة والنوا واغصان الشجر ويسير بها حتى يلتقيها في مواضع غير

مواضعها فنبت فلذلك نجد في بعض الاحيان نبات ارض قد
ظهر فجأة بارض اخرى لم يعهد بها من قبل

وتوارىخ الام والاثار القديمة منبئة بان النبات يتبع في حركته
حركة الشمس في مدارها من المشرق الى المغرب فجميع ما نراه في
ارضنا هذه كان اصله في جهة الشرق ثم انتقل منها اليها وكذلك
جميع ما بالاخري فمن ذلك شجر البن والشاي وقصب السكر
والاموز والقطن والكتان والتيل والفول والثناء جميعها اصل
منبتها ببلاد المشرق ثم انتقلت غير ان الاثنين الاخيرين لم يدخلوا
بلاد اليونان الا بعد ايام اسكندر المقدوني وقد خلق الله سبحانه
وتعالى شجر الخبز وجوز الهند وشجر التمر وجعل فيها خاصة
الاقتيات وقيام منبت الانسان وتعيشه لكن لما اقتضت ارادته انها
لا تنثر الا في جهات خاصة جعل لحكمته الباهرة وقدرته البالغة
نباتات اخرى تنثر في كل ارض ولا تختص بجهة دون جهة
وذلك كالحنطة والشعير والقطن ونحوها فان انواع النبات عموماً
تبلغ نحو اربعة الاف نوع منها عشرون نوعاً صالحة للغذاء وصالحة
لان تزرع في كل ارض فتكون في الارض المحترقة بحرارة الشمس
كما تكون في الارض المغطاة بطبقات الثلج

فقال الشيخ اظن ان اول ظهور جميع الاقوات بل ما على
وجه الارض من الحيوان والنبات كان بالهند ثم انتشرت منه الى
سائر الجهات لما روي من ان ادم لما اكل من الشجرة التي نهى عن

فربانها واهبط الى الارض كان نزونه بتلك الجهة فعلم صنعة الحديد وامر بالحراث فحراث وسقى وحصد ودرس وذرى وطحن وعجن وخبز واكل فلما حضرته الوفاة احاطت به الملائكة فجعلت حواء تدور حولهم فقال لها ادم خلي ملائكة ربي فانه ما اصابني ما اصابني الا من قبلك فلما توفي غسلته الملائكة وحنطته وكفنته في وتر من الثياب وحفروا له ولحدوا ودفنوه بسرنديب بارض الهند وقالوا لبنيه هذه ستتكم من بعده فهذا الاثر يدل على ان اصل الاقوات بل والمعادن والحيوان كان موجوداً قبل نزول ادم في هذا المكان ثم ما زال يتشر من مكان الى مكان الى ان اتى الطوفان وقسم نوح الارض بين اولاده فاخذ كل واحد منهم من ذلك ما تيسر وذهب به الى بلاده

فقال الانكليزي هذا كلام معقول ولذلك يقول اهل الهند ان مقدسهم ابراهيم نزل من السماء وعلمهم صنعة الزراعة واستعمال الحيوان فيها والمصريون ينسبون ذلك الى ايزيس واليونان ينسبونه الى سيراييس وواقمهم على ذلك سكان البيرو من امريكا في الذرة خاصة ولذلك يزرعونها عندهم حول معبد الشمس في الارض المقدسة وهي ارض مرتفعة عن سطح البحر اثني عشر الف قدم والمستفاد من كتب التاريخ ان استنبات نباتات الغذاء ما وصل الى المغرب الا من جهة المشرق وان اول ظهورها كان باسيا وانا وان كنا نحزم بان بعض النبات نزل من الجنة لكننا لا

ندري متى نزل ولا في اي بقعة نزل

ويقال ان الامة الشركسية من بين جميع الامم هي التي وسعت دائرة انتشار انواع الزراعة وان ما باوروبا من النباتات منقول اليها فنحو الخوخ والبرقوق والبندق اصله من بلاد العجم ونحو البرتقان من بلاد الصين ونحو البطاطس والذرة من الامريكا وينسب ايضا اليهم زرع الارز والقطن في ساحل البحر المتوسط

ثم صاروا كل ما نجح بارضهم شيء زرعوه فيما استولوا عليه من الاقطار ولذلك لا تجد في اوروبا شيئا من الحبوب والفواكه الا في امريكا نظيره وهم الذين غرسوا شجر الكرم بجزيرتي مدير وكاريا وسائر البلاد القبلية من افريقيا وامريكا وكذلك القطن والارز بجهات بربزليا والايمازوني (الولايات المتحدة) وجوز الطيب والقرنفل بجزيرة موريس وجزيرة بوريون وجزائر الهند وكذا الشاي بربزليا والهند وجاوى وساعدتهم العرب في نقل شجر البن وقصب السكر والتخل والقطن من بلاد الهند الى بلادهم ولم ينقل ذلك الى الديار المصرية الا فيما بعد واما الصينيون فاخذوا زرع القطن من بلاد الهند ستان كما تعلم اهل يابونيا زرع الشاي من الصينيين واما البر والشعير فوجودهما باوروبا قديم

وفي كلام بعض قدماء المؤرخين والشعرا ما يدل على ذلك

وقال بعضهم ان اصلهما من الهند وان الذي نقلهما الى افريقيا اهل
الاندلس

واما البر الاسود باوروبا فحدث فيها ويقال انه منقول
اليها من افريقيا وان نقله الى جرمانية كان في القرن السابع من
الميلاد على يد الملك شارلمان وقد كثر بها الان حتى صار
كافيا لاقتيات ثلث الاهالي

واما الارز فهو وان كان حادثا في اوروبا فالعرب هم الذين
زرعوه في الجهات الجنوبية منها وكان قديما في بلاد المشرق وكان
اغلب القوت منه ولم يزرعه الامريقيون الا في القرن السابع
عشر من الميلاد وقد كثر الان زرعه عندهم حتى صار يرسل منه
الى الجزائر والامريقيون يقولون ان اصل ظهور الذرة كان بارضهم
ولكن لم يظهر لصية ذلك دليل بل الظاهر ان اصلها من المشرق
بدليل تسمية الاوروباويين لها بقمح الترك وتسمية اليونان
لها بقمح العرب وقد شوهد من النبات مثل الشوك ونحوه كثير نابجا
في خلال النبات النافع في الارض التي نقل اليها نبات الحنطة
ونحوها وذلك يدل على ان جميع ما هو في بلادنا من هذا النوع
قد ورد اليها مع الحنطة وغيرها وقد يعلق حب بعض تلك النباتات
بالانسان في ثوبه او متاعه فيسافر ولا يشعر به فينبت حول
مسكنه او مبيته

ومن الغريب ما قالوه ان كل نوع من النبات له ارتباط

واشلاف بنوع من الانسان بحيث لو وجد نوع منه في بقعة
لاستدل العارف بذلك على من كان ساكناً بها مشرقياً كان او
مغربياً وانه باختبار النبات وتعدد احواله وتقلاته يمكن معرفة
تقلات آدم فان من النبات ما يتبع العبيد ومنها ما يتبع عرب
البادية والهنود ونحو ذلك ومن النبات ما ينتشر بنفسه حتى يملأ
الارض التي انتقل اليها ويعطل ما كان قبله من النبات الطبيعي
وغيره وذلك كالحرفوش والخوخ فانهما لما انتقلا الى الجهات الجنوبية
من امريكا كثيرا بها ومنعا ما عداها حتى ضاقت المراعي على
ما شبتهم وكذلك لما نقل بعض النبات الى جزيرة سنت هيلين انتشر
فيها حتى اذهب نباتها الاصلي وحشائشها الطبيعية وكذا في بلاد
الصين ارض يقولون ان جميع ما بها من النبات منقول اليها ولم
يبق بها شيء من نباتها الاصلي وقد ورد الى بلادنا من المشرق
انواع كثيرة من الفاكهة منها العنب والرمان والخوخ والسرير
(الكرز) والذي نقل البرتقان والليمون الى اوروبا هم العرب
ثم ان الثمار بعد نقلها لا تبقى على حالتها الاصلية بل لتغير وتكسب
خواص غير خواصها التي كانت لها في قطرها الاول فتجدها
باوروبا كبيرة الحجم شديدة الحلاوة لذينة الطعم بعد ان كانت
دون ذلك ولو نقلت الى قطر اخر لتغيرت ايضا وهكذا لان الغالب
ان كل شيء انتقل الى مكان غلب طبعه عليه فاذا رجع الى مكانه

يعود طبعه الاصلي اليه ومن الامثال الصادقة ان للبقاع تأثيراً في
الطباع

وقال بعض المؤرخين ان لكل ارض نباتاً ينسب اليها فينسبون
الدخان والبطاطس الى امريقا ولكن هذه النسبة ناشئة عن عدم
الاطلاع فان كتب التواريخ ناطقة بان الاندلسيين ايام تملكهم وجدوه
مستعملاً في التحضيرات الكيماوية عند اهل مكسيك وكان قبل
ذلك معلوما بين اهالي الصين وجاوى ولم يدخل اوروبا الاسنة
الف وخمسة وتسعين وادخله البرتغاليون في بلادهم فكان
مستعملاً باجزاخاناتهم فقط فلا بد انه كان معروفاً ببلاد اسيا
قبل استكشاف امريقا بزمان طويل

وقد تبين لك مما مر ان انتقال النبات من ارض الى ارض
لا بد ان يغير حالة الارض كما نغير بذلك طبيعة النبات وتبين
ان تنقلات الحيوان والنبات تابعة في الغالب لمن سكن الارض
لما بينهما وبين الانسان من الارتباط التام اذ بهما بقاء بنيتهم وقضاء
اوطارهم وستر عورتهم وقد وقف كثير من الناس عند ظواهر الاشياء
فزعموا ان الحيوان لا يتنقل من الارض التي خلق بها وليس هذا
الزعم بصواب ولو سلم ذلك بالنسبة للحيوان الاهلي لا يسلم بالنسبة
للحيوان الوحشي وان كما لا نعلم كيف كان انتقاله في الازمان
الماضية لسكوت المؤرخين عن الكلام في ذلك كما سكتوا عن
تنقلات الادميين في تلك الازمان

وعلى ما مر من أن أول عمارة بني آدم الأرض كانت بالشرق
يمكن أن يقال أن وجود جميع الحيوانات كان بالشرق ثم انتقلت
إلى المغرب

وقد قال المؤرخون أن الخلق كانوا أول أمرهم عشائر رعاة
ثم تفرقوا فلا مانع من أن تكون الحيوانات قد تبعتهم في ذلك
وبالحيلة فالحيوان والنبات كل منهما ينتقل بأسباب ووسائط
دبرها الخالق جلت قدرته ومن تلك الوسائط المياه العظيمة فكل
نهر أو خليج ينقل في سيره إلى البحر كمية عظيمة من ذوات الروح
وكثيراً ما شوهد في وسط البحر جمل من بعض الحيوانات متراكمة
بعضها فوق بعض تعوم فوق الماء وعلى سطحها المحار والقواقع الذي
لا يعوم وحده فتكون له كالرؤوس الذي يركب عليه في البحر
كما يركب على السفينة وقد وجد كثير من هوام الأرض والحشرات
والأفاعي والدود والسمك والطيور والقواقع ونحو ذلك راكبة فوق
الأعشاب وغصون الأشجار العائمة في البحار فتستقل بواسطتها
من جهة إلى جهة وكذا الهواء قد ينقل منها الوفا مؤلفة ويسير
بها إلى حيث شاء الله وقد امتحن ذلك بعضهم بوضع لوحين من
زجاج خلف مصراعي شباك فوجد في التراب الذي اجتمع بينهما
في مدة ستة أشهر بذور ثمانية أنواع من النبات واحد عشر نوعاً
من نقاوي عش الغراب وأربع بيضيات من بيض حيوانات صغيرة

مع جملة من تلك الحيوانات بل قد يأخذ الهواء ما هو أكبر من ذلك كالقارة والعرة والسبك ونحو ذلك

وقد وقع في بعض السنين مطربيلاد فرنسا فكان كله سميكا وكثيراً ما امطرت السماء ضفادع ومن الهوام الصغيرة ما يد لنفسه فوق البحر خيطاً دقيقاً ثم يسير عليه مسافة ثم يد غيره ويتقل وهكذا الى حيث اراد وقد اتفق انه سقط على بعض الملاحين في سفنهم وكان بينهم وبين البحر نحو ثلثائة ميل ولكون تلك الحشرات لا تظهر الا في اوقات سقوط الندى ظن بعضهم ان تلك الخبوطاتصل بذرات الماء وبعضهم يزعم ان لهذا الحيوان معرفة بالكهرباء فان كانت كهرة الخيط سالبة طردتها كهرة الطبقات السفلى من الجو وجذبها كهرة الطبقات العليا منه وكل هذا ظنون غير ثابتة والله اعلم بالحقيقة

واكبر داع لمفارقة الحيوان لوطنه ان يفقد قوته او الفه فترى الحمير الوحشية تترك بلاد التار وتجاوز صحاري اسيا في فصل الشتاء الى الجهات الشمالية لاجل المراعي التي يشاطى بحر عنال وقد تجتمع الوفا كثيرة وتسير الى شمال الهند وارض العنيم لاجل المرعى وبعض الحيوانات لخرعها تخرج من جهة القطب الشمالي وتساقر الى الجنوب كارب بلاد السيري وفأر بلاد النرويج ونحوها والدويبات الصغيرة جداً تسبح عادة متجمعة طوائف طوائف حتى يرى البحر متغير اللون من كثرتها فيه وفي بعض الجهات

تظهر انواع من الحشرات لا يعلم من اين انت ولم يسبق لاهل تلك
 الجهات رؤيتها وعادة تأتي سائحة فوق الماء او دابة على الارض
 وكثيراً ما شوهدت الديدان تقطع البجار العظيمة والفيافي الواسعة
 الشاسعة لطلب القوت لا يعوفها عن طريقها شيء وقد اقتضت
 الحكم الازلية ان ما يؤلف يعز وجوده وما يكره يكثر موجوده وبعض
 ذلك كان مقتوداً من اوروبا الى القرن الحادي عشر ثم امتلأت
 منه مثل دود القز فانه يميل الى الاماكن التي اعتادها فلا يفارق
 مغارس الثوت وهي موجودة في الهند والصين قبل ان توجد
 باوروبا وغيرها بزمان مديد واول ظهوره بالقسطنطينية كان في
 القرن السادس جلبه اليها احد القسيسين ثم نقل منها الى اليونان
 والذي ادخله ارض صقلية الملك روجير ثم منها الى باقي الارض
 والنحل تهوى الجهات الغربية ولكن الان صارت لاتوجد في جهات
 جبل اورال وقد بذلوا كل جهدهم فلم يمكنهم ان يعودوها على
 ارض السيبيري مع انها كانت غير معلومة في الامريكا الى القرن
 السابع عشر من الميلاد والان بعد استقرارها فيها اخذت في
 الازدياد حتى ملأت جميع البلاد والهندوتسميها بالذباب الانكليزية
 ولم فيها كراهة عظيمة لانهم يستدلون بها على دخول اللاس
 بيض الوجوه في بلادهم وهم لا يحبون ذلك فهم يستدلون بها على
 مسير المهاجرين الى الجهات الغربية

وللنمل تغلات عجيبة وهي وان كانت تظهر لغير المتأمل انها

في سيرها متفرقة غير متولفة ولا مستظمة إلا أنها جيوش متتابعة ولا تضل عن طريقها أصلاً بل تهتدي الى مقصدها مع الانتظام وهي انواع

منها الاسود وهو كثير جداً وإذا ظهر في مكان يكاد يستر وجه الارض ويأكل في سيره ما مر عليه من النبات ويدخل المنازل ويملاها حتى لا يترك منها موضعاً إلا ويتلف ما به فلا يسع اهل المنزل حينئذ إلا فراقه

فقال الشيخ الجراد في تقلاته أكثر ضرراً وأشد اذى لانه لا يبقى من الزرع ولا يذر ويقال انها تحفر لبضها في الرمل ومن حرارة الشمس يفرخ ويكبر في اقرب وقت ويكون اولاً بغير جناح فاذا هب النسيم سار به الى حيث يريد وكثيراً ما يملأ الفضا فيغطي الارض ويجول بينا وبين السماء

فقال الخواجا انها كذلك وسيرها من الشرق الى الغرب وتقطع البحار والفيافي وتقع في بقاع مختلفة فتكون في افريقية وبلاد الانكليز وارض جرمانيا وكثيراً ما حل القحط في المحطات التي نحل بها لانها تهلك جميع النبات والشجر وكثيراً ما يجيء عقب ذلك الطاعون بسبب العفونة التي تنشأ عن رملها وكذلك السمك وسائر الحيوانات المائية لها انتقالات كثيرة ولا تحتاج الى اماكن تستريح فيها حين عبورها كما يستريح الطير على صواري السفن وكثيراً ما شوهد كلب البحر ملازماً للسفن السائحة في البحار

وقد اقتضت حكمة الله تعالى ان معاش بعض الامم يتوقف على سياحة انواع من السمك فيتظرونه في رمن معين ويصيدونه ويتفنون به وذلك كالبورى والثيمار ونيره وهو الذي يصنع منه الفسج في بلادكم وهناك نوع من السمك يسمونه اسكيري وتسميه الفرنج مكرو

ومن غريب امره انه في فصل الشتاء يدون نصفه المقدم في الطين ويظهر نصفه المؤخر فاذا خرج الشتاء خرج من الطين فينتقل الى الماء القليل المحركة ويبيض فيه واغرب منه ثعبان السمك فانه يقضي اكثر حياته في البر وتجده زمن الصيف ايام جفاف البرك يخرج ليلاً ويمشي في خلال النبات الى ان يصل بركة او ارضاً فيها ماء فينزل فيه واكبر سبب في وقوعه في ايدي الناس حبه لنوع من النبات يعرفونه فتكون شهوته سبباً في هلاكه وكثير من الاسماك لا يسير الا ليلاً على وجه الارض ويخرج منه مادة لزجة يلتصق بها في نوع من الشجر ليصيد نوعاً من الحارثاء وكثيراً ما شوهدت السمكة والحارة معاً فوق الشجر

واما الورل والثعبان والتمساح فلا تفارق مكان اقامتها بخلاف النوع المعروف بالبنى الذي يوجد في بحار الهند الغربي وامريكا الجنوبية وهو المسمى عند الفرنج بكراب فانه يكون في بعض اوقات السنة بالمغارات بعيداً عن البر مغشياً عليه وفي فصل الصيف يخرج منها في هيئة جيش منتظم فتخرج الذكور ثم الاناث

وبأخذ سعة عظيمة من الأرض نحو مائة متر ومتى اشتدت حرارة الشمس عليه استظل بالأشجار فإذا جاء الليل سار طوائف ويكون لها ديب تحس به الناس وسط النبات فإذا قربت من البحر الملح دخلت فيه جميعاً فتسبح فيه وتقطع في سياحتها بلاداً بعيدة فإذا تعرض لها أحد دافعت عن نفسها ويسمع منها فرض أسنانها في مدافعتها فإن لم تنجس بذلك تفرقت إلى جهات مختلفة ثم تنضم وقد يموت أكثرها في سياحته والطير كالسمك في التنقل بل أقوى منه حركة فتراه عند اشتداد البرد يترك الجهات الباردة الشمالية ويذهب إلى الجهات الحارة الجنوبية ويقطع في سيره آلاف أميال ومنه ما يعيش في الاقطار الباردة والحارة كالغراب فإنه يكون بأوروبا على شاطئ البحر الأسود وبحر الخزر وينعق ببلاد الهند والمجسم كما ينعت بأمريكا وجزائر البحر الباردة والحارة ومع هذا فلكل نوع من الطير وطن يألفه لكن يفارقه أحياناً التماساً لمواد الغذاء أو فراراً من العوارض الجوية ومن عجيب أمرها أنها لا تخطئ أوان مفارقة وطنها ولا وقت عودها وتشاهد هذه الغريزة في المحبوس منها سواء كان مقتنصاً أو متولداً في البيوت فإنه إذا أحس بصوت أبناء جنسه حن إليه ولو خلى سبيله لساير معها وغالب الطير اللطيف لا يكثر بالبرد والحرق ولا بالقرب والبعد بل متى جاء الوقت المعلوم لها حرته إلى الإمكنة المهددة له خرج إلى تلك الجهات وأقام بها فيفرح به أهلها وتميل إليه طباعهم

فيتلذذون بسماع نغريده ويأنسون رؤيته ولكل نوع منها كيفية يكون عليها ومنهاج بنهجه في هجرته ونعديته البحر وقطعه للمفازات فالبعض يكون منفرداً والبعض يكون مجتمعا ومنها ما يسير بالنهار ويسكن بالليل ومنها ما يسير بالليل ويستريح بالنهار فالأوز يسافر مجتمعا معترضا والعصفور يسير متسلسلاً والجمع يسير على هيئة شكل مثلث وإذا صادفها في سياحتها بحر قطعته طيارا فاذا هزأت وسقطت فيه قطعته سباحة ومن المستغرب جداً طريقة سباحة الطير المعروف بالسماي فانه إذا أراد مفارقة أوروبا الى أفريقية صبر حتى نهب ربح سديدة من الشمال الغربي فاذا هبت رفع احد جناحيه كالقلاع وحرك الآخر كالمجذاف وترك نفسه مع الريح الى ان يقطع البحر المتوسط الاسكندري ويصل الى افريقية واماكن استراحته في الجزائر معلومة فلذلك تجد اهل تلك الارض يعرفون وقت وجوده بارضهم فيتهيئون لصيده ومثله اللقلق المسمى عند الفرنج سيجوني فمضيفه الجهات الشمالية الباردة من أوروبا ومشتهه وطنه الاصلي من افريقيا فيسمع صوته بجهة الاهرام وغيرها وحمام امريكا الشمالية يتنقل في اوقات معلومة في عدة بقاع لا يعلم سكانها من اين اتى ويتشر احيانا في نواحي امريكا الشمالية والجنوبية معا وإذا آن اوان بيضه اجتمع وبحث عن المواضع التي تناسب ذلك فيبيض فيها فاذا افرخ رجع الى وطنه ولا يضل في طريقه ولو نقل بواسطة كالسكة الحديدية فانه يهتدي

الى وطنه ونوع البلبل يتقل في فصل الخريف من الشمال الى الجنوب كل عائلة على حدتها لكن اناته تسبق ذكوره باسابيع فتذهب وحدها من مصر والشام وتقتصد البلاد الشالية ومنه نوع تهاجر اناته فقط في فصل الشتاء ونقى ذكوره واما الحيوانات ذوات الثدي فلا تتقل من بقاعها المعدة لها الا اذا جاعت او تعدى عليها احد في ارضها ومنها ما ينقله الانسان معه كالخيل والحمر الوحشية الى حيث يستوطن من البقاع وهي التي تناسلت في التانس وعمرت منها البلاد بامرئها فانها ترحل في فصل الشتاء الى المحطات الحارة وكذلك الطباء والفيلة مع غلظ جثتها تترك مواضعها لطلب مراعيها والحاموس الامريكاني المتوحش يتقل من السهل الى الجبل وبالعكس على حسب الفصول فيتبع مجاري الانهار والسيول لالتماس المرعى بغريزة وضعها الله فيه فيتبع المرعى حيث كان ولا يعلم احد طريق اهتدائه اليه

وللقردة طرق عجيبة في قطع كبار الانهر والخلجان المتسعة واما الحيوانات الاهلية فتنتقل تبعاً لانتقال الانسان فخيول اسيا وبلاد العرب الان كثيرة بامريكا ولم تكن موجودة بها قبل اخلاطهم بالاندلسيين وكذا النعم منها هناك كثير ضائناً ومعزاً وذلك بسبب تنقل الناس كما ان الانسان هو الواسطة في وجود بعض الحشرات والهوام في جهات لم يكن لها بها وجود كما تقدم

وذلك كالغار بأمريكا فانه قبل دخول الاوروبيين هذه البلاد لم يكن له بها وجود اصلاً

وقد تقدم ان اول بقعة وجد بها الادمي هي ارض الهند وهناك علامات تدل على ذلك فانها كانت في اول الزمن كثيرة النبات والمحير ثم اخذت ارضها ترتفع شيئاً فشيئاً حتى قل خيرها فهاجر منها اكثر ساكنيها باسباب وحوادث لا نعلمها واستمرت آخذه في العلو والامحال حتى صارت جبالا لا تثبت فلم يبق بها ساكن ولم يزل يتقل الانسان من جهة الى اخرى بحوادث داعية الى ذلك حتى امتلأت منه الارض وعمرت جوانبها

فقال الشيخ هذا كله يدل على عظمة الله وقدرته حيث اودع في كل نوع من المخلوقات قوى غريزية وطبائع مختلفة يقدر بها على تحصيل قوته ويأمن بها على نفسه مدة حياته وفيما ذكرتموه دلالة على ان الحركة اساس بديع لعمار الاكوان وقيامها وقانون جليل عليه مدار انتظامها فكل مخلوق لا يستغني عن الحركة في كل حاجاته ولكنها تكون على انواع بحسب انواع الحيوان وطبائع البقاع فتكون كثيرة عند بعض وقليلة عند بعض اخر لانه سبحانه كما نوّع احوال البقاع نوع ما لساكنيها من الطباع فليست طبيعة من يسكن الهواء كطبيعة من يسكن الماء ولا من يسكن الارض الحارة كمن يسكن الباردة

وحيث كان السعي في طلب القوت والمحافظة على حياة

النفس من اهم الامور كان ذلك ايضاً يختلف باختلاف البقاع
فيكون في الارض السهلة سهلاً وفي الصعبة صعباً وكلما سهلت
طرق الاكتساب في جهة تساهلت سكانها في الكد والاجتهاد فيه
وكلما صعبت ازداد الكد والنصب فيبين سكان الجبال ونحوها من
الجمعات الصعبة الحرث والغرس و (بين) سكان الارض الخصبة
ذات الانهار والخجان بون بعيد وتباين في الطباع والاضاع
وكذلك طرق التخفظ مختلفة باختلاف البقاع ففي البلاد الباردة
تجمع البرودة اطراف الالياف الظاهرة من بدن الانسان فتزيد
بذلك قوتها ويسرع رحوع الدم الى القلب وينشأ عن ذلك
للا انسان من النشاط ما يساعده على الكد والعمل بخلاف البلاد
الحارة فان حرارتها تمدد الالياف المذكورة فتتلاشى قوتها وتضعف
بذلك قوة الانسان ويدخله الفتور ولا يقوى على العمل ولذلك
تجد سكان البلاد الباردة اقوى من غيرهم فانه متى انتظمت حركة
القلب والالياف فقد انتظمت السوائل في احاء الجسم وتكون
حركة الدم نحو القلب اتم فيقوى فعله وتزيد قوته وقوته فوائد
كثيرة منها شدة البأس وقوة الجاش وملك النفس عن سرعة
الانتقام وعدم الخوف على النفس ومتى قل خوف الشخص على
نفسه كثر حبه للحق والتماسه له واتباعه اياه اينما كان ويكون
بعيداً عن الظنون والاهوام عالياً عن الكذب والنفاق والخداع
والمكر ونحوها فلا ريب في ان هؤلاء الناس يكون عندهم من

الاخلاق والطباع ما يغير طباع غيرهم من سكان البلاد الحارة مثلاً لو حبسنا رجلاً في مكان شديد الحرارة لنالم وهمدت قواه بحيث لو طلب منه فعل امر يحتاج في الاقدام عليه الى الجراحة لم يفعل اذ ضعف قوته يورثه ضعفاً في قلبه وثقلاً في حركته ولذلك تجد سكان البلاد الحارة في القوة اشبه بالشيوخ وسكان البلاد الباردة بضدهم ولو انتقلت سكان البقاع الباردة الى البقاع الحارة او بالعكس لتغيرت طباع كل الى ما يناسب الجهة التي انتقل اليها لكن بعد زمن وفي البقاع الشمالية التي ينزل بها الثلج دائماً يكون الانسان ضخماً الجثة قليل الهممة والنشاط وسببه ان قوة الالياف ينشأ عنها استجلاب العصارة الرديئة من الغذاء فيحدث امران الاول ان جواهر الكيموس تصير صالحة لان تكسو الالياف وتغذيها فتكبر الجثة والثاني انه ينشأ من قلة جودة العصارة المستجلبة قلة اللطافة في العصارة العصبية فيقل النشاط وتكون الاحساسات في البلاد الباردة ضعيفة بخلاف الحارة فانها فيها قوية جداً وفي المعتدلة تكون معتدلة وكذا تختلف درجة الاحساس عند الناس باختلاف الاقطار والعوارض وذلك ان اختلاف الاحساس ناشئ من كون جميع الاعصاب الواردة الى المنسوج الجلدي يتكون من كل منها مجموع عصبي ففي الجهات الحارة يكون المنسوج الجلدي رقيقاً جداً واطراف الاعصاب مفتحة فتحس باقل شيء ورد عليها من الخارج وفي الباردة بخلاف ذلك لانضمام المنسوج الجلدي وتجمع

اطراف الاعصاب فلا يصل الى الم الم الا الاحساسات العظيمة
الحاصلة من مجموع العصب ولا يخفى ان القوى العقلية جميعها حاصلة
من احساسات صغيرة فمن ههنا يكون الاحساس كثيراً في البلاد
الحارة قليلاً في غيرها والالم كذلك فانه يحصل من تمزيق بعض
اعصاب الجلد او تفرقه فكما كثر كثر الالم والعكس ففي
الباردة التي جثة اهلها ضخمة واعصابهم غليظة يصعب ذلك التمزيق
لغظ جلودهم بخلاف اهل البلاد الحارة لرقه اعصابهم وجلودهم
ولهذا كان الم سكان الاقطار الباردة اقل من الم سكان الاقطار
الحارة ومن هذا التباين في الطباع الناشئ عن اختلاف البقاع
تكون اهل البلاد الحارة كثيرة الميل الى النساء ومنهم من يرى الميل
اليهن من اعظم النعم بخلاف سكان البلاد الباردة فان ميلهم
اليهن قليل اما اهل المناطق المعتدلة فمعتدلو الأحوال
مطلقاً

فقال الخواجا ما ذكرتموه مسلم ولذلك نجد البلاد الجنوبية مثل
ايطاليا وما جاورها من البلاد اقل رجالاتها النساء ليست كالفرة رجال
البلاد الشمالية الباردة بنسائها فانهم لا حظ لهم الا في الحركة كالصيد
والسفر والحرب والشرب وسبب ذلك ضخامة اجسامهم وثقلها
وتنام الصحة ولهذا كان اكثر اهل تلك البقاع يميل الى المشروبات
الروحية وكما بعدوا عن القطبيين وقربوا الى خط الاستواء نقص
هذا الميل واطنه تابعا لما يقذفه البدن من العرق ففي الجهات

الحارة يعوض ما خرج من الجسم بشرب الماء وفي الباردة يعوض
 بالمشروبات الروحية كالنيذ ومحوء للاه نعاشر وبث الحرارة لتنبعث
 الحركة خيفة جمود الدم ألا ترى ان الماء هو الشراب المألوف عند
 اهل المشرق من يوم خلق الله الدنيا بخلاف النيذ ونحوه فهو
 المألوف عند اهل البلاد الباردة واهل البلاد المعتدلة لا تنقطع رغبتهم
 في النساء لكن لا تبلغ بهم الى حد التهور فهم فيها على حال الاعتدال
 وتزداد تلك الرغبة بالتدرج بحسب البلاد الحارة ولو اخبرت اهل
 البلاد الباردة لوجدتهم اقرب الى الصدق والحق والامانة من اهل
 البلاد الحارة فان اولئك تغلب عليهم شهواتهم وتكثر فيهم الكبائر
 والمساوي فتراهم لا هم لهم الا شهوات انفسهم وطاعتها فيما تقترحه
 عليهم من الاماني والشهوات البهيمية

واما اهل البقاع المعتدلة فلا ثبات لهم على حال فطورا في
 الفضائل وطورا في الرذائل يغشون كل ناد ويهيمون في كل واد
 وكلما زادت درجة الحرارة ضعفت القوى البدنية ويتعدى ذلك
 الى القوى العقلية فتتساوى لديهم الامور فلا تنبعث خواطرهم الى شيء
 ولا يهتمون بشيء ويغلب عليهم الكسل ويحملون العذاب في
 الدنيا بلا ملل ولا يجتهدون بعقولهم في سياسة انفسهم فيكون في ذلك
 استرقاقهم ويرون الرق اهون عليهم من العمل ولهذا نرى الفقراء
 والدراويز والشاذين وامثالهم في تلك البلاد كثيرين وانا لنعلم
 بما تواتر عن السياحين ان الهنود مجردون عن الشجاعة والبأس كما

هي طبيعة بقعتهم وقد شوهد ان من تناسل من الاوروبيين هناك يشبه طبعه طبع الهنود دون طبع ابيه واصوله ومن ذلك فللهنود عوائد فظيعة مستغربة كل الاستغراب منها ان نساهم يحرقون انفسهم بالنار بعد موت ازواجهن ومنها انهم مع ضعف قواهم ونحافة اجسامهم يتوهمون اوهاما جسيمة جداً فيتوهمون اموراً افزع من الموت فلا يبالون من الموت ولم صبر وتجلد على انواع العذاب

وهؤلاء القوم تخلوا اذهانهم وسلامتها عن العوارض وقابليتهم واستعدادهم لكل ما يلقى اليهم يلزم لهم على سبيل التاكيد زيادة عن غيرهم ان تقنن لهم قوانين وتشرع لهم احكام حسنة يتعلمونها ويتداولونها بينهم ويلزم ان تكون تلك القوانين اموراً معقولة خالية عن الاوهام والوساوس ليجعلوا على احسن الاحوال حيث انهم على الفطرة الاعلية ليس في اذهانهم شيء من التخليطات كالأطفال الذين يلزم لهم السياسة والتعليم والتدريب على ما به صلاحهم اكثر من الكبار الذين دخلت اذهانهم تشويشات تعطلها او تمنعها عن رسوخ التعليمات فيها وقد كانت الامم الشمالية زمن الرومانيين مستقلة بنفسها ومدافعة عن وطنها وحرمتها ومع جهلهم وعدم وجود قوانين لهم حاربوا الرومانيين زمنا طويلا حتى كسروا شوكتهم وخفضوا دولتهم ولو اضعفت ضعف بنية الامم المشرقية عن العمل الى ما هم عليه من حب البطالة والكسل لعرفت سبب ثباتهم على

قوانينهم وعوائدهم وأخلاقهم فانك لو قارنت بين ما كان في
سالف الأزمان وما هو الآن لم تجد إلا فرقاً يسيراً ومن نامل
أحوال الأمم وجد أن المؤسسين الذين وضعوا القوانين لسياسة
الناس هم الذين أكسبوا أهل بقاعهم ما هم عليه من العوائد والأحوال
ضرورة أن كل طائفة عملت بقوانينها وسيست باحكامها حتى
صارت كالجبل لم فبعض المؤسسين ساير أهل بقعته على ما هم
عليه من رديء الخصال وسيئ الأحوال فلم يزدادوا بذلك إلا
ضرراً من الفقر ونحوه والبعض رفع أهل بقعته عن الرذائل بل
وحملهم على التحلي بافضائل فتحسنت أحوالهم وحدث خصلهم
وأفعالهم ففي اعتمادهم مثلاً أن السكون والعدم هما الأصل
واليهاتوؤول الأشياء فيرون البطالة أحسن الأحوال وبسندون
في ذلك إلى اسمه تعالى الثابت لأنهم فهموا أن معناه الذي لا يتحرك
مع أن الأمر ليس كذلك بل معناه الدائم الذي لا يزول
أزلاً وأبداً وسكان جزيرة سيام يقولون أن العيم الأبدي هو كون
الإنسان لا يجبر على الحركة واتعاب الجسم فذلك كان السكون
وعدم الاشتغال عندهم أمراً مرغوباً فيه في تلك البلاد الحارة المضغفة
لجميع القوى ولأن الراحة عندهم أمر طبيعي هو المقصود
بالذات

فلما أسست القوانين على حسب قطرهم وما يناسب أوضاعهم
من الترغيب في الدعة وترك الحركة اعتبت مضار كثيرة بخلاف

اهل الصين فان قوانينهم مؤسسة على الاجتهاد والسعي والبحث
على ذلك فتجد احوالهم مستحسنة وقواهم متوفرة وارزاقهم متيسرة فبين
الفريقين بون بعيد مع انها متجاوران

المسامرة التاسعة والتسعون
الاكليزي والهنانرو والكتاب

ثم اننا وان لم نستوفِ الكلام في هذا الملتام الا اننا محتاجون
الى الرجوع الى البيت لناكل ثم نعود للتياتر فانكم ما رأيتموه ولا
وقفتم على حقيقة ما فيه فقاما وركبا العربى واخذوا باطراف
الاحاديث الى ان وصلا مكانها ففتحوا كل نحو غرفته فلما خلا الشيخ
بابه قال له ما تقول فيما حدثنا الخواجا في هذا اليوم فقال انتم
بذلك ادرى وبالحكم فيه احرى فقال ما قال الا حقا ولا نطق

الأصدقاً واني جلت في بحر الفكر في شان هذا الامر مدة سيرنا في الطريق فوجدته في مقاله صادقاً ولاحقاً ناطقاً ما كأنه إلا ساح كل نقعة واثبت له فيها سجدة وركعة وعاشر من استوطنها من السكان في كل الازمان فانه لا يتف على تلك الاحوال إلا من كان هكذا من الرجال فله دره عالماً نحريراً وفاضلاً بالامور خبيراً حاز من كل فن طرفاً فاخذ منه ملحا وظرفاً

فقال له ابنه ومن الغرائب والعجائب معرفته بجميع اللغات فاني اراه يكلم كل انسان بلسانه مع الزلاقة وحسن التعبير والطلاقة كأنه في كل لغة اصيل وليس فيها بدخيل ومن مزياه انه محبوب عند كل من يعرفه

فقال الشيخ ان ذلك من علمه وادبه فان من تحلى بحلية الادب اغناه ذلك عن الحسب والنسب

ثم قال يابني ثم بنا نذهب اليه فذهبا فوجدا الاكل قد كملت هيأته فجلسوا جميعا يأكلون وفي خواص الاطعمة يتحدثون ثم بعد شرب القهوة ذهبوا للفرج على التياتر فاخذ الخواجا له ولهم تذاكر ودخلوا فلما اخذ كل موضعه دارت الملاعب من كل جانب فسرّ الشيخ بما رأى

وكان الخواجا يترجم له العبارات اللعبية ويبين له ما فيها من النكات الهزلية والمجدية وفي الاوقات الخالية بين الالعاب اجتمع بكثير من يعرف الخواجا فكانوا يحبونه ويمازحونه ويوآنسونه

ويراعون خاطره وهكذا الى اقتضاء اللعب فانصرف الخواجا مع الشيخ وولده وكان بالملعب خلق كثير ما بين نساء ورجال وشيوخ واطفال

فقال الشيخ اظن ان اهل هذه البلدة لا يدخلون تحت عدد وازداد تعجبه من خلوه باهم وانتظام حاله لانه رأى جميع اوقاتهم ما بين اعمال جدية سديدة وهزليات والعباب غريبة مفيدة تكسوه ثياب ثروة ونزاهة وتفيدهم علوما باحاديث الفكاهة فما يمر عليهم يوم من الايام الاّ وبتزايد اعمال الثروة والنزاهة عندهم فتمضي عليهم الايام والليالي في لذة بال

ثم وصلا الى المحل ونزلا عن العربية فقال الخواجا لهما الاستاذ ان البوسطة تتوجه غداً فان اردت ان ترسل كتاباً فحرره الليلة فقال له الشيخ جزيت خيراً ووقيت ضيراً ثم ذهب كل نحو غرفته وكان اكثر الليل قد مضى

فقال الشيخ لولده يا بني حيث لا ينبغي الان غير النوم فان شاء الله نحرر خطاباتنا غداً ونرسلها الى البلاد لوالدك والاولاد فقبل يده وقام ليأتم فقابلته يعقوب بعد قضائه ما كان مشغولاً به فسلم كل منهما على الاخر سلام اشتياق ودخلا يتحدثان بما رقا وراق فحكى له ما رآه في هذه الفسحة وعن التياتروما فيه من النزهة وقال كنت اتمنى تمام سروري بوجودك

فقال له يعقوب الايام بيننا فقال وما الذي عافك عنا

وفرقك منا فقال بعثني حضرة الخواجا الى بعض اصحابه لامرهم
فقال لعله تم على مرامه فقال نعم وقد فرح به فرحا شديداً
واستفدت انا منه كذلك شيئاً جديداً وهو هذه الساعة فهنا
بها ابن الشيخ ثم تباعدا على الذهاب الى العين صباحا ودخل ابن
الشيخ لينام فلما انتبه من نومه اخذ محبرة وكاغدا ويراغا وصار يحرر
لوالدته هذا الكتاب

اهدي عاشر تحياني الى كريمة النسب الطاهرة الاذبال قرّب
الله لنا ايام التداني

وبعد بث الاشواق ابدى لحنك ابني منذ فارقت مطلع
سعودك ومرنع شهودك وانا مشغول البال مرتبك الحال وما من
وقت ير علي الا وانا منتظر ورود خبر منك الي اطمئن به
عليك وعلى الاحوة والاخوات والامام والاخوال والعمات والحالات
ولكن كيف السبيل اني تحقق تلك الامال مع بعد ما بيننا على ان
بعد الشقة يزيد لوني وينقص خاطري وكم هاج علي الوجد وفت
الانفراد وكم صورك الهم في الفواد فيثير ما انا فيه من النيران
ولا سيما اذا اشتد الذكر لها تيك الديار وما كنت تفعلني بي من
الحنو وعطفك علي ورافتك بي فعند ذلك يهجم وحدي ويكاد
ان يشيب من تذكره فودي ولولا ان من الحنان المنان بصحة
اغز الخلان وعرفت يعقوب الذي اخبرت سيادتك عنه فيما سبق
لذيت من الم النوى واعتزني من الم الجوى ما لم اجد له دوا

ولعددت ثواني الغربة سنوات وخلت جميع اوقاتي عن اللذات
لكن ملازمته لي وشفته علي وتسليته لي برائق العبارات خفف
عني الكروب وربما نحصلت بسببته على كمال المرغوب مع صحة
البدن والنزهة في غالب الرمن ومشاهدة امور ظريفة مع ما اكتسبه
منه بالممارسة عند المحادثة والموانسة واما صاحبنا الخوجا فلا يدع
في نفسي شيئاً احبه الا ويجلبه لي لان حبه لي زائد وقد بلغت حد
التكلم باللغة الانكليزية وذلك ليس الا بهيمته فجزاه المولى عني خيراً
فصرت الان وان لم اتحصل على درجة عظيمة في اللغة الانكليزية
لكن يمكنني قضاء ما يلزمني بحيث اعبر بها عن مقصودي وامهم
ما يقال لي وقد اخذت ايضاً في تعلم اللغة الفرنسية ولست مقتصرأ
على ما اخبرتك به بل كل ما وقع نظري عليه او سمعته او
فهيمته اسطره لكي اطالعك عليه حين العود الى مصر ان شا الله
تعالى والذي يغلب على ظني انا نقيم شهراً بباريز ثم نتوجه
الى بلاد الانكليز ووالدي في هذه المدة فضلاً عن اشتغاله مع
الخوجا بقراءة بعض دروس عربية بالمدرسة امشرفية ففضله كل
وقت ينشر وفخره بين العلماء يزد ويكثر وليس ثم ما يكدره غير
الفراق وعدم ورود الخطابات الينا منكم فالمرجو عدم انقطاع
الرسائل لانها للاطمئنان عليكم من اقوى الوسائل حيث كان
ارسال الخطابات ممكن لك مع ما ياتي للخوجا من المكاتبات ثم
ارجو تبليغ السلام الى الاخوان والمحبين الكرام

ثم طوى الكتاب وذهب به الى والده وسلمه له فقرأه بتمامه وسر
من حسن نظامه وسلاسة مبانيه وجزالة معانيه ثم قال له ان
كتابك فيه الكفاية فانه استوفى ما يلزمي كتابته ثم وضع اسمه
بجانب اسم ولده وكتب على هامش الكتاب بيده وصية بالاولاد
وبارسال رسائل مع الورد تبين فيها ما عندها من الاخبار ثم
برشم الكتاب وقام هو وولده ودخلا عند الخوجا فحياها واكرم
متواها ثم قال للشيخ اني كتبت خطاباتي التي اريد ارسالها الى القاهرة
فقال الشيخ ونحن كذلك وسلمه الخطاب فوضعه الخوجا داخل
الظرف وبرشمه ثم سلم ليعقوب الظرف بمنا فيه فتوجه به
الى البوسطة

ثم قال الخوجا للشيخ اني كنت اريد ان اخرج مع حضرتكم
للتنزه حسب الاتفاق ولكن ارجوكم السماح فقد عاقني عن ذلك امر
مهم وهو ان ل احد اصحابنا قضية مهمة في بلد قريب ولا بد لي من
التوجه معه لبتها وقد واعدته على ذلك وان شئت الذهاب معنا
فلا بأس لاسيا والبلدة قريبة والسبل الموصلة لها لطيفة ولا تخلو
من فائدة وان شئت ان تبتى ههنا ومعلك يعقوب فلا مانع وان
شأ المولى في يوم غير هذا نذهب معاً ومع كل هذا فالرأي لكم فقال
الشيخ ان استحسنتم بقاءي هنا فلا مانع

فقال الخوجا الرأي ما ترونه واظن اني اعود قبيل الغروب
وفي ذهابي وايابى اسنكشف لكم الطريق فان وجدت بها مسا

يسر خاطرکم ذهبنا جميعاً فانفقنا على ذلك ثم حضر الطعام فتناول
كل منا تيسر وقام الانكليزي وتوجه وبقي الشيخ وولده
ويعقوب

المسامرة المانة

الجفرابية

فقال الشيخ ليعقوب قد سبق انك اخبرتنا ببعض حوادثك
حين اسرك ولم تذكر لنا ما جرى بعد عودك ولا ما حصل لاختك
فهذا وان ذلك فاذا ذكر لنا ما بقي منه في بالك وكان الخواجا
ترك العرب للشيخ فقال يعقوب سمعا وطاعة وها هي العرب حاضرة
فلنركبها ونذهب لننعم اللذتين ونكون التسلية بشيئين فنظر
الشيخ الى ولده فرأى السرور على وجهه فقال ذلك امر حسن

لأناباه ولكن انتظراني نحو ساعدين فان لي ارباً اريد قضاءه فاجابه
يعقوب لذلك وقام هـ. وابن الشيخ الى شرفة يعقوب فمد يعقوب يده
الى كرة وقال لابن الشيخ تذكر ما كنت وتذكر به حين كنا
في الجراول نعرفي بك فقال ابن الشيخ وقد كتبت في رقعة وارسلته
لوالدتي فقال يعقوب اني اشتريت هذه الكرة التي هي مثال للارض
بما فيها لابين لك عليها الاقطار المعمورة من غير المعمورة وكيف
تنوزع البحار عليها وحيث اهلنا حضرة الوالد ساعدين فالرأي
عندي ان انصرف ذلك في معرفة بعض شيء من الجغرافية فقال
ابن الشيخ ان في شوقاً شديداً لمعرفة هذا العلم فقال يعقوب ستعرف
ذلك قريباً ان التيت بالك فانه علم لا صعوبة فيه

ولنبداء معرفة البحار المحيطة بالدنيا ويكفي الان ان تنظر لهذه
الكرة ليتبت ما تراه في ذهنك

فاعلم ان جميع ما تراه على سطحها محدوداً بخطوط هو اسارة الى
الارض القارة والجزائر وما سواه من سطح الكرة هو المستور بالمياه
ويتكون منها البحار المسماة بآسيا مختلفة على حسب اوضاعها وهذا
الشريط المستطيل المنفرد وحده المعتمد من اعلى الى اسفل الضيق
الوسط العريض الطرفين هو المسمى بالدنيا الجديدة وهي
الامريكتان الشمالية والجنوبية فالشمالية هي الجزء الاعلى من الشريط
والجنوبية هي الجزء الاسفل منه

واما الدنيا القديمة فهي هذه القطع الثلاث المتصل بعضها

ببعض الممتدة بالاتساع من اعلى الى اسفل بدون انتظام وننقسم الى قسمين صغير وكبير فالصغير في الجنوب الغربي ويعرف بافريقية وهي قطعة من الارض منها اقليم مصر والسودان والحبشة والمغرب وبلاد اخر والكبير في الشمال الشرقي والشمال الغربي فلذا قسموه الى قسمين ايضا شرقي وشرقي فالشرقي يعرف باوروبا التي منها فرانساجرمانيا والانكليز والروس وغيرها والشرقي يعرف باسيا التي منها بلاد العرب وارض الشام والعجم الهند والصين والترك وغيرها وجميع هذه النطع الصينية المرسومة في الجنوب الشرقي جزائر كبار وصغار واشهرها جزيرة هولاندة الجديدة وباقي هذه الجزائر تسمى جزائر اوقيانوس وهي من النيا القديمة

واعلم ان ما يسمونه بالبحر المحيط الجنوبي هو كناية عما انحصر من الماء بين شرقي الدنيا الجديدة وغربي الدنيا القديمة وما يقال له البحر الاطلنطي هو المحصور بين غربي الدنيا الجديدة وشرقي القديمة وهذان البحران امتدان جهة القطبين وهناك يجتمعان ويتكون عنهما البحران النجمدان وهما النجمد الشمالي عند القطب الشمالي والنجمد الجنوبي عند القطب الجنوبي

فاذا تأملت ذلك رأيت ان معظم الارض القارة في النصف الشمالي من الكرة وان معظم الماء موجود في الجنوبي منها ولذا أطلقوا اسم الاوقيانوس على ما انحصر من الماء بين الدائرة القطبية والارض القارة من جهة الجنوب الذي منه رأس عشم الخير وبحر

الهند المحيط بجزائر الاوقيانوس ويتصل بمحود افرقة واسية من
جهة الجنوب انما هو قطعة من هذا البحر العظيم فكل ماء يجري
وسط الارض النارة من اي جهة من جهات الدنيا قديمة وجديدة
مصبه تلك الابحر الاربعة

ثم ان كل بحر منها يتفرع منه بحار صغيرة تخترق الاراضي
النارة مثل البحر المحيط قد احترق الدنيا الجديدة فتكونت بها ماء
فروع منها بحر بهران وبحر الكاليفورني وبحر تبا وكذلك دخل ماء
في الدنيا القديمة فروع مثل بحر يابونيا وبحر الصين وغيرها من
البحور وكذلك البحر المتجمد الشمالي تفرع منه فروع فمن فروعه
بالدنيا القديمة البحر الابيض ومن فروعه بالدنيا الجديدة البحر القطبي
ومن فروع البحر الاطلنطي بالدنيا القديمة بحر بلنينة والبحر المتوسط
الذي على ساحله مدينة الاسكندرية وخليج غينا وفي الدنيا الجديدة
بحر باقان وبحر هودسون وخليج مكسيك وغير ذلك وتشعب من
بحر الهند البحر الاحمر وهو بحر التلزم وبحر عومان وخليج بنجال
وبحر العمم

والبحر المحيط متصل بالمتجمد الشمالي في بنار بهران وبحر الهند
بيغازات عديدة في جزائر السند وهولاندة الجديدة ويتصل بالبحر
المتجمد الجنوبي بالاوقيانوس وبالبحر الاطلنطي بالاوقيانوس
وبيغاز ماجيلان

واما البحر الاطلنطي فيتصل بواسطة البحر المتجمد الشمالي

ببحر اسلاندة وبواسطة البحر المنجمد الجنوبي بالاوقيانوس ويتصل
بالبحر المحيط بالاوقيانوس وبنغاز محيلان وببحر الهند بالحزء من
الاوقيانوس الذي في جنوب رأس عشم الخير

وجميع المياه الجارية فوق ارض الدنيا القديمة تصب في البحر
الاربعة التي ذكرناها كما تندم وخط انقسام تلك المياه يتجه على غير
انتظام من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي فيخرج من ابتداء
الشرقي الى راس عشم الخير ويمرّ برزخ السوس

واما الماء الجاري في ارض الدنيا الجديدة جميعه فينصب في
الثلاثة الابحر الاصلية وهي البحر المحيط والاطلنطقي والمنجمد الشمالي
وخط انقسامه فيها يتجه من الشمال الى الجنوب

ومساحة ارض الدنيا الجديدة عماراً وخراباً وسهلاً وحزناً

٣٩٦ ٨٠٧٠ ميريامتر مربع

ومساحة الدنيا القديمة ٦٨٠٠٠ ٠٠٠ ميريامتر مربع اي ان
سعة الدنيا القديمة قدر سعة الدنيا الجديدة ثمان مرات ونصفاً تقريباً
وبما ذكرته لك تسلم اقسام المعور من الارض على وجه العموم
وما فيها من البحار ايضاً ثم لا بدّ بعد ذلك من معرفة الامم الساكنة
في كل قسم على حدة وهذا امر يطول لو اردنا الدخول فيه على
وجه الفصل فنقتصر على ذكره جملأً لكن قبل الدخول في
شرح ذلك اذكر لك بعض كمات تقف بها على تاريخ علم الجغرافية
لتعرف كيف تقدم هذا العلم تدريجاً

ثم نكلم على قطعة أوروبا حيث نحن الآن فيها فنقول الكرة الأرضية كانت غير معلومة من جميع جهاتها كما هي الآن فكانت كل أمة في تلك الأزمان الخالية تعد نفسها في وسط الأرض وكانوا إذ ذلك يعتبرونها كقرص مستدير يحيط به نهر عظيم كانوا يسمونه الأوقيانوس وكانوا إذ ذلك لا يعرفون من أنهار نهر البحر المتوسط وكانت أرض الروم تعتبر أنها مركز لذلك القرص ويظنونه منذاً من جهة الشمال إلى ما بعد نهر الطونة ومن جهة الغرب إلى بنغاز قانس ومن جهة الشرق إلى حدود آسيا الصغرى ومن الجنوب إلى آخر أفريقيا والبلاد المعلومّة كانت بلاد الروم وآسيا الصغرى ومصر وإيطاليا

وفي زمن هيرودوط بطل اعتقاد الناس في البحر المحيط واتسعت قطعة أوروبا وآسيا وأفريقيا ما استكشف من الأرض والبلاد وبقي ذلك إلى زمن القرطاميين فساحوا في البحر المحيط واستكشفوا الجزائر الخالدات في الجهات الجنوبية وجزء الإنكليز في الشمالية وبعد الإسكندر الأكبر عرفت أغلب بقاع آسيا الكبرى ثم إن استرابون الجغرافي الشهير حصر جمع المعلومات الجغرافية إلى وقته فكانت عبارة عن أغلب بقاع آسيا وأفريقيا وأوروبا وهي محاطة ببحر عظيم والرومانيون بسبب حروبهم في جميع جهات الدنيا احاطوا بعلم كثير من جهات أوروبا خصوصاً الجهات الشمالية منها وكانت غير معلومة لذلك الوقت وعلمت حينئذٍ الأم

الساکنة على نهر الطونة وبحر البلیکا وجزائر الانکلیز

وفي القرن الثاني من المیلاد جمع بطليموس جميع المعلومات الجغرافية وضبط حدود الارض المعلومه ووسع الکلام في قطعة افريقا وآسيا وبين أرض الصين الا انه لم يعين الحد الغربي لافريقا والمتبربرون النازلون من الشمال الذين هجموا على من باوروبا هم الذين وسعوا دائرة جغرافية هذه البقعة وذلك في القرون الوسطى ثم جاء من بعدهم العرب فبينوا جميع جهات اسيا وافريقا كل البیان وساحل أرض الصين وجزائر السند وفي وقتهم مدت الديانة المحمدية انصافها وهزت بلابل العز افنانها حتى وصلوا النهر المار من وسط أرض الهند ولم تعلم جهة شمال أوروبا الا من عهد حرب النورماندي ومن ذلك الوقت علمت البروسيا والسکنديناو والروس ومن عهد حروب الاتراك والمغول وقف على معرفة سكان البقاع المركبة لآسيا وأرض التتار وبلاد السيبيريا وغيرها من الجهات

ومن حين حرب القدس اشتاقت النامى الى السياحة فاتسعت دائرة الجغرافية اتساعاً عظيماً بما استفيد من رسائل السياحين وترحلهم فعلمت اوضاع امم كثيرة كانت خجولة الى ذلك الوقت خصوصا اوضاع اسيا وافريقا

ثم لما اشترك جميع الناس في حب التجارة والسياحة حصل لهذا الفن تقدم عظيم وكثرت المعلومات وفي القرون الثلاثة التي

اشتغل فيها اهل الوندیده وجنوه بالتجارة من بلاد الهند الى اوروبا بطريق البر لا بطريق البحر علمت اغلب البقاع والطرق المجهولة للناس ولما اخذ البرتغاليون البحر طريقاً لتجارتهم الهندية استكشفوا استكشافات عظيمة ووصلت سفنهم الى ما لم تصل اليه سفن الاقدمين حيث كانوا لا يتعدون رأس نون في المحيط الاثلاثيني اما البرتغاليون فقد وصلت سفنهم الى جزائر كناريا سنة ١٤١٧ من الميلا

ثم في سنة ١٤٢٢ وصلت الى جزائر الاسوز ثم حصل استكشاف السنجال سنة ١٤٤٥ وفي سنة ١٤٧٢ جاوزوا خط الاستواء وفي سنة ٨٤ استكشف برطولي ديداد رأس عثم الخير وفي اثناء سعادة البرتغاليين بالتجارة ظهر كرسنوف كلومب الاسبانيولي واستكشف الدنيا الجديدة في الثاني عشر من شهر اكتوبر الاثني عشر سنة ١٤٩٢ وفي تلك المدة وصل البرتغاليون رأس عثم الخير وجميع سواحل تلك الجهة ومن ذلك الوقت صار ما بين اوروبا والهند طريقاً مسلوكة وعلم الناس بحر العجم والبحر الاحمر وخليج عومان وخليج بنغال وغير ذلك من بقاع شتى وذلك انه من نحو مائة سنة كانت اغلب التجارة فيها للبرتغاليين فاستكشفوا جزيرة ملقة سنة ١٥٠٠ وجزائر السند سنة ١٥١٠ وفي التي تليها جزيرة سيام ثم في التي تليها جزيرة ملوك وفي سنة ١٥١٦ استكشفت سواحل الصين وفي سنة ١٥٤٢

سواحل يابونيا ثم فعل الاسبانيون كما فعل البرتغاليون في
 جهات امريكا وفي سنة ١٥١٢ صار اغلب جهاتها معلوما مسلوكا
 وفي سنة ١٥٢٠ علمت الطريق من امريكا الى الهند وفي سنة ١٦١٠
 كثر استكشاف جهات الدنيا الجديدة حتى علمت بتمامها

ومن حيث ذاعت دائرة التجارة والملاحة وجابت جميع
 الامر البحار بسنها واستكشفت كثيرا من الجزر ووتفوا على جميع
 الجهات المعصورة من الارض ولم يبق لهم مجهول يبحثون عليه
 غير الطريق الموصل للتطبخ الشمالي ووسط افريقيا وهولندة
 الجديدة

وما ذكرته لك وانت كان على وجه الاختصار الا انه
 يمكنك به ان تعلم كيف تقدم هذا العلم الى ان صارت الملاحة
 الآن اهلون شيئا حيث يبي على قواعد بتتضاها تجوز الفلك
 البحار العظام وتسير على خطوط معلومة مضبوطة بالحساب ويصل
 الناس الى اقصى انراضهم من اي جهة من الكرة امنين لما كان
 يحصل في الارمان الخالية فان الملاحين كانوا اغراما لكل مخيف
 لثمة معرفتهم بهذا العلم فكانوا يضلون عن الطريق واذا
 تعددت الطرق لا يدرون النجاة في اي طريق فكان من يسبح
 منهم تطول عليه المدة

وبيناها يتخذان والى تلك الكرة يظن ان دخل عليها
 الشيخ فاراد يعقوب ان يقطع الكلام فقال له الشيخ امض فيما انت

فيه قتال اني خشيت تضيق الوقت فاحسبت ان اتكلم معه على الكرة في بعض مواد جغرافية ولكن حيث حضرته فينبغي ان تقف عندما وصلنا ونخرج قتال وانا اريد ايضا ان تبين لي مزية هذه الكرة وما عليها من الرسوم باعاد له يعقوب حادبل ما تقدم بالاختصار ثم قال وسيكون ذلك ان شاء الله تعالى في مرة اخرى

فقال الشيخ بل ذلك الان ونجعل خروجنا بعد ساعة فانه ليس المراد من الخروج غير الفسحة وطال ما كنت انشوق الى الاطلاع على جغرافية قطعة اوروبا وكنت سخط بخاطري ان اسال حضرة الخواجا عن ذلك فتحدث امور تمنع وحيث كنت الان بهذا الصدد فاروم منك شرح ما تعلمه فيها فقال يعقوب هذا بعض ما يجب علي

قطعة اوروبا محاطة ببحار من جميع الجهات الا جهة واحدة فمن جهة الشمال بالبحر المتجمد الشمالي ومن جهة الغرب بالبحر الاطلنطي ومن الجنوب بالبحر المتوسط ومن الشرق بجزء من البحر المتوسط وبالبحر الاسود وبسط وهي يمر باعلى جبال القوقاز ويمتد الى بحر الخزر ثم ينهر اورال وجبالها وينتهي الى رأس وبجاز واكبر طولها خمسمائة وثلاثون ميترامتر واكثر عرض منها ثلثمائة واربعة وثمانون ميترامتر وطول سواحلها البحرية ٢١٧٢ ميترامتر وحدها في الارض طوله ٢٩١ ميترامتر ومساحتها ٩٧٧٨٠٤

ميرامتر مربع وعدد اهلها ٢٢.٠٠٠.٠٠٠ نفس وعلى حسب
ارضها وما تشتمل عليه من الجبال يمكن تقسيمها الى جنوبية
وشمالية فالاولى عبارة عن ارض مرتفعة جداً وبها جبال عالية
مختلفة هيئة وانحداراً وسواحلها البحرية خلجان كثيرة

وبارض ذلك النهر كثيرة تمتد في جميع جهاته وبهذه
الصفات تكون محفوظة من الرياح الشمالية وعرضة للرياح الشرقية
الافريقية الرطبة بسبب البحر المتوسط والثانية عبارة عن ارض
واسعة وبرك متعددة ولهذه الصفات كانت عرضة للرياح الباردة
التلجية التي تهب من اسيا ومن البحر المتجمد الشمالي فارتفاع اوروبا
الجنوبية وكثرة مواضعها سبب في اتساع دائرة الفلاحة والتجارة بها
وموجب لاستئصال اهلها وتقدمهم بخلاف اوروبا الشمالية فان ارضها
مع اتساعها ليست مسكونة الا بام قتر متوحشين في قضة حكومة
تصرف فيهم كيف شئت وكل من الاثنين وان وجد في سواحلها
خليجان وبحران وضع البحر المتوسط الملاصق لاوروبا الجنوبية
بين ثلاثة اقسام الدنيا اسيا وافريقيا واوروبا هو الموجب لسعادة
اهل هذا القسم منذ اربعة الاف سنة وهو منبع الممدن ومركز
تجارة جميع الامم ولو قارنا قطعة اوروبا بغيرها من الارض لوجدناها
اقل منها خيراً بالطبع فانه ليس بها ما بالآخرى من النبات
والحيوان والمعادن واكثر ما يوجد بارضها الحديد وكان غالبها
مغطى بالنباتات لكن مع طول الزمن ومساعدة طيب الهواء وهمة

هلمها صارت اكثر بقاء الارض عمراً وخيراً فالانسان هو الذي
 تدبيره كساها حلل البهاء فهي دليل على عظم قدر نوع الانسان
 وعلو شأنه فقد جلب لها جميع انواع النبات اللائعة من البقاع
 الشاسعة وكذلك جمع فيها انواع الحيوانات من جميع الجهات
 والاف بين هذه الاجناس فتفرع من ذلك افنان التمدن وبعد
 ان كانت انهرها تمر في خلالها بغير فائدة عمل لها اهلها جسوراً
 قوية وطرقاً هندسية وسوا سطوح جبالها ونشغلوا مستنعاتها
 المضرة فانسعت بذلك ارض الزراعة وعمرت بالمدن والبلاد
 وبحسن التدبير تسلطوا على البحار واخترعوا في ذلك اختراعات
 كثيرة حتى وصلت رسائلهم الى جميع الجهات وجلبت منها جميع
 المحصولات فزادت ثروة اهلها وصحت ابدانهم وصارت ارضها اتقى
 الارض هواء وأكثرها ثماراً وتنقسم اوروبا بالنظر للبحار المحيطة بها
 والانهر الموجودة داخلها الى سبعة اقسام طبيعية

الاول الاندلس

الثاني فرانس والجزر

الثالث جرمانيا

الرابع ايتاليا

الخامس الروم

السادس الروس

السابع اسكاندناوة

ويضاف الى ذلك قسم سكان الجزائر وهم الاكليز فتكون
اقسامها به ثمانية وهذه الانسام كانت مسكونة في الزمن السابق
نسبت لهم منبابة فكان في جزير اليونان والروم وحبش ايتاليا امة
يقال لها الملاسك وفي شمال ايتاليا وبحيث جزيرة الاندلس امة
يقال لها الايبير وفي الجول وجزائر الاكليز امة لمجال او الكلت
وفي جرمانيا والسكانديناو الجرمانيون وكانت تنقسم الى كيمريس
وتوتون وجوت وبارض الروس كان السلاف والفنواي واول
امة منهم دخل فيها التمدن هي الامة الرومية فالروم هم السابقون
في ذلك وعندهم اخذ من جاورهم من الامم ولكن لم يغيروا شيئاً
من عوائد الامم الذين استولوا عليهم وغاية ما هناك انه خرج اناس
منهم الى ايتاليا وجزائر البحر المتوسط وبعض من جنات الجول
وكانت جل همتهم بلاد المشرق فاسسوا بها دولة عظيمة ونبعهم
الرومانيون وهم امة صغيرة من الايتاليين استولوا باستمرار الحروب
على اثلاث ااول من الامم نسبت المذكورة واخضعوا بالخامسة
وجعلوها البقية

فلما تمكنت دولتهم وقويت شوكتهم واتسعت مملكتهم تغيرت
جغرافية اوروبا لجمهورية وذلك لان ملكهم وصل من جهة المغرب
الى البحر الاطلسي ومن الشمال الى نهر الرين ونهر الطونة ومن
الشرق والمغرب الى حدود اوروبا من ابتداء مصب الطونة في
البحر الاسود الى بغاز الطارق وكان حكمهم متدا كثيراً فيحكمون

على جميع الجهة الشرقية من اسيا والشمالية من افريقيا وكانت ملكهم مقسمة الى ولايات منها ولاية الروم وولاية ايتاليا وولاية اسبانيا وولاية الجول وولاية بروتانيا وغيرها مما على شاطئ نهر الطونة الاين ثم في سنة ٢٦٤ من الميلاد انقسمت تلك الدولة الى دولتين مشرقية ومغربية فكان يتبع الدولة المشرقية الروم وبعض جهات من اوروبا وولايات اسيا جميعها والجهة الشمالية الشرقية من افريقيا ويتبع الدولة الغربية جميع ما بقي من افريقية من الشمال الغربي وما بقي من اوروبا

وبعد تلك الايام قامت الامم المتبريرة التي كانت متوطنة بالجهات الشمالية من اوروبا واغارت على الجهات الجنوبية منها واستولوا عليها واطلوا دولة الرومانيين الغربية وغيره ترتيب سياسة اوروبا وسموا الارض بغير اسمائها فلذلك تغيرت جغرافية هذا القسم

والذي استولى على جزيرة الاندلس من تلك الامم يقال لها الويزجوث وعلى ارض الجول امم منهم يقال لها الفرنج والذي استولى على ايتاليا الاستروجيت ثم اللومباردي وعلى جزائر الانكليز الانجل والسكس وعلى ارض جرمانيا السلاف اي الصقالية ولم يبق من دولة الروم المشرقية الا ارض الروم فقط

فازمانهم كانت فتناً وحروباً وسفك دماء واستمر ذلك الى سنة ثمانمائة ميلادية ثم قويت الفرنج واسست دولة المغرب وكانت

تشمل على الحول وإيتاليا وجرمانيا الى نهر الطونة وخدمت
 سطوة الاقوام المتبريرة وابتدأت جرمانيا في التمدن وسمع باسم
 البلغارين والبوهيم وغيرهم وظهرت دول صغيرة منها دينمرك
 ونورويج وسويد وفينلند وظهر اسم الروس

ثم دخلت العرب اوروبا واستحوذت على الاندلس وانتزعتها
 من الاوروباويين وادخلت جزائر الروم في ضمن اسيا

واستمر النزاع بينهم الى سنة ٨٤٢ ثم زالت دولة الفرنج
 بالكلية وظهر بعدها ثلاث دول من الامم الثلاث التي كانت متركة
 منها وهي فرنسا وإيتاليا والمانيا وفي القرن الحادي عشر انقسمت
 اوروبا الى دول صغيرة فكان في الاندلس ثلاث دول وهي نوار
 وليون وكاستيل

وفي الحول فرنسا واللورين والبرونس وغيرها وفي جرمانيا
 المانيا وبوهيم والهنجري الذين هم المجر والبولونيا اي اللاه ودينمرك
 وسويد ونورويج وسكندياوة والروسية وغير ذلك وفي ايتاليا ايتاليا
 وصقلية وغير ذلك وفي جزائر الانكليز ثلاث دول بروتانيا
 وايكوسا وارلاندة وبقيت مملكة الاسلام والروم خارجة عن
 اوروبا ويتوالي الازمان وتقلب الحداث تداخلت الدول بعضها
 في بعض

ففي القرن السادس عشر تغلب بيت ملك النمسا على

اوروبا وغير ترتيبها فدخلت جزائر اليونان في مملكة الترك
وانعزلت عن اوروبا

وانقسمت ايطاليا الى سبع دول وانفصلت جزيرة الاندلس
من مملكة الاسلام وصارت اربع دول من ضمنها مملكة البرتغال
وانقسمت فرنسا الى اكثر من اثني عشرة دولة وجرمانيا الى
اربع دول المانيا والحبر واللاه ودينمارك

وانقسم الروس الى امارتين امارة ليتاني وامارة مسكو وهذه
الاخيرة مركبة من خلق مجهولة احوالهم

وانقسم السكدينواة الى مملكتين السويد ونرويج
وانقسم الانكليز الى ثلاث ممالك بروتانيا وايكوس وارلانده
وكانت نيران الحرب في تلك المدة مشتعلة ليتخلص من قهر ملك
النمسا من كان تحته من الامم فاستمر ذلك مائة وخمسين عاما ثم
انقلب ملك النمسا وخرج كثير من ملكه الذي كان مشتملا على
بمجيبة جزيرة الاندلس وايطاليا والبلاد الواطية (هولاندة) وعملت
بين الدول شروط تعرف في التاريخ بشروط ويستفالي وعلى
مقتضاها ترتبت اوروبا ترتيبا جديدا استمر الى سنة
١٧٨٩ فكانت حينئذ بلاد الروم في قبضة الترك وايطاليا كانت
منقسمة كما كانت في القرن السادس عشر وحزرة الاندلس
كانت منقسمة الى دولتين اسبانيا والبرتغال والمجول الى عدة
دول صغيرة وجرمانيا الى المانيا وبروسيا ودينمارك واللاه والمجر

والى دولة مركبة من عدة جهات وصار الروس دولة واحدة
وبقيت السكنديناوة على ما كانت عليه وصارت جزائر الانكليز
دولة واحدة

وكذا الحروب التي حدثت عن قيام فرنسا غيرت هيئة
اوروبا تغييراً كبيراً ففي سنة ١٧٩٧ كان لفرنسا حدودها الطبيعية
ما عدا سويسرة ثم زالت دولة ونديك لي البندقانيين وقسمت
دولة اللاه بين البروسيا والروسية والنمسا وفي سنة ١٨٠٢
انضمت ولاية البيومنتي الى فرنسا وزالت دولة المانيا وفي سنة
١٨٠٦ عوضت بدولة النمسا وتكونت من ولايات باويرا
وويرتانبيرج وسكس وولايات اخرى ودولة المانيا المتعاهدة وانفصل
من ايطاليا جهاتها الشمالية واستقلت وملكت فرنسا عدة ولايات
اضافتها لملكها وفي سنة ١٨٠٧ خرج كثير من الولايات الداخلة
في البروسيا من قبضتها وصارت ممالك مستقلة منها ولاية
الويستفالي وخرجت ايضاً عنها ولاية اللاه واستقلت باسم
وارسوي

وفي سنة ١٨٢١ اتسعت دولة فراسا وخرجت عن حدها
الاصلي بادخال هولاندة وسواحل البحر الشمالي وضمت لها التوسكاني
وولايات الكنيسة الرومانية وكانت تحكم على ولايات نهر الرين
وجزائر الروم وايطاليا ونابلي واسبانيا والبرتغال وغير ذلك
وكان من جملة الشروط التي ترتبت عليها اوروبا المتعقدة

سنة ١٨١٤ وسنة ١٨١٥ ان يكون جزء من جزائر الروم تحت حكم الترك وان يكون الباقي منها على الاستقلال هو مملكة الروم وصارت ايتاليا عبارة عن امارة صقلية و امارة الكنيسة و امارة توسكانا و امارات اخرى صغيرة وصارت حكومة الجول عبارة عن مملكة و جزء منها صار هو مملكة هولاندة و جزء اخر اعطي للبروسيا وغير ذلك و انقسمت حرمانيا الى تسع وثلاثين ولاية متعاهدة اكبرها النمسا و بروسيا وان يكون جميع شمال اوروبا و اسكنديناوة في تصرف الروسية وكانت منقسمة الى ولايتين تحت تصرف ملك واحد وصارت جزائر الانكليز دولة واحدة و يوجد في هولاء القوم الى الان اثار عوائدهم ولغاتهم الاصلية فالروم اغلب اهلها من البيلاسك ولغتهم من لغة الروم القديمة و اغلب ايتاليا من الامة القديمة ودخل معهم الجرمانيون في الجهة الشالية ودخل في الجنوبية العرب ولغتهم صارت من الرومية وبقي في جزيرة الاندلس ما قل من الامة الاعلية و اغلبها من الرومانيين والويزيجوث والعرب ولسانهم من اللغة الرومانية وفي الجول قليل من سكانها الاول و اكثرها اخلاط من الرومانيين و الجرمانيين ولسانهم مأخوذ من الرومانيين و اغلب سكان جرمانيا من النسل القديم والسلو ولسانهم هو لسان ابائهم الاول من غير تغير والروس عبارة عن سلو و فينوا ولسانهم اللسان القديم و اهل السكنديناوة والتوتونيون ولسانهم هو القديم ايضا و نصف اهل جزائر الانكليز من الامة

الاصلية والنصف الثاني من الجرمانيين والرومانيين ولسانهم مشتق من لسان التوتون مع اللسان الروماني او الفرنساوي وفي جهة الشمال يوجد بعض يتكلم بلسان السلت التاروهم الامة الاصلية وبعض اخر اترك وجراكسة وباوروبا في هذه الحالة ثلاثة انواع من سكانها الاصليين ففي جهة الجنوب الطائفة اليونانية الرومانية وهم ينقسمون الى اروام وتليانيين واندلسيين وفرنساوية وعددهم نحو سبعين مليوناً

وفي الوسط والغرب نوع التوتون وينقسم الى المانيين وسكنديناوة وانكليز وعددهم نحو ستين مليوناً وفي الشمال والشرق عائلة السلاو أي الصقالبة وتنقسم الى الروس والسلاف وعددهم سبعون مليوناً والى الفينوى والترك واليهود وغيرهم ويقربون من عشرين مليوناً وغالب اهل اوروبا يتدينون بدين النصرانية وهناك قليل من المسلمين واليهود وفي بعض بقاع صغيرة في جهتها الشمالية عباد اوثان واهل الجهة الجنوبية يبلغ عددهم نحو مائة مليون والروم بالجهة الشرقية وعددهم ستون مليوناً والبروتستان بالجهة الشمالية وعددهم خمسون مليوناً والمسلمون واليهود وغيرهم نحو عشرين ملايين

واما جيوش الدول الاوروپاوية فعددهم يقرب من مليونين من المقاتلين في وقت السلم ويصرف عليهم في العام ما يقرب من خمسي ايرلا ممالكها

ثم انه خشي طول المجلس فقال وهذا الذي ذكرته في هذه
 الساعة انما هو على وجه الاجمال والاختصار وان شاء الله تعالى
 في مرة اخرى ابين لكما كل دولة على حدها
 فقال ابن الشيخ كنت اود ان توقفني على البحر المتجمد وكيفيته
 وهل يستطيع احد ان يقرب منه فقال الشيخ نجعل الكلام في ذلك
 بالعربية ثم قاموا وركبوها

المسامرة (١٠١)

نزعة في باريس

فقال الشيخ اني ما خرجت مرة بهذه اللدة الا وعجيت من
 كبرها وكثرة اهلها وتنازع حركهم ليلاً ونهاراً وكان الشيخ يتضرر
 من سكناه داخل البلد لما يرى ويسمع دائماً من المحركات التوية
 والاصوات الانسانية والحيوانية فان العربات ليلاً ونهاراً تمر وتكر
 فيكون لعجلاتها اصوات في تصادمها بالاحجار المفروشة في الطرقات

ولشبابيك الدور والنصور والحوانيت ارتجاج من الارياح والفتح
والغلق وللسكاري واصحاب الالهاب والحظوظ اصوات والحان
وزهاب وايب وكل ذلك يورث الفلق ونشويش البال وتعطيل
الاشغال فقال يعقوب لو سكنا خارج البلد لكان بنا اوفق وصحة
جسمنا ابقى وارفق فقال يعقوب رأي الشيخ في محله فان الخواجا
ايضاً متضررون من الاقامة بهذا المحل ولكن الذي الحباه الى الاقامة
به قربه من محل شمله واصحابه وقد وصف لي محلاً اوسع من هذا
يطل على حديقة وبه وبين الشارع مسافة ولو كان عند الخواجا
خبر بتضرركم من هذا المحل لبادر الى التثلة وما تاخر فائى الشيخ
عليها ثم قال ان مدينة باريز لمن اعجب مدن الدنيا بما حوته من
الحاسن والزخارف والتحف واللطائف وثروة اهلها وحس
بنائها واظن ان عيشة الفقراء بها ضنكة لكثرة اهلها

فقال يعقوب ربما كان حال الفقير بها احسن منه بغيرها
فان اصحاب المال كما يعملون الاعمال العظيمة ايرجموا كثيراً
كذلك الفقراء لهم طرق متنوعة يصلون بها الى اقواتهم وتلذذاتهم
على حسب حالهم وبقراء كل مدينة على حسبها وكل ما كبرت
المدينة وزاد بها زهو الاشياء كثرت بها طرق معاش الفقراء
فانهم مع انتشارهم في الخدم والرضائف يتبعون اموراً كثيرة لا
يعلمها الا من دقق النظر اليهم مثلاً البواب لا يقتصر على وظيفته
بل يرى هو وعياله مشغولين بما يحلب لهم سعة المعاش فالرجل

يخسف النعال والمداسات والمرأة تخطط الثياب والبنت تغني
وتتعلم الغنا والولد يسمق أجزاء الملونات وإذا ناملت تجدد بالدروب
اناساً فقراء يجمعون من التراب والطين قطع حديد ومسامير ورجلا
وأطفالاً يسمعون مراكب الناس وآخرين يقصون شعر الكلاب
وأخرين يبيعون الكبريت والحلاوة أو المشروبات للأطفال ومنهم
من ينادي على الملابس الغنيمة ومن يبيع الرياحين وأوراق
الحوادث والإعلانات وقطع اللعب داخل التيارات وهذه الأمور
وان كانت في الظاهر قليلة الفائدة لكن كثيراً ما وصل بها
الفقراء إلى ملك عقار ومال حتى عدوا من وجوه الناس وأظن
انك رايت اناساً بالليل يجمعون الورق الملقى بالطرق والعظام
فقال نعم قال هذه أمور يتعيش منها خلق كثيرون ويكسبون
منها قوت عيالهم وهناك طوائف كثيرة عيشتهم من التملق
والكذب والتبسس والخيانة ونحو ذلك مما يوجد في المدن
الكبيرة

فقال ابن الشيخ بالقاهرة كثير من الناس يجمعون فضلات
السجارات التي ترمى وياخذون منها الدخان وبيعونه بالأسواق
ويتناتون بشمعها وآخرون يجمعون قطع الزجاج وبيعونها لمن
يصنعها أساور لفقراء النساء ونحو ذلك

فقال الشيخ ان الله سبحانه وتعالى يسر لعباده طرق الرزاق
وهو في الحقيقة الرزاق فجعل لكل مخلوق وجهاً يصل إليه منه

رزقه الذي تقوم به حياته فسبحان مسبب الاسباب وهو المعطي
 الوهاب فقال يعقوب مدينة باريز فضلاً عن كونها مركزاً للهدوء
 واللعب والمحظ والطرب هي أيضاً مركز لتجارة واسعة ترد اليها من
 جميع اطراف دولتها ومن جميع اقطار الدنيا وتصدر منها الى
 البقاع كافة فلا بقعة في الارض الا وترد اليها منها بضاعة نخدها
 مرغوبة لجميع الناس لاحكام صنعتها وحسن روثها واهميتها فكل
 اهل اوربا يرغبون فيها ولا يستغنون عنها وكذا اسيا وافريقيا
 وامريكا وجزائر الاوقيانوس فلذلك تعلق الباريزيون بالاشتغال
 بالصنائع واكثروا من الورش والمعامل فانسعت دائرة تجارتهم
 فتراها بذلك منبع الصنائع اللطيفة والتحف المنيفة فليست تحت دولتها
 فقط بل تحت دول الكرة بتمامها

ثم قال ايها الشيخ قد صرنا خارج البلد فينبغي ان نصرف
 هذه الساعة في الترويح والتنزه وان شاء الله تعالى ابين لكما
 اشتملت عليه باريز من الصنائع وما فيها من الورش والمعامل
 وبيوت الاعمال فنظر الشيخ يمينا وشمالا وقال ما الطيف هذا النسيم
 شتان ما بينه وبين ما في داخل البلد فما هما من مورث الصحة
 بسبب صفاء الهواء بقدر ما هناك من موجب المرض بسبب
 كدورة الهواء والعفونات فلنعم انت من انسان حيث جئت منا
 الى هذا المكان ثم صار يكرر الالتفات يمينا وشمالا منتو التصور
 فيجد بعضها بحافة الطريق والبعض بعيداً عنها وكل منها داخل

حديقة حسنة الشكل منظمة الوضع فيها من كل انواع الاشجار
 والازهار وكان يرى اودية بين الفصور فيها البقول والخضراوات
 ونارة يجد ارضا متسعة كلها اشجار ملنفة وازهار مؤتلفة الا ان
 بعضها مرتفع وبعضها منخفض وفي بعض اماكن جبالا وهضبات
 مرتفعة متراكمة بعضها فوق بعض كطبقات الثوب وما نظرا الى
 جهة الا راى الشمس قد رسمت على سطحها صوراً مختلفة من
 ظل الصخور والاشجار التي بها فكانت الريح بها تتحقق والاعضان
 ببعضها تصفق وتخلل للشيخ في ذلك الوقت ان هناك موسقى
 تضرب لما يسمعه من حفيف الاشجار وتغريد الاطيار وصياح
 البلابل وترنم العنادل ونارة كان يمتزج حفيف الشجر بخير
 الجداول والانهار وتغريد القماري والاطيار فتفكر الشيخ في محكم
 هذا الصنع وقال من تأمل محركات هذه الاشجار قال انها متنوعة
 بالحياة في هذه الدار ولها شهوات كما للحیوانات فترى البعض
 يخضع ويتضع والبعض يعلو ويرتفع والبعض يتأيل وينعطف
 على غيره والبعض مضطرب اضطراب المتعاضين واخر
 ينضم انضم المتعاضين فكان الالة والتحاب والانساف والاجتناب كما
 يكون بين نوع الانسان يكون بين الطيور والاعضان فترى
 البعض كمن ذهب وقاره او اذاه جاره والبعض كمن اقتقر بعد
 الغنا او فارقه خلانه حتى آل الى الفنا ففيها المجدد عن اوراقه
 والمجروح باحنكاك الاخر فيه وخالي الجوف من طول معيشته

وخصوصا اذا كان مجاورا للقاء على ساقه المذهي بغصونه
 واوراقه ومنها كالمظهر للدلال يميل مع الريح حيث مال
 وفيها ما يحيط به شيء من جنسه وغبر جنسه فهذا كمن نال
 درج العز في هذه الدنيا فاما من كبير أو صغير الا ويدل على
 عظمة الخالق اللطيف الحبير

وبينا هم كذلك اذ وصلوا الى عين ماء فنزلوا جميعا
 ثم قال يعقوب للفرنجي خذ هذه الدراهم وتوجه الى تلك اللوكاندة
 وهي انا طعاما فسوجه وفي الحال احضر لهم الطعام فالوا به نحو
 العين فاكلوا

ثم قال الشيخ ان النفس بهذا المكان قد انبسطت والابدان
 من وخامة البلد قد نشطت وصار الذهن صافيا والوقت موافيا
 فان تفضلت علينا وتلوت باقي قصتك كان حسا

المسامرة (١٠٢)

نقطة حكاية يعقوب واخيه

فقال يعقوب نعم اني كنت ذكرت لحضرتكم اني بعد حضوري الى لوندرة وتمام ما كان من امر الدراهم التي كنت اودعتها عند زوجة القبطان قصدت البلد لانظر ماذا حصل لاختي في تلك المدة التي قضيتها في الاسر فدخلت قبل غروب الشمس فتوجهت الى منزل الست التي كنت انا واختي عندها فوجدت احوالها متغيرة ولم اجد احداً بالمنزل ممن كنت اعرفهم بل كلهم مستحدثون فسألتهم عن اختي فلم يبدني احد منهم شيئاً انما اخبرت بان صاحبة المنزل ماتت منذ ثلاث سنوات وقد باع زوجها منزلها وتوجه مع اخيه واولاده الى بلاد الهند فخرجت الى حانوت الجزمي معلمي فلما وقع نظري عليّ قام وعانقني واجلسني بجانبه ثم دار بيننا الحديث

فسألني عما جرى فقصصت عليه قصتي بالاختصار ثم سألته عن
 اختي فقال هي رحدها في المكان الفلاني اخذته منذ سنة وصار
 يتاسف على ما نابني ويلومني على مخالفتي له ثم استأذنه في الرجوع
 الى اختي فقام معي واخذ يدي وصرنا حتى وصلنا البيت فسانت
 زوجة البواب عن ثمة مسكنها فدللتني فصعدنا حتى وصلنا المكان
 وطرقت الباب ففتحت فلما وقع بصورها عليّ تعانقنا والمعلم ينظر
 الينا ثم جالسا وحاس المعلم معنا قليلاً ثم ودعنا وانصرف فتضينا
 غالب الليل نتحدث فيما وقع لنا من الحوادث فكان ما حدثني
 به ان قالت انها لما انتطاع خبري عنها حزنت حزناً شديداً وكانت
 الست لمحبتها لها تصبرها وتسلّيها حين البستها ثوب الصبر ولكن
 كانت تعزل الناس احياناً وتبكي عليّ واستمرت كذلك الى ان
 ماتت الست فخرجت من البيت ولم ترضَ بخدمة غيرها وأخذت
 هذا المسكن وكانت تتذات من صعة الخياطة ولها مهارة فيها
 وكانت حلوة اللسان فالفها كثير من الناس وقدموها على غيرها
 من الخياطين فاتخذت لما حاثرتا جمعت فيه عدة من البنات
 وكانت تصرف عليهنّ فاكسبت من ذلك ثمن مائة جنيه فقلت
 لها يا اختي لو جمعنا ما تحصلنا عليه لعشنا سوية في ارغد عيش
 ففرحت بذلك وبجئت على محل واسع واستاجرت له وصرنا معاً
 فكنت اخرج معها بعد تمام اشغالنا نحو النانات حول البلد وتارة
 نحو البلاد المجاورة وأخرى في ارض الزراعة او في حارات البلد

فكنت اسع منها عبارات حسنة عند ذكرها ما رآته من الحوادث
وما عاينته من المشاق مدة الافتراق وفي الخملوات كانت تلاء قلبي
سرورا بانغام لطيفة نسميني اياها ولكنها كانت اذا ذكرت ما رات
من الحوادث وما قاست من الشدائد والم الفراق ندمع عيناها
فاطيب خاطرها واسليها وكثيراً ما ارى على وجهها التغير فاسالها
فلا تفيدني شيئاً وكانت في بعض الاوقات تذكر الترهيب وتمدحه
وتمدح العزلة عن الخلق وكثيراً ما قالت لي انت السبب في
حبي للبقاء في الدنيا فاسمع كلامها ولا افكر في معناه لكن لما تكررت
منها هذه العبارات في كثير من الاحيان خطر ببالي انها تخفي
عني بعض احوالها فكنت اكثر الاستفهام منها فلا تفيدني ومضى
علينا احد عشر شهراً ونحن على هذه الحال ثم بعد ان كانت تظهر
السرور احياناً اكثر من البكاء فكنت ادخل عليها بغتة فاجدها
تبكي بكاءً شديداً فاذا راني سكنت فداخلي الوسواس وضاق
صدري وزاد هي وتمدت راحتي حتى تمتت الموت وعلى قدر
ما كنت ارجب في معرفة السبب كانت تجهد في اخفائه عليّ
فصرت بهذه الاسباب اقضي غالب الايام سياحة في البلاد وفي
الغابات فكنت اعيب اسبوعين او اكثر واعود فلا احدها تحولت
عن حالها حتى اعتراها التحول وزاد مرضها فاستاذنتها في التوجه
الى لوندرة لافرج عن نفسي فتوجهت واقمت هناك
نحو اسبوعين ثم عدت فلم اجدها بالمنزل وسالت

عنها فقبل لي انها خرجت وما عادت فضت ذرعا من ذلك
 حتى كدت اقتل نفسي وتراكت علي مصائب الدهر ورأيتني
 وحيداً كما كنت في بلاد الغربية فخطر ببالي الانبلاط بالباس
 عسى ان تزول عني افكاري وتهون علي احزاني فلما اختلطت
 بهم تحتقت خطاء ظني لما كنت اتاينه عند مخالطتهم من فساد
 افكارهم لاني كنت اذا تكلمت لا يسمعون مني وان اصغيت لتوهم
 فلا استفيد منهم شيئاً وجاهدت نفسي على ان اعودها الائتلاف
 بهم فلم يمكن فاحترت حيرة شديدة وضاعت علي الارض بما رحبت
 واحببت ان اسكن جهة من البلد خير مطروقة واعيش فيها
 وحيداً عن الناس بعيداً وكانت تظهر لي ابتداء لذة العزلة عن
 الناس واذا اجتمعت بهم كاني في فلاة خالية منهم فلا التفت لما
 يفعلون ولا اصغي لما يقولون وكانت اكثر اوقات النهار تمضي وانا
 بالكيسة متفكراً في حوادث الدهر وكنت ارى فيها بعض نساء
 خاضعة خاضعة من خشية الله تعالى واخر يطالبن غفر ذنوبهن
 وبعد خر وجههن يرى على وجوههن السرور فكانت الشهوات
 البشرية تتلاطم امواجها خارج المعبد وتنفد في داخله ففي تلك
 اللحظات كنت اطلب الخلاص من احوال الدنيا بالموت ليطمئن
 قلبي وفي الغروب اتوجه نحو مسكني فاكثرت النظر للشمس حين
 الغروب وللانجرة المتصاعدة باشعتها من المدينة فكانت تظهر لي
 كأنها تتأرجح في مائع من ذهب وفي الليل كنت امر من وسط

الحارات وانظر فيما حواليّ وانفكر في وحودي ببلدة مثل هذه كبيرة
ولا صاحب لي بها ولا حبيب ومن مبدأ عمري وانا في الموان
الى هذا الان وبعد ما ظننت ان الهموم انتقضت باجتماعي باختي
سام في الدهر بفرقتها من غير ان تعلمني بمسئرتها وما دربت ماذا
حسن لما ذلك مع علمها ان لا محب لها شيخي فكان ذلك بهيج
اشجاني ويزيد احزاني فحل بجسمي السم وزاد الألم فكنت بسبب ذلك
امضي الايام متفكراً ومن هذه الامور متخيلاً ثم طرأ عليّ في يوم ان
اذهب نحو النباتات واعتزل عن المخلوقات مدة الدهر الى انتفاء
العمر فذهبت الى ما اردت فضوّعت عليّ العذاب امثلاً وزاد
البدن اضمحلاً وزاد بي الفكر واشتد عليّ الامر وقضيت مدة
طويلة على هذه الحال فكنت اقيم في الغابة تارة واسبح فوق رؤوس
الجبال اخرى لا ارى غير السحاب ولا اسمع غير الرعد وكنت ارى
القرى على بعد كاتبها نقط سود حولها دخان وانفكر في الرعاة
والزراع حين رؤيتي لهم على بعد فاقرل ما من احد منهم الا وله
اelf يتربح سود وقلب يحن له حين يجتمع به فكل منهم له امر يهمه
وانت يا يعقوب حكم عليك التاھر بالمزلة وكيف تطلب الراحة
بها مع انك لم نجدھا فيها وماذا عليك اذا اقتديت بفيرك ورجعت
الى العمران واخترت من النساء امرأة تنضي زمنك معها وتشتمل
بامر تعيش منه وربما رزقت باولاد تفرح بهم وتزول بهم عنك هذه
الهموم فكنت ارتاح بتلك الافكار ثم بعد قليل اقول اي انسان

يرضى باعطائك ابنه ولا حسبك ولا نسب لا سيما وهم يعرفون
أصلك ومحل تربيتك وعلى فرض وجود من يرض بك فمن
يكمل لك دوام المعاشرة واستمرار المودة وكيف اطمئن الى معاشره
الناس مع ان ما حصل من اختي شقيقتي شاهد بعدم بقاء المودة
بيني وبينهم وهل احد اقرب الي من اختي ثم تكرر علي الافكار المحزنة
بجيوشها حتى اقول ان كانت الحياة هكذا فالموت احسن من الحياة
وجمع الاموال بمقاساة الاهوال فكنت مترددا غريقا في بحار الافكار
لا اقف عند رأي ارتضيه واذا وقفت تغير لوقته فصرت كسفينة
في لجة تسير مع كل هواء هب وموج دب وكلما تأملت احوال
الخلق سئمت عشرتهم وانغضت انتمهم وفي بعض الاحيان كنت
الوم نفسي واقول ما من احد الا وله امر يهيمه ولا بد من
مرور هموم الدنيا على كل احد فلا صغير ولا كبير ولا حفيظ ولا
امير الا ويلحقه امور تذكره فيلزمه ان يستعدها ويصبر عند نزولها
وعلى العاقل ان يسير مع الناس في طباعهم واخلاقهم وليس له ان
يحكم على الناس بطبعه فينبغي لك ان تلتزم بالخطأ في امورك وتنزع
ثياب العزلة والحزن عنك فكنت ارجع الى البلد واخالط الناس
مجنهدا في موافقتهم والسير حسب طبائعهم فعزم عليّ معلمي بالاقامة
عنده لما بلغه خبر اختي قتلت له ان ضعف قوتي وشغل فكري
يمنعان من ذلك ووعده اني ان اقيمت في البلد لا اجعل اقامتي الا
معك فكنت اتردد عليه احيانا وهو يوادني ومضى نحو اربعة اشهر.

على ذلك وأنا غير مشتغل بامر وفي تلك المدة ما تركت بلدة الا
 ذهبت اليها لاستخبر عن اختي وبسبب انها كانت تخبرني بحب
 الرهبانية ضمنت انها تكون في احد الديورة فطمت على جميعها فلم
 اقف لها على خبر ولم اثر لها باثر والعجب اني ما سمعت بخبرها من
 احد من اهل البلد وكانها قد ابتلعها النبراء او اخطفها النسور
 الى السماء ثم دخلت المسكن ذات يوم بعد عودي من لوندرة وكنت
 فارقته من مدة خمسة عشر يوماً فرجدت على الطاولة مظروفا
 ففضضته فوجدته من اختي فطار لي وخفقت بلابل قلبي فقراته
 فاذا فيه

أخي وعزيزي وقره عيني الله يشهد على ما بقلبي من حيي لك
 ولو ملكت بذل روحي لتكون زيادة في عمرك لفعلت وارغب ان
 اصرف جميع طبياتي في جلب السرور لك ولكني حثيرة ذليلة وقد
 قاسيت من ذهري ما لا يقاسيد غيري وهذا سبب فراقك واخباري
 الرهبانية والعزلة ما دمت حية فارجوك الصغى عما حصل مني في
 خروجي عنك وانفصالي منك بدون علمك وما بعثني على ذلك
 الا خوف منعك لي عما سنخ بفكري مع نصيبي عليه وطيران قلبي
 اليه وانت تعلم ببلي للرهبانية ونعلم اني ليس لي راحة في سواها فعذري
 قائم لديك وحالي لا يخفى عليك وقد علمت ببلي للرهبانية ومن
 وقت خروجي من عندك الى الان وأنا في الدير القلاني وقد اخترته
 على غيره لما فيه من الراحة لي لحسن موقعه وكثرة مزاياه ولي خلوة

اتعبد فيها متى دخلتها كان البحر تحت نظري وأواجه توانس
 وحشتي وتذهب الم وحدني وموقع هذا الدر فوق الجبل بعيد
 عن كل طريق والغابات محيطة به يذكرني الأيام التي مضت علينا
 في الاجتماع مع الهناء والسرور فأفرج بذلك كربتي ويكفيك مني
 معرفتك قدر حيي لك واني ما اخترت العزلة الا لراحتك ولوعرفت
 فائدة في معرفتك الاسباب الموجبة لذلك لعرفت انما ولكن
 معرفتها لا تزيدك الا كربا على كربك وهما على هك وقد حررت
 لك كتابي هذا بدموع عيني فأرجوك قرأته بعين الرضى عني فهي
 عن كل عيب كليلة ومع كل هذا فلا حيلة في حكم القادر فأرجوك
 ان تصفح عني الصغ الجميل وتقبل عذري ولا تنيب ظني فبأرجوت
 فقلب اخذك بأديين اكنوى وازداد به الم الجوى وأرجوك ان
 لا تنعزل عن الناس وان تتزوج لك امرأة تقوم بشأنك لتزول
 عنك الاكدار واذا تزوجت بامرأة فيرجى ان ترزق منها بالذرية
 التي بها يكون سرورك ثم اني ما اتممت قراءة هذا الكتاب الا
 وقلبي في خفتان واضطراب فقلت في نفسي ما هذا السر الذي
 تخفيه عني وأوجب مفارقتها لذة الدنيا مع حداثة سنها ولاي شيء
 دفنت نفسها بالحياة فلا بد لذلك من شان عظيم وخطب
 جسيم ثم فتحت الكتاب وقرأته نائيا وقلت ربما يكون فاتني شيء
 منه اول مرة لم افهم معناه فلم افهم منه أكثر مما فهمت اولاً انما يلوح
 من الفاظه صورة محزنة فهت منها انها ربما احبت انساناً وتخلت عنها

او تحققت عدم الوصول اليه بوجه حل اما نظراً لمحالها او حاله وقوي هذا عندي بامور تذكرتها كت ارأها منها من ذلك انها كانت تكتب مكاتيب وترسلها مجتهدة في اخفائها سني وقد قوي عندي هذا الظن حتى حاولت صرفه فلم ينصرف فاخذت ورقة وسطرت فيها ما يتضمن استعطافها ورجائي منها ان تسمع لي بشرح حقيقة امرها ولحمت لها بما خطر بفكري لكن بلطف وارسلته بالبوسطة فلم يرض غير قليل الا وورد منها افادة لم تفدني بها شيئاً غير نهيبها لي عن العزلة وتحريضي على الانس بالناس والحث عليّ بالزواج فعند ذلك عزمت على التوجه اليها وافعل ما يمكنني في نهيبها وردعها عما هي فيه لعلمها تسمع مني فسررت اليها بعد جمع ما بقي من الدراهم فلما وصلت الى الدير سألت عنها فقيل لي انها لا تكلم احداً فكتبت لها مكتوباً فافادتني في رده انها اعدت نفسها لخدمة المسبح وليس معها وقت تشتغل فيه بامور الدنيا

ومن ضمن كتابها انها قالت ان كنت تعزني حقيقة وتحب لي الخير فلا تشغلني عن التوجه الى الرب والتجرد عن الاشغال بالخلق فان روءيتك لي تشغلني عن العبادة نعم ان رضيت ان تكون لي والداً يوم الاستتراف كما هو الاوفق بمروءتك اذنت لك لك بالدخول عليّ فعميت من صدور تلك العبارات عنها مع علمها بما عندي من الحزن عليها وغرقت في بحر فكري فكنت تارة اقول ينبغي الرجوع حالا وتارة اقيم هنا حتى انظرها وتارة اقول

أقتل نفسي وقت دخولها الكنيسة مع الرهبان فاربح نفسي من تلك الاموال واحرق قلبها وانص عيشها كما احرقت كبدي وكدرت صغيري ونصت علي عيشي حيث دفنت نفسها بالحياة وبيننا انا كذلك جآني خبر من رئيسة الدير بانها قد اعدت لنا دكة نجلس عليها يوم المحضر وهو اليوم التال فاقمت بقية اليوم والليلة بنامها كأني اقلب على جمر النضا حتى اسفر الفجر فقممت الى باب المعبد الذي هي فيه فوجدت هناك خلثا كثيرين فوقفت معهم فحاج رجل واخذ بيدي واجلسني على الدكة قريب المحراب فصرت اقلب نظري برسا وشمالا ثم نعد رهة فتح باب صغير فخرجت منه اخي وعلمها من الجمال وثاب الزينة ما لا يوصف فنسيت عند ذلك همومي واسترني من الحشوع ونظام الدين ما لم يكن من قبل وكنت انظر اليها بعين العينة والتعظيم وفي تخطر والتسيسون حولها حتى اجلسوها تحت مظله ثم تجرد احد القسيسين من زيقه واتى عليه ثوب كنان وصعد المنبر وخطب خطبة قسيرة ذكر فيها سعادة البكر التي حضرت ووهبت نفسها لخدمة المسيح وفي الحال تضرعت الراخ الزكية من جميع جهات المعبد وكانت الناس تلب النظر من التمس اليها ومنها اليه ثم نزل من فوق المنبر ولبس ثيابه الرسمية وامر بتتين فأثنا باخي الى اخر درجة من العتراب فهناك جثت على ركبتيها ثم دعوني لأودي واجبات الابوة فتمثلت بين يدي القسيس

لأنأوله المقص فرجع حينئذٍ ما كنت ظننت زواله وعظم عندي
الكرب وظهر لي أنها لم تتمالك نفسها بل كادت أن تنش عليها
الآن أنها نظرت إلي نظرة معتذر متباد فهمت وداخلني خشوع
ثم أجرى المقص على رأسها فارال شعرها الذي كان يسترها اذا
نشرته ويلحق الارض اذا ارسلته ثم اتى لها بثوب من صوف
فلبسته وبخمار فغطت به رأسها ووجهها وبرداء من كتان
فتردت به

وحيث كان خروجها من الدنيا وزهدها فيها لا يتم ولا
يكمل الا بصورة موتها ودفنها كالميت الحقيقي التمت نفسها على
الرخام كالميت فكفنوها ووضعوا حولها اربع شمعات وقد اخذ
القسيس الكتاب وهو بلباسه الرسمية والرهبان مخفون به وكنت
حينئذٍ قريباً منها حريصاً على معرفة جميع ما يحصل من الحركات
فسمعت صوتاً خفياً من داخل الكفن وصل الى اذني ولم يسمعه
غيري والفاظه يا اله العالمين رب السماوات والارضين ان
تجعل هذه اللحظة آخر عمري حتى لا اقوم من موضعي وان تصب
على اخي الذي لم يقاسمني فيما جنبيت من الخطيئة الصبر فيطمئن قلبه
ويعيش عيشة مرضية ولما سمعت منها ذلك استراني اضطراب
فوقعت على اختي فقلت يا عروس المسيح بصفح الرب عنك حيث
تركتني وحيداً اكابد تنغيص الايام فاضطرب من بالكنيسة ما
فعلت وصاحوا بي فاخذت مغشياً عليّ ولما افقت وجدت الامر قد

قضي وقد لحق اخني من الحمى ما لحقها وجعلوا يطلبون مني ان
لا ابحت عن لقاءها فعظم ذلك عليّ وخرجت لا ادري اين اتوجه
فدخلت غابة ومسرت افكر فيما حصل لي ولها من الحوادث ثم قلت
في نفسي ليس لك الا مفارقة هذه الارض فانه لم يبق لك فيها ما
يوجب اقامتك بها وانما انتظرت شفاء اختي لاردعها فبقيت نحو خمسة
عشر يوماً استنشق اخبارها فتارة كانت تبلفني وتارة لا ثم بلفني
خبر موتها

قال راوي الحديث فعند ذلك هطلت عينا يعقوب بالدموع
واخذته حالة الدموع لما ذكر موت اخيه وشقيقة روحه
فقال له الشيخ

كل ابن انثى وان طالت سلامته

يوماً على آفة حياء محمول

ومعلوم ان ما جرى لكما يجري لنير كما فتزود الصر تنزب بالاجر
وكيف تجزع وقد طفت اللاد واعطيت غنلاً وافراً فهل رأيت
حياً لا يموت واعلم ان الحوادث للرجال كالحكم للذهب وسترزق
راحة ينعم بها بآلك وتحسن بها حالك

فقال يعقوب ان في صحتي لكم عوضاً من كل فائت فاني
منذ اجتمعت بحضرتكم هدأ روعي فارجو ان لا يفرق الله بينا وان
يجعل اخر حياتي بين يدي حضرتكم وقد عزمت على ان اقيم
بارض مصر

الحامرة (١٠٢)

البورصة

فقال الشيخ هذا مما يسرني وهي نية خير وتحقيقها سهل فعن قريب نعود وتكون معنا خصوصاً وحضرة الخوجا يعزك كثيراً وكان الرقت قد قرب فقال الشيخ نحن مدعوون الليلة عند صاحبنا الملياني ويلزمنا الذهاب اليه وفي وقت اخر نتم لنا اخبار حوادثك فقاموا وركبوا حتى دخلوا المدينة فلما وصلوا منزلهم وجدوا تذكرة كتبها الخوجا الملياني وتركها على الطاولة مضمونها اني حضرت لزيارتكم فلم اجدكم وعن قريب اعود وان حضرة الخوجا الانكليزي ارسل لنا تذكرة يعتذر فيها عن الحضور لامر منعه وساعد قبيل المغرب لانشرف بكم وتسبرون معي الى بيتي فاخبر الشيخ يقوب وولده بذلك فاخذنا بتهيان للتوجه واذا بالرجل الملياني قد

حضر فقال ان جملة من الاحبا دعوتهم مع حضرتكم وها انا قد حضرت حسب ما اخبرت جنابكم في الذكرة فقاموا جميعاً وركبوا عربة ثم ساروا فمروا بسراية مشيدة البناء مزخرفة الارجاء حولها اناس كثيرون في حركة عظيمة

فقال الشيخ ما هذا المكان فقال الخواجا هذا المكان يسمى البورصة اي بيت المصارفة واعمال التجارة بين باريز وجميع جهات المملكة وبينها وبين جميع ممالك اوروبا والمشرق وامريكا فهو مكان تجتمع فيه الصيارفة الكبار والساسة وعظماء التجار وهومن ضمن العمارات العظيمة التي تتباهى بها باريز وينبغي رؤيتها والنظر للجاري بين الناس فيها فقال الشيخ لعلنا ننظره في يوم غير هذا ان كان هناك اذن بالدخول فقال الخواجا ان دخوله مباح لجميع الناس وامر هذا المكان عيب واصطلاح اهله في تخاطبهم غريب فمن لم يعرف اصطلاحات الصيارفة المدفق عليها فيما بينهم يظن انهم ليسوا من اهل باريز لان لهم لساناً خاصاً بهم يتكلمون به فيما بينهم وبين عملائهم ولا يعرفه غيرهم وهناك ازدحام شديد وللانفاظ تصادم قوي ينشأ عنه دوي هائل بحيث يمنع الطارىء عن فهم معاني الانفاظ لاخلاطها وعدم تميزها

وما يزيد الانسان تعجبا انه لا يوجد هناك غير الكلام واما المبادلة وقبض الدراهم فشيء نادر ومن يتأمل في احوال اهله ويمعن النظر فيهم يرى البعض منهم مسروراً والبعض بالحزن

مغموراً والبعض يقلب من الحيرة كفيه ويتف شعراً لحيته ومنهم
 المتفكر ومنهم من يضرب ويجمع ومنهم من لا يستقر في موضع
 بل يطوف والى ما بدا منه يرجع وأساس ذلك كله حب الدرهم
 والدينار فانها يفعلان بالعقول ما لا تفعله الخمور فمن ذهب ماله
 غاب عقله وساءت حاله ومن ربح تمت مآربه وصفت مشاربه
 فيلزم من يريد الدخول في زمرة ان يكون خيراً بمعاني المفاظم
 وكيفية معاملاتهم وعلى يقين من معارفهم وحيلهم وطرق حسابهم
 واصطلاحات سمارتهم وعوائد خاصتهم وعامتهم والا فلا بد ان
 يقع في شباك مكائدهم وحبال مصائدهم

فقال الشيخ ان بالقاهرة مكاناً له شبه قليل بهذا يقال له
 حارة اليهود فيه كثير من الصيارفة والمرابين ففي بعض ايام السنة
 تزدهم عليهم الخلق الواردون من الارياك وغيرها اما للاقتراض
 او للتسديد او لتغيير المواعيد فهم يتجرون في غفلة العالم ويغتمون
 فرص الاحياج فيحملون الخلق اثقال الربا ومن حرصهم لا يقرضون
 الا برهن او ضمانة وبكثرة ما يطلبونه على كل مائة يرى كثير من
 الناس قد آل امره الى بيع مارهته ولحقته الفاقه ولبس ثياب الذل
 بعد العزوف في بعض الاحيان يطالب الكفيل والمكفول معاً فكم
 من متأوه من هذه الطائفة والعجب ان الرباء محرم في الشريعة
 الاسلامية ومع هذا لم يبق من الناس في هذا العصر فقير ولا غني
 الا وهو واقع فيه ومن كثرة التعود عليه صار كأنه من الامور

المجازة بل ربما يرى ذلك بعض الناس انه من فعل الخيرات
وازالة الضرورات ويرون الامتاع منه من الحرج والتضييق على
العباد وتعطيل الارزاق

فقال الخواجا التلياني ايها الاستاذ ان الجاري بهذا المكان ليس
كالجاري بجارة اليهود بمصر لان المعاملة في هذا المكان خاصة
بالشركة التجارية ليس شير

واما المعاملة بالفائدة والمصارفة فمخصوصة بالبنوك ومن
ذلك حارة اليهود واماها فانه اذا فرض ان بعض الناس رغبوا
في الشركة في عمل شيء تبلغ تكاليفه زيادة عن قدرتهم استأذنوا
عنه الحكومة ومنى تحصلوا على الاذن عين المجلس قيمة السهم في
هذه الشركة ثم تعطى الاسهم لاحد مأموري الاعمال لان هناك
اشخاصا معينين بامر الحكومة يقال لهم مأمورو الاستبدال فيحتذرون
ينادون عليه فكل من رغب في قدر اخذه وربما حضر اقوام بعد
توزيع الاسهم يطلبون الاخذ بزيادة عن المقدار ظنا منهم رواج
الامر فيشترون بازيد وهذه الاسهم كالبضائع التجارية تباع
وتشترى وتغلو وترخص حسب ما يعثور الامر المشترك

فهو

واما الجاري بجارة اليهود عندهم وعند الصيارفة على العموم
فهو مباداة القود بغيرها فكل منهم تراء ينتهز الفرصة فيجعل القيمة
على حسب ما يراه من الاحتياج فاذا رأى مضطراً اطبعه وزاد

في اكرامه وسهل له امر الربح ليرغب في معاملته فان لم يتفطن
المضطر لمكن وقع في حبالته وكلما ازداد عليه الدين طمع فيه وازداد
في الربح واجتهد في الاستنواذ على حجب املاكه فاذا علم ان ما في
ذمته صار قريباً من ربع قيمة املاكه او ثلثها امتنع عن اعطائه
وسلك به طرق العسف فيشكوه ويترافع معه في مجال الحكومة
الى ان يؤل الحال الى الحكم عليه ببيع ملكه لسداد المطلوب منه
رأس مال ورباً وقل ان يبقى المدين شيئاً من ثمن ملكه فهذه
حالة فظيعة يجب البحث على الطرق المختصة منها لاستدعائها
خسارة كبيرة فان اقل الفرط عندكم اثني عشر في المائة كل عام
مع انه ضعف الفائدة ببلادنا اذا غلا سعر التود فان المعتاد
عندنا اربعة او خمسة او ستة في المائة وفي بلاد الانكليز من اثنين
الى ثلاثة واذا غلا السعر يبلغ اربعة على انهم يضجون اذا صارت
الاسعار هكذا او يعدون هذا الامر من اعظم الحوادث التي يكثر
فيها القيل والقال وقد سمعت ممن اثق به ان فرط المائة في
الشهر الواحد قد يبلغ بالقاهرة ثلاثة او اربعة اعني زيادة عما
يحصل بلوندره اثني عشر مرة بل اكثر ولا شك ان ذلك
من اعظم الضرر وتسديده في غاية العسر لان الفرط اذا كان
في كل شهر اربعة بالمائة يكون ثمانية واربعين في السنة فاذا اخذ
الخناج مائة فانه يكتب عليه سنداً بضعفها تقريباً لانهم يعطونه من
المائة اثنين وخمسين ويقطعون منه الباقي وهو ثمانية واربعون

في نظير الفائدة ويكتبون عليه السند بالمائة بتمامها فاذا طلب مائتين فانه يقطع مائة واربعة فقط ويكتب عليه السند بمائتين وهكذا اذا طلب ألفا واكثر فمن اين يسهل السداد على المتترض سواء كان تاجرا او زراعاً فالصيارفة اذا ببلاد المشرق من اكبر المصائب ودوامهم على ذلك يوجب سلب نعمة الاهالي بل بعض التجار والصيارفة يستعملون طريقا اقبح من علو امر الفرط وهو انهم يترقبون الوقت الذي هو قبل خروجه المحصول فيسعون الارزاق بتمن بحس فيأني المضطر فاخذ منهم نقودا بقدر معين من المحصول على حسب تسعيرهم وقد يسعون قنطار القطن مثلا بجنينين فياخذ الطالب مثلا مائة جنيه فيكتبون عليه خمسين قنطارا يومئذ بها بهذا السعر بعد شهر مثلاً فاءذا جاء الوقت طلبوه بها فياخذون ما راج لهم منها ثم يكتبون ما يقي عليه في سند جديد بقيمة وقت التسديد مع اضافة الفرط في نظير صبرهم الى العام القابل وهكذا يفعلون معه في كل عام بهذه الطريقة فيبقى الشخص دائما مكبلا في اغلال قيود الدين مطالبا بنفس المبلغ الاصلي بل باكثر منه وما دفعه من المحصول كأنه ربح المال وفي كل عام يفعل الصراف حسب ما يرغب فتارة يقلبه من صنف الى اخر وتارة يجعله نقدي في ذمته والفلاح لا يعارض في ذلك لاحتياجه وتراكم المطلوبات عليه للميري والاهالي والعيال وليس في امكانه التخلص لعدم اقتداره على التسديد فيبقى كالاجير عنده

بالاكل ليس غير وقد شاهدت ذلك بنفسى مذ كنت ببلاد الشام والتترك ولا فرق بين التجارى هناك وعندكم ورأيت من العالم جميعاً الضجر من ذلك ويتمنون زواله وانظامه فعلى المحكام وولاة الامور النظر فى ذلك ومنعه والبحث عن اعمال الطرق التى يستقيم بها امر المعاملة بين الناس ونجح بها مساعيهم فى زراعاتهم ونجاراتهم

وفى الازمان الماضية كان المرائون يفعلون ببلادنا كفعلم الان ببلادكم لكن الحكومة التفتت لهذا الامر وربطت قيمة معينة للنقدية لا يتعدها احد وكل من تعدى عد مرايا وعوقب على مقتضى القانون فمهدت نيران اهل الربا الا انهم لم يتقطعوا بالكلية وبقي السفهاء والمسرغفون يترددون عليهم لكن لا يقع ذلك ببلادنا الا سراً اما التجارة والسلف العامة فجميعه فى البرصة فيقف الانسان على سعر كل يوم بل كل وقت بسبب الاخبار والحوادث التى ترد بالنظر فى يوميا فلا يحصل ضرر ولا غدر كما يحصل اذا كان الامر منه للصراف فى حانوته او بيته بدون معرفة بالحوادث اليومية ولم تظهر البرصة بباريز الا سنة ١٥٦٣ ميلادية بامر الملك شارل التاسع فكان اول مجلس عند للنظر فى حال التجارة فى سراية المحتانية ولكن فى سنة ١٧٢٠ تعين مكان مخصوص صنع من خشب موقفاً باحدى زوايا جنيينة سراية سواسون التى محيت وكانت معدة لسكن افراد من العائلة الملوكية وصار الناس يتعاملون باوراق

الحكومة وكان في تلك الايام لا يفتح هذا المكان للمعاملة الا ثلاث ساعات قبل الزوال وساعتين بعده ما عدا ايام الاعياد والمواسم وترتبت بوسطة عسكرية للمحافظة عليه وضبطه ولما كثرت حركة العالم اليه وتوجيه همهم نحوه واخذت نظهر به مشاجرات استوجب ذلك مداخلة العساكر فيه لفصل ما يحدث به من المشكلات ثم صار يزداد فامرت الحكومة باطاله ومنع تجمع الناس بالطرق لهذا الشأن ورتبت قصاصاً على من يخالف الامر ويقتم ذلك الطريق المنهي عنه فجعلت جزاء التغريم الجسم فضلاً عن السجن الطويل وعينت ستين حراً يتوزعون في نواحي البلد بلا حرج عليهم وانما المخرج والجزاء على غيرهم في الاوامر ان من تجرأ غرم تغريمًا عظيماً ومع هذا فكانت الناس تتجرأ على هذا خنية فعوقب منهم كثيرين

ولما اثار الناس السكري للحكومة وطالبوا فتح البصرة فتمت سنة ١٧٢٤ وعينت لوكندة تسي لوكندة مزران وشيدوها وزينوا واجهتها سنة ١٧١٤ فكانت العيارفة والسلمرة يقيمون بدورها الارضي ومدة بونابرت الاول نقلت الى احدى الكنائس ثم نقلت منها الى السراية المملوكية وعادت الكنيسة الى اصلها وفي سنة ١٨١٧ بنيت هذه السراية التي رأيتها وخصصت لذلك وسارها على متسع من الارض قدره ثلاثة الاف وخمسمائة متر وطولها اثنان وسبعون متراً وعرضها خمسون متراً والدور الارضي به الخواصل ومحال

المشروبات وبها ديوان متسع طوله اثنان وثلاثون متراً وعرضه ثمانية عشرو في اخره فسحة عظيمة تسع من التجار الفا يتعاطون الامور التجارية وبالديوان شباك من حديد والصيارفة تجتمع في محل بالدور الاول للمداولة في امر التجارة وغيرها وفيه اماكن معدة لديوان التجار ثم زاد هذا المكان اعتباراً وترى الان فيه زيادة عن امر الاقتراض المشاركة في عمل سكك الحديد واستخراج المعادن وفتح الورش الحسيمة ونحو ذلك من الامور النافعة التي تسع بها دائرة الثروة وفي سنة ١٨٥٢ جعل على كل من دخله فرنك واحد فتقص المترددون عليه واشتكى من ذلك البنكيكات والصيارفة والتزموا لمدينة باريز مبلغ سبعمائة وخمسين الف فرنك على ابطال ذلك فلم يقبل منهم

وقد احصى عدد من يدخل البُرصة كل يوم فوجد من ثلاثة الاف الى اربعة الاف وتحصل منه سنة ١٨٥٧ مليون ومائة الف فرنك

وبالجملة ففوائد هذا المكان كثيرة جداً وبيان المجاري فيه يحتاج لمعرفة امور شتى لكن لا وقت لذلك فانا وصلنا المنزل ولا بد ان اذهب مع حضرتكم بكرة غدٍ واطلعكم على احواله

المسامرة (١٠٤)

بيت الكتب

ثم وقفت العربية فنزلوا ومضى بهم الخواجا الى البيت فصعدوا على درج حتى وصلوا الدور الاعلى فوجدوا فسيحة متسعة وبها صاحبة المنزل فقامت وقابلت الشيخ وكان رئيس الجمعية المشرقية هناك فقام له واستقبله ثم قال ان التلامذة يشنون بكل لسان على الشيخ بما حصل لهم من الفائدة وقد تمنيت على حضرتكم مجلساً يعقد كل يوم اثنين حيث تكون الساعة الثانية بعد الظهر فقال الشيخ لا مانع ثم جاء المدعوون واحداً اثر واحد وجماعة عقب جماعة حتى تكاملوا وتعرف الكثير منهم بالشيخ وصاروا يحبونه ويظهرون السرور به فسر الشيخ بذلك سروراً عظيماً واستأنس بهم كانه بيت احد اصحابه بمصر فان جميعهم كانوا محدقين به يتذاكرون معه في فنون العربية على اختلافها فكان هذا يساله عن معان لغوية وهذا يسأله عن قواعد نحوية وهذا عن حادثة

تاريخية وآخر يطلب منه معنى بيت شعر وهو يحيمهم ويزيد لهم في
 الفوائد وبينا هم يتفكرون وفي فنون العلم يتقلون اذ دعوا للطعام
 فقاموا جميعا الى الاكل فتعاطى كل بحسب طاقته وكان في الطعام
 بعض الفواكه فقال بعض الحاضرين أنبدا بالفاكهة ام نؤخرها
 فقال الشيخ ان للشيخ الاحموري في ذلك نظماً جميلاً بين فيه
 ما يقدم على الطعام من الفاكهة وما يتاخر وما يكون وسطاً
 حيث قال

قدم على الطعام توتا خوفا

ومشمشاً والتين والبطيخا

وبعده الاجاص كمثرى عنب

كذاك تفاح ومثله الرطب

ومعه الخيار والجميز

قنا ورمان كذاك الجوز

فتلقوا منه تلك الابيات بالقبول وكانوا يسرعون لحفظ
 ما يقول وتم بينهم مجلس الاكل في تلك المحادثة ثم عادوا الى
 الديوان الذي كانوا به فجلس الشيخ وولده ورئيس الجمعية
 بجانبه ومن رغب في المشي تمشى مع صاحبه او صاحبه فجاءهم
 صاحب البيت وجلس معهم ثم بعد ان دار الحديث بينهم قال
 اني منذ كنت بمرسيليا وعدت حضرة الاستاذ ان اريه خزانة كتي
 واطلعه علي ما احتوت عليه

فقال الشيخ ونحن لذلك منتظرون وللوفاء بالوعد
متشوقون فقال تفضلوا بنا ان شئتم ثم قام معه الشيخ والرئيس
فدخلهم من باب في وسط الديوان الى مكان متناسب الابعاد
يقرب من التربع وفي جميع جهاته غير الباب دواليب محكمة
الصناعة من خشب جوز الهند الاسود وعلى ابوابها رسوم من
النحاس لطيفة مختلفة الاوضاع والاشكال وفي تلك الدواليب
كتب محبوكة مرصوفة صفوفا متناسقة كل صنف على حدته
مع النظافة للمكان بما فيه والرونق الذي يسر الناظر وارضه مفروشة
ببساط فحمي اللون وسقفه منقوش بابدع النقش وفيه من عجب الصور
ما يدهش الفكر ويسر النظر وفي وسط مكان الكتب طاولة
من جنس خشب الدواليب وعليها كل ما يلزم من ادوات
الكتابة مع بعض كتب فاعجب الشيخ ذلك النظام وما بتلك
الكتبخانة من الحسن مع الاحكام فقال نندر وجود مثل هذه في
بلاد المشرق وانها لشبه كتبخانات الملوك فقال الخواجا كيف
لورأيت خزنة الرئيس فان بها قدر ما في هذه مرتين او اكثر
واما هذه فارن ما بها ليس الا ثلاثة الاف ومائتي كتاب فقال
الرئيس خزاتي وان كانت اكبر لكن ليس لها من الرنق
والاثقان ما لهذه واغلبها ورثته عن ابي وجدي فقال صاحب البيت
بل هي اجمل واجل لان بها من الكتب ما لا يوجد في غيرها
فقال الشيخ اذ لا بد انها لا تخلو من كتب غريبة فقال نعم ثم

التفت نحو الجهة الشرقية من الكتبخانة وقال جميع ما في هذه
الدوايب كتب مشرقية وهي كما ترى ثلاثة اقسام فهذا للكتب
العربية وهو اكبرها وهذا للفارسية وهذا للتركية وقد رتب خزاني
هذه حسب اصلية فالجانب الغربي فيه من الكتب ما
يتعلق باوروبا والجانب الجنوبي فيه ما يتعلق بامريكا وجزائر
المحيط والشمالي فيه ما تيسر جمعه من الكتب التاريخية والفنون
الادبية حسب اقتداري وجعلت كل فرع على حدته ورتبته كما
ترى على حروف الهجاء فاذا اردت اي كتاب اطلعت على الدفتر
فعرفت نمرة وحرفه فقال الشيخ ما الذي فيها من الكتب العربية
فاخذ الدفتر وقرأ له اولاً كتب التفسير فاذا فيها تفسير ابن
عباس وتفسير ابن عبد السلام وتفسير ابن جريج وتفسير ابن
الجوزي وتفسير ابن بركان وتفسير ابن ابي شيبة وتفسير ابي
الضيا وتفسير ابن جرير وتفسير ابن ابي حاتم وتفسير ابن فورك
وتفسير ابن ماجه وتفسير ابن المنذر وتفسير ابي الحسن وتفسير
ابي ذر وتفسير ابي طالب الكرمانى وتفسير ابن مردويه وتفسير
الاخوين وطواع الانوار وتفسير الاردبيلي وتفسير الاسفرايني
وتفسير اكل الدين وتفسير البقاعي المسمى بنظم الدرر في تناسب
الآي والسور وتفسير ابن النقيب وتفسير ابن عبدوس وتفسير
الجمامي وتفسير حجة الافاضل وتفسير ابن جماعة
ومن الحديث كتاب فتح الباري شرح البخاري والعيني شرح

البحاري والسندي شرح مسلم الحلية لابي نعيم والفردوس للدليهي
والسنن لابن ماجه ومسانيد الائمة ومشكاة المصابيح للإمام علي قاري
ومشارك الانوار للصاغاني

ومن التوحيد كتاب ابيكار الافكار واحلى المواهب وتبصرة
الدلة والتسديد شرح التمهيد وتأسيس التقديس ورموز الكدور
وزبدة الكلام وعمدة النظر والفوز بالسعادة ومفتاح الغرر
ومدارك العلوم ومشارك النور ونهاية المقبول وهداية الهادي

ومن الفتاوي في مذهب ابي حنيفة فتاوي ركن الدين
الكرماني وفتاوي احمد بن عبدالله البلخي وفتاوي امين الدين محمد
بن المتعالي المصري وفتاوي بدع الدين وفتاوي حسام الدين وفتاوي
الحنفية لسعد الدين الفتاراني

ومن الفتاوي في مذهب الشافعي فتاوي ابن ابي عصرون
فقيه الشام وفتاوي الحداد وفتاوي ابن رزين وفتاوي ابن الصلاح
وفتاوي ابن عبد السلام وفتاوي ابن القاص وجملة من فتاوي
المالكية وكذلك الحنابلة

ثم قرأ في اسماء كتب اللغة منها كتاب قاضي الحق لابي العلا
المعري وقاعدة البيان وضابطه اللسان لابي جعفر احمد بن الحسن
المالقي وكتاب الكامل للبرد النخوي وكتاب الاساس وكتاب
لسان العرب وتاج العروس وشرح القاموس وغير ذلك من كتب
اللغة التي لا توجد مجتمعة في كتبية في احدى بلاد الاسلام ثم قراء

اسماء غربية المثال عزيزة المثال في التجو والمعاني والبيان والبديع
 ككتاب سيويه وغيره وككتاب دلائل الاعجاز في البلاغة واسرار
 البلاغة والمفتاح وغير ذلك

وفي المنطق غرائب المؤلفات وكذلك كتب علم الاصول
 وغير ذلك

ومن التاريخ كتاب اخبار الزمان وكتاب ابي الفدا
 وكتاب ابن خلدون وتاريخ ابن الاثير وغيره من كتبه
 الغربية ثم بعد ذلك اخذ الدفتر ووضعه مكانه واتى بمصحف
 مجلد مظرف في داخل كيس من الديباج الاخضر ففتح
 الشيخ فوجده مكتوباً بالخط الكوفي في رق الغزال ثم جلس وصار
 يقرأ ثم قال التلياني يا حضرة الاستاذ الحمد لله الذي جمعني بك
 فاني منذ زمان متوقف في بعض اشياء في القرآن ولكوني لا اعرف
 علوم اللغة العربية على ما هي عليه لم تزل وقفاتي ولم اجتمع باحد
 في بلادنا من علماء العرب يفهمني حقيقة الحال فقال له الشيخ ما
 وقفاتك فقال ان في القرآن قوله تعالى فيومئذ لا يسئلك عن ذنبه
 انس ولا جان وقوله ولا يسئلك عن ذنوبهم المجرمون مع ان فيه
 فوربك لنسئلكم اجمعين عما كانوا يعملون وفيه فلنسئلكم الذين
 ارسل اليهم ولنسئلكم المرسلين فيبين الآيتين الاوليين والاخيرتين
 على ما يظهر لي تناقض فقال له الشيخ هذه من وقفات العلماء ولكن
 شرط التناقض ان يتحد الزمان والمكان والغرض فقال ليها الشيخ

ليس ذلك كله يوم القيامة قال بلى ولكن يوم القيامة كما اخبر الله
 مقداره خمسون الف سنة وعرف بالاخبار انه يكون مشتملاً على
 مقامات مختلفة فلا مانع من ان يكون السؤال في وقت من
 اوقات يوم القيامة ولا يكون في وقت اخر وفي مقام من مقاماته
 ولا يكون في مقام اخر وحينئذ لا تعارض في الايات ولا تناقض
 فاطرق رأسه برهة ثم اقبل على الشيخ وقال له والله انك عالم باسرار
 لغتكم فقد ازلت عني كثيراً من الوقفات فاني كنت اري بين قوله
 تعالى لا تخصصوا لديّ وقد قدمت اليكم بالوعيد و(بين) قوله
 تعالى ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تخصصون تناقضاً وبين قوله
 تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وبين قوله هذا يوم
 لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون تناقضاً وبين قوله تعالى
 فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتسألون وبين قوله واقبل بعضهم
 على بعض يتسألون كذلك وبذلك الجواب ازيلت تلك
 الوقفات والله المنة والشكر الجميل حيث جمعنا بحضرتكم نقتبس
 من انواركم ولقد كنت اول امري متحاشياً عن السؤال مهابة
 فالان لما زال عني من غياهب الشك بسبب سؤال واحد ارجو
 من جنابكم الاذن لي في السؤال فقال الشيخ نحن لا يطيب لنا
 عيش الا بالمذاكرة في العلوم فانه حياة ارواحنا فسل ما
 شئت فذلك غاية مرغوي فقال الحمد لله اني صرت من الان
 فصاعداً أجريئاً على ان اسأل حضرتكم لانكم ابصر الناس بتلك

العلوم فقال هذا من كمالك وحسن ظنك بي اني بالنسبة لعلماء تلك الصناعة لا أعدّ فقال كيف ذلك وانت لها كالأصل منه يستمدّ ثم قال ايها الشيخ ان القرآن معجز بنظمه وان نظمه غير مقدور للبشر وان الجن والانس ان اجتمعوا على ان يأتوا بمثله لا يمكن لقوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً وقد ورد ان اهل زمان النبي محمد صلى الله عليه وسلم كانوا على الغاية في الفصاحة والبلاغة فعجزوا عن الاتيان بمثله ثم تحداهم بعشر سور فعجزوا ثم تحداهم بسورة واحدة على الاطلاق فلم يقدرُوا ايضاً وفي السور (انا اعطيناك الكوثر) قصيرة جداً فلو انهم قدرُوا على مقدارها وهو ثلاث آيات لكانوا قد اتوا بالمتحدى به فكيف ذلك مع ان نظم القرآن يشهد ان نظم ثلاث آيات بل ثلاثين آية بل الأكثر لا يعوز الفصح فضلاً عن ان يوز الافصح ولو كان وحده فضلاً عن ان يظاهره الانس والجن

فقال الشيخ ومن اين توعخذ هذه الشهادة من القرآن قال ان فيه حكاية موسى (واخي هارون هو افصح مني لساناً) ثم فيه عن موسى قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري الى قوله انك كنت بنا بصيراً وهذه احدى عشر آية عندكم فانا قدر فصيح واحد وهو موسى على احدى عشر آية في موضع واحد أفلا يكون الافصح اقدر وان كان واحداً على اكثر فكيف اذا

ظاهره في ذلك الانس والجبن

فقال الشيخ اما وقفانك فوقفات من رسخت في العلم قدمه ولكن هل اذا عبرت على لسان صاحبك بكلام على نسق مخصوص واذا سمعته يقول كمت اريد ان اقول هكذا وما كان ييسر لي ينزل ذلك منزلة القول قال لا فقال الشيخ ادا لا يقال ان موسى قدر على نظم احدى عشر آية لانها حكاية عن معنى كان يريد ولا ييسر له ان يعبر عنه كما في الايات فقال لله درك قد ازلت عني ما كمت اظن انه لا يزول ولكن عندي وقفة اكبر من هذه لعل كشف القناع عنها يكون على يد حضرتكم فقال الشيخ نيسير الله اعلى فقال يا حضرة الشيخ أفي كون القرآن من عند الله شك قال لا قال كيف وهو ينادي بانه من عند غير الله قال الشيخ كيف ذلك وتغير وجهه فقال لا تتغير ان السؤال اقتضى ان يكون الكلام هكذا فقال الشيخ بيم ينادي ذلك فقال اوليس في القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً

قال الشيخ نعم وما يتبع من ذلك قال ان فيه من الاختلافات اكثر من اثني عشر ألفاً كما تسمع اصحاب القراءات يتقلونها اليك وهل عدد مثل ذلك لا يكثر

قال الشيخ مهلاً قد هالني اول سوءالك فاسمع ما اقول تجد القرآن منادياً بانه ليس من عند غير الله وذلك انه ليس المراد بالاختلاف اختلاف الروايات كما فهمت بل المراد التناقض في

خبار والتفاوت في مراتب البلاغة فانك اذا استقرت ما ينسب
 كل واحد من البلغاء اشعاراً كانت او خطباً او رسائل لم
 تجد قصيدة من المطلع الى المقطع او خطبة او رسالة على
 جهة واحدة في علمو الشأن فضلاً عن وجود جميع المنسوب الى
 احبها على تلك الدرجة بل لا بد ان تجد اختلافات كثيرة في
 لام المتكلم الواحد فتري البعض فرق سمك السماء علواً والبعض
 ت سمك الارض نزولاً وما ذلك بخاف على ذي بصيرة أليس
 وكذلك قال بلى قال اتجد القرآن على اختلاف رواياته مختلفاً
 البلاغة قال لا قال الشيخ ابكفك ذلك في الجواب عن
 الك فقال بكفي ثم بكفر ولك الشكر والمنة ثم اثنى عليه
 داد قدره لديه وقال ايها الشيخ بقي في ذهني حاجة اريد ان لا
 نيتها عنك قال الشيخ وما هي وتسم ضاحكاً فقال ان القرآن
 شك كلام الله وقد علمه لمحمد عليه الصلاة والسلام بلا شك
 ه وما علمناه الشعر وما ينبغي له فقال الشيخ نعم قال وهذا
 ندعي ان لا يكون فيه شعر مع ان فيه من جميع بحور الشعر فان
 من بحر الطويل من صحيحه فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر
 نه فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن ومن مخزومه منها خلقتنا كم
 ها نعيدكم وزنه فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن ومن بحر المديد
 سنع الفلك باعيننا ووحينا ومن بحر الوافر ويخزم وينصرم عليهم
 ايشف صدور قوم مؤمنين ومن بحر الكامل والله يهدي من

يشاء الى صراط مستقيم ومن بحر الهزج من مخرومه تالله لقد اترك
الله علينا ونظيره القوم على وجه ابي بات بصيرا ومن بحر الرجز
ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلاً ومن بحر الرمل وجفان
كالجواب وقدر راسيات ونظيره ووضعنا عنك وزرك الذي
انقض ظهرك ومن بحر السريع قال فما خطبك ياسامري ونظيره
نقذف بالحق على الباطل ومنه او كالذي مر على قرية
ومن بحر المنسرح انا خلقنا الانسان من نطفة ومن بحر الخفيف
ارأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ومنه لا
يكادون يفقهون حديثاً وكذا قال يا قوم هؤلاء بناتي ومن بحر
المضارع المخروم يوم التناد يوم تولون مدبرين ومن بحر المتنصب
في قلوبهم مرض ومن بحر المجنث مطوعين من المؤمنين في الصدقات
ومن بحر المتقارب واملى لم ان كيدي متين

فقال الشيخ سبحان الله ألم تعلم ان الشعر اشترطوا فيه ان
يكون مقصوداً فقالوا هو الكلام الموزون قصداً فقال نعم قال
الشيخ ما اوردت من هذه الايات ونحوها ليس مقصوداً موازنته
لتفاعيل الشعر ولم تقصد فيه اسباب ولا اوتاد ولا فاصلة صغرى
ولا كبرى فليس شعراً اصلاً وعلى تسليم ان ذلك من الشعر ليس
يصح بحكم التغليب ان لا تلتفت الى ما اوردت لكونه قليلاً نادراً
والنادر لا حكم له فيحكم على مجموع القراء انه ليس بشعر فيقال
بناءً على مقتضى البلاغة وما علمناه الشعر

فقال ايها الشيخ لقد اجدت فيما اجبت وقد شئيت مني الغليل
وازلت شبهاً ما كنت اجد لها من مزيل فانت الرجل علماً وادباً
وعقلاً وكلاً لا ليتني لا افارقك ابداً ثم خرجا من الكتبية وصارا
يتحدثان في أمور شتى حتى ازف الليل فاستاذن الشيخ للقيام فصحبه
الرئيس وصاحب البيت وبعض الحاضرين تعظيماً له حتى ركب
عربته وسار معه ولده ويعقوب الى منزلهم

المسامرة (١٠٥)

قصيدة

وفي صبيحة تلك الليلة دخل يعقوب على الشيخ فسلم عليه
وعلى ولده ثم قال رايت باوراق الحوادث امس ان احد الاشقياء
الشائع ذكرهم بنواحي بارز قد ضبط منذ ايام وفي هذا اليوم
يكون بت الحكم عليه في مجلس الحكم وارغب الحضور هناك لانظر

بماذا يبيت عليه فهل تاذن لحضرة نجيلك في التوجه معي فقال الشيخ
لا بأس إنما لا بد أن تكونا ههنا قبل الزوال فإن حضر الخوaja
توجهنا معه حسب ما يحصل عليه الاتفاق وإن لم يحضر ذهبنا
نحو العين التي كما بها أمس فقد انشرح صدري من روعيتها فقال
يعقوب سمعاً وطاعة واخذ بيد ابن الشيخ وسارا راجلين يتحدثان
الى ان وصلا الى المحكمة فوجدا اناساً كثيرين هناك وبابها طائفة
من العسكر يمنعون البعض من الدخول فتقدم يعقوب للمضاط
وعرفه انها غريبان ويريدان الدخول فابى ان يدخلها فجهلا
يتحيلان عليه بانواع الحيلة فلم يجد ذلك شتاً وبينهما كذلك اذا
بالخوaja التلياني الذي كانا عنده بالأمس قد اقبل فعرفها وسلم
عليها وتكلم مع ابن الشيخ بالعربية وكلم المضاط كلاماً عرفه
الحقيقة ثم ادخلها فوجدا خلقاً كثيرين محيطين بحاجز من حديد
بداخله محل الحكم الذي هو صدر المكان وفيه جميع الاعضاء كل
على حسب درجته والرئيس هناك على كرسي مرتفع وامام الجميع
طاولة فلم يلبثا الا قليلاً وتم المجلس فامر الرئيس باحضار الجاني
فاتي واجلس على كرسي من خشب وصاروا يسئلونه نحو الساعة
ثم قام الرئيس وتلا خلاصة طويلاً ثم هاحت اللباس فرحا وصار
العسكر يخرجون اللباس فمن الازدحام وكثرة اللغط وعدم معرفة
ابن الشيخ بلغتهم كما ينبغي لم يعرف الامر على ما هو عليه انما عرف
انه قد حكم على الجاني بالقتل في يوم معين

ولما خرجا رغب ابن الشيخ ان يفهم قصة هذا المحكوم عليه فلما بعدا عن الازدحام سال يعقوب عن تفصيل القصة فقال يعقوب عرج بنا على احدى القهاوي لنستفيدها من اوراق الحوادث لاني لم اتحققها باطرافها فذهبا الى فوهة قريبة هناك وجلسا بخزنة صغيرة وطلب كل منهما ما يستمني وصار يعقوب يقرأ اوراق الحوادث الى ان قضى ما اراد ثم رمى الورق وقال ان اصل هذا الشقي من قرية قريبة من مدينه اورليان تركه والده في المهد فرنته امه ولما بلغ سنه عشرين عاما كان يساعده في المعيشة ولكن كان شقيا من ابتداء طلعه حتى عرف بذلك بين اقرانه وهو في المكتب وكانت البنات تذكره لتحرئه على ما لا يليق مع انه قبيح المنظر وسقيم الجسم احد شقيه عاطل فكان اذا مشى يضحك منه من يراه ولا يألفه احد من النساء لدمايته ولسخافة عقله كان يجتهد في نيل ما لم يتمكن منه من النساء ولو بالفهر ومع كون شهواته كشهوات الحيوانات العجم تعسق بتنا بارعة في الجبال وهي لا تحبه ولا تميل اليه بل كان حبها وميلها لغيره وانما تظهر له المحبة وتلاعبه لسلب امواله وهو منكب عليها بكلية وقد وقع في قلبه ان كثرة الهدايا تعطف قلبها عليه لكونها فقيرة فصار ينفق عليها كل اكتساب والدته ومع ذلك فلم يبلغ اربه مع ارياد فقره سيما وهو يحب الراحة وليس له طريق الى الاكتساب ولا يرضى بان يشتغل باشغال الفلاحين فانه كان من غباونه وجود طبعه

يتصور عظم شأنه ورفعة قدره فيهما ذلك على الترفع عن الخدمة مع ما هو عليه من الضعف والعجز فحصل له حيرة شديدة ولم يجد سبيلاً به يتحصل على مرغوبه ثم استحسن طريق الصيد فسلك هذا المسلك مع ان القوانين كانت مانعة من الاصطياد من ارض الغير وكان يقرب بلده غابة فصار يذهب اليها ويصطاد منها وما يتحصل عليه ياتي به الى محبوبته فظهرت الميل اليه واثرته على سائر احبتها فاغناظوا وضجروا وفيهم رجل من خفراء الغيطان فاخذ يبحث عن احوال هذين المتحابين حتى وقف على الحقيقة وحيث انه يعلم القوانين المانعة للصيد من ارض الغير وان من تجراء على ذلك جزاؤه الحبس ترقبه حتى قبض عليه فاخذه واورقه في يد الحكومة فصرف جميع ما عنده حتى تخلص وترك الصيد فاتطعت العلائق بينه وبين البنت لعدم ما يواصلها به واستبدلته بخصمه وجاهرت بذلك فاضرمت نار العداوة بقلبه فاراد الانتقام من الخفير فلم يقدر لشدة فقره وضيق الحال عليه فترك البلدة واقام ببلدة اخرى قريبة منها وجعل يصطاد خفية وبينما هو في صيده مرة غافلاً عن عدوه اذ احيط به وقبض عليه باغراء غريمه الاول فاخذ وحكم عليه بالسجن عاماً كاملاً

فكان في تلك المدة تنوفيه سورة الغضب ونفوى ارادة الانتقام حتى مضى الحول وعاد الى منبته فاول شيء استغل به البحث عن محبوبته ولكن لقمع منظر ورثائه حاله كانت اذ اراته

تنفر منه ولا تميل اليه فضاقت من ذلك ذرعاً واشتد به حال
الفقر فاتقاد وذل وطلب الخدمة لتحصيل المعيشة ومع ذلك لم يقبله
احد من عظماء بلده لا ارباب الفلاحة لضعفه عن الخدمة فاشتد
كربه واستحال حاله وخابت اماله

ثم اخبر رعي الاغنام فابت اربابها من تمكنه منها لعلمهم
بسوابقه وسوء سيرته فلما لم يجد للمعاش سبلاً عاد لما عوقب
عليه مرتين واتخذ حرفة ثالث مرة لكنه صحا من سكرته واستيقظ
من غفلته فتدحج بالسلاح في الغدو والروح فكان لا يغفل عن
عدوه طرفه عين ولا ينسى القبض عليه مرتين وصار بالمرصاد لعدوه
في جميع حالاته ملاحظاً لجميع حركاته وسكناته ولكن لسوء تديره
وحذق عدوه وقع في شرك الحكومة ثالث مرة بدلالة عدوه عليه
فاخذ وسجن وحكم عليه هذه المرة بالسجن والاشغال الشاقة ثلاث
سنين بعد وسمه بالنار على ظهره كالحبوان البهيمي فامضي تلك
المدة في عذاب اليم كانه في نار الجحيم وبعد مضي المدة خرج من
القلعة التي كان محبوساً بها متغيراً جميع احواله هكذا اخبر القسيس
الذي اعترف له بذنبه

فقال ابن الشيخ ثم ماذا حصل قال يعقوب اخبر القسيس
عنه ايضاً انه قال اني قبل دخول سجن هذه القلعة كنت احسن
حالاً من حالي بعد ذلك فانه ما زادني السجن الا شقاء وجباً
للغدر والفساد وذلك اني قبل سجنني كنت طائشاً صغير العقل

حتى جرتني ذلك الى ما وقعت فيه واني وان كنت قبل السجن
اميل الى الفساد لكن كان ينبغي عنه خشية العار او خوف العقاب
فلما ادخلوني السجن بزعمهم انه يربيني ويحسن احوالي وجدت به
من الاشقياء المحكوم عليهم نحو عشرين شقياً اثنان قاتلان والباقيون
ما بين لصوص وقطاع طريق فكنت اذا ذكرت اسم الله يهزأون
بي ويقولون ما لا يسعني التفوه به من سب المسيح والتفاخر بالقتل
وسلب الاموال وهتك الاعراض ونحو ذلك من حكايات تجها
الاسماع وتنفر من سماعها الطماع فاذا اردت اجتنابهم لم اجد غيرهم
فاضطررت الى العود الى مجالستهم ومجانستهم فلما طالت عشتري
بهم لم اجد بداً من موافقتهم حتى صرت واحداً منهم وضاع ما
عندي من حسن العقيدة وتعودت الامور الذميمة وألفت الكبائر
حتى فقت على اقراني في الشقاوة والفساد ولقد صدق وبالحق نطق
من قال مشيراً الى هذه الحال

عن المرء لا تسئل وسل عن قرينه

فكل قرين بالمقارن يقتدي

ولطول عشتري لم واضطراري للامتزاج بهم لم اعلم بقوله

في البيت الاخر

فان كان ذا شر فجانبه سرعة

وان كان ذا خير فقارنه تهتدي

بل تهت في اودية الضلال وغرقت في رديء الخصال وكنت

أرى في نفسي العداوة لجمع بني آدم لما قاسيت من الشدائد وسوء
الحال وهم في أمن وثروة ورخاء فكنت إذا ابصرت الشمس
طالعة من وراء الجبل الذي عليه القلعة أو سمعت صفير ربح
أو صوت عصفور هاجت أشجاني ونمت أحزاني وأوقدت نفوادي
نار ارادة الانتقام فكانت كراحتي لابناء جنسي دائماً في ازدياد فلما
استوفيت المكتوب وخرجت من السجن لم يكن لي هم الا الرجوع
الى بلدي لا حباً فيه ولا للتعيش به بل لقصد الانتقام من الذين
كانوا سبباً في شقاءي وطول عيالي فصرت أهرول وأعدو
عدوا شديداً وفي قلبي شيء يحملني على المجري كالسائق العنيف
وإذا رأيت من بعد ناقوس الكنيسة هاج ضميري وثار فكرة ما
مر عليّ من الشدائد وكبرت في نفسي حرائم اعداي فتحت عليّ
جراحي وكبرت شهوة الانتقام عندي وصرت أعدد اعداي وأصور
في نفسي ما يحصل لهم من الرعب والخوف عند رؤيتهم أياي على
حين غفلة فتهبون عليّ الألام وهكذا حتى وصلت الى البلدة وما
كنت أنظر اليها بالعين التي كنت أنظرها بها من قبل وكان
دخولي في ضحوة النهار فوجدت اناساً ذاهبين الى الكنيسة يعرفونني
وأعرفهم فنظروا اليّ وتجاهلوني فأعرضت عنهم وذهبت الى السوق
فأريت به طفلاً جميلاً الصورة وكنت قديماً أحب الاطفال فأعطيته
صليداً كان معي فاخذه مني وجعل ينظر اليّ ثم رمى به وفرّ
كالخائف فعميت من ذلك ثم قلت في نفسي لعله انما فر مني لما

رأى من تشوه هيئتي فان لي مدة ما تعهدت لحيتي فشعثنها ضرورة
يزيد في شناعة صورتني ثم خطر ببالي احتمال اخير لفراره مني وهو
انه ربما كان كغيره يعرف امري وما انا عليه من الطرد والابعاد
ففرمني وعند ذلك بكيت بكاء لم يسبق لي مثله واعترااني من الحزن
اضعاف ما عانيت في السجن وقلت قد فر هذا الطفل مني كما يفر
من الحيوان المفترس فهل عندي شبه بوحوش الجبال ام هل
رأى في وجهي علامة الفزع او انه ضاع جميع شبيهي بالادميين
من شدة عدواني لهم ثم انزويت في ركن تجاه باب الكنيسة من غير
قصد مني ولا شعور ثم قمت من هذا المكان كاسف البال لما
رأيت ان جميع معارفي واصحابي مروا بي ورأوني ولم يسلموا عليّ
كانهم لا يعرفونني ثم عمدت الى قهوة فرأيت في طريقي امرأة عليها
اثر الذل والمسكمة فتأملتها فاذا هي التي كانت سبباً في جميع ما
حل بي وقد صارت في حالة يرثى لها فعرفتني ودنت مني ونادتني
باسمي وقالت الحمد لله الذي اعادك وعلى وجهها كآبة تشهد على
اعمالها السابقة واللاحقة ورأيت ان لها اخلاطاً بجماعة من العسكر
فعرفت طريق تعيشها فصرفت وحي عنها وحصل لي نوع من
الراحة لاني رأيت من هوادني درجة مني

ثم سألت عن والدتي فاخبرت انها قد ماتت وبيعت تركتها
في ديون كانت عليها فعرفت اني صرت مجرداً من المال والاهل
وقد كنت سابقاً اتوقى ملامة الناس واخشى على نفسي العار

فاصبحت كاني مزقت جلباب الحياء عن وجهي وصرت انلذذ
 باقامتي بينهم مع نفورهم مني وتباعدهم عني لاني كنت ارى في ذلك
 عذاباً اليماً عليهم على اني ما كنت املك شيئاً اخشى عليه او احرص
 على حفظه وكان دأبي العدول عن كسب الطيبات لانها كانت
 مطبوعة في اذهانهم وكان المطبوع في ذهني حب مخالفتهم فيما
 يحبونه وكنت اعرف من نفسي اني لو رحلت عن بلدهم الى بلد
 اخر فلربما كنت اتحلى بفعل الجميل والحصول الحميدة ولكن تشغيلاً
 منهم ابيت الا الاقامة بينهم لان تذكاري لما قاسيت من الاهوال
 والالام اذهلني عن الصواب وعن كل ما يقال له شرف او فضل
 وتماذيت على ما انا فيه من الرذائل ومع هذا فكنت مضطرباً في
 احوالي غير قاصد امراً معيناً افعله انما كنت اتصور ان القوانين
 وضعت للجري على سننها والعمل بمقتضاها فخالفتها عمداً لما نابني
 بسببها من النوازل والمصائب الفاتئة الحدّ وان كانت مخالفتي
 لها اولاً جهلاً وطيشاً ثم رجعت الى الصيد مع اصراري في الباطن
 على اضرار السوء فصرت اصطاد كلها وقع بصري عليه وكانت هذه
 الصنعة عندي شهوة لذيدة وكل حين كان يزداد تطبعي عليها
 خصوصاً ولم اَرَ غيرها انتقوت منه وازداد عندي حب مخالفة
 القوانين السياسية وذهب عني الخوف الذي كان يلحقني قبل ذلك
 وصرت مزمنة على تسكين الرصاص في قلب من يقرب مني وكنت
 اصطاد لتصد الاتلاف ولا ابيع منه الا القليل على قدر شراء

القوت والرصاص والبارود واقمت بالغابات على اسواء الاحوال
 عدة اشهر حتى تنوسي امري وصاروا لا ينسبون اليّ شيئاً مما يحصل
 من الاتلافات ولا يدرون اني في البرية مصر على الغدر وفي
 ذات يوم رأيت حيواناً فعدوت خلفه اريد صيده فلم ادركه الاّ
 بعد ساعتين فحرّرت البندقية عليه لارميه فلاحت مني التفاتة
 فرأيت رجلاً قد صوب بندقته الى هذا الحيوان فامعنت النظر
 فيه فاذا هو الخفيّر الذي كان السبب في جميع ما لحقني من الهوان
 فهاج جسمي واشتعلت نيران قلبي وقلت هذا اكبر اعداي الذي
 انا هائم في الغابات لاجله هذا الغرض الذي انا قاصده هذا وقت
 انتهاز الفرصة في حرمانه من الحياة تكلمني امي ان تركته يعيش برهة
 من الزمن وارتعدت فرائضي ونضارت اسناني واضطرب نفسي
 حتى اني لم اشعر بتحول البندقية ففصرته فنفذت الرصاصة في
 احشائه فانكب على وجهه يتشخط في دمه كأنه من هدايا مكة
 ففي الحال خمدت نيران قلبي وبرد غليلي وشفي عليلي وقلت اني
 قد اخذت بثاري وكان لسان حالي يقول

ولست ابالي اذ أرحت حشاشتي

بقتل عدوي ان اعذب بالنار

ولست ارى شيئاً يلذ حديثه

وافرح منه مثل اخذي بالثار

وقلت ما اوقع هذا الغبي في شبكة صيدي الا نسيانه لذنوبه

وعدم فرضه وجودي وكأنه لم يقف على قول القائل

احذر عداوة من ينامر وجفنه

باك يقلب طرفه نحو السما

يرمي سهاماً ما لها غرض سوى

الاحشاء منك فرما ولعلما

وبينا انا اتشفى فيه اذ تغيرت حالتي وداخلني الخوف وتنبهت
لنفسي وصرت كئام استيقظ من رقدته او نشوان صحا من سكرته
وحق في المثل راحت السكون وجاءت الفكرة ولما سقط في يدي
رايت اني قد هلكت فحينئذ رجعت على نفسي باللوم والتقرع
ودهشت مما حصل مني ووقعت البندقة من يدي ورايت قواي
قد بطلت ونفسي قد همدت وقلت الان صرت قاتل نفس وقد
يئست من الحياة بذلك الفعل الشنيع الذي استحق عليه القتل
وصرت وانا في الغابة كالني في مقبرة مملئة بالاموات
لكثرة فكري في الموت وكان السكون حولي من كل جهة وكأني
اسمع نفسي تقول لي يا قاتل ثم دنوت منه فوجدته في اخر نفس
فيهت وجعلت انظر اليه مدة ثم رايتني اضحك بقهقهة واتكلم مع
الرمة واقول الان لا تتكلم ثم داخلني الشاغل ثانياً وقلت لنفسي
ان ما قاسيته من الهموم والمشاق من مدة سنتين هو عقاب ما
جنيته فيما مضى حتى رايت من الباسام والضراء ما كنت اظن انه
لا يوجد مثله للملوك غيري والان قد جنيت جناية كبيرة تستحق

الموت في الدنيا وعقاب الله في الآخرة وصغرت عندي حالتي الأولى بالنسبة لما صرت فيه لاني صرت من تخل القتل والصلب والمشقة وحبالها ونصورت لي صورة شنيعة امرأة كانت قتلت ولدها وكنت نظرت اليها مشنوقة وأنا صغير في المكتب ورايت ان حياتي من يومئذ عارت من حق القصاص وصرت اتمنى حياة المقتول لا تخلص من هذه الورطة ثم انتقلت ففكرت الى تعداد سيئاته مع طول حياته لاهون على نفسي وجعلت اربط افعاله السيئة بعضها ببعض فلم يساعدني تصوري وغابت علي المخاوف وغاب عني ما كان قبل ذلك برقع ساعة متعللاً نار الغضب في احشائي حتى اوقعني في حد القتل وسباً لانا في هذه الافكار اذ سمعت عن بعد صوت فرقلة وورقة عربية تسير خارج الغابة وكان محل القتل قريباً من الطريق بنحو ربع ساعة فانتبهت من دهشتي من شدة الخوف فاخذت في اسباب الاختفاء ودخلت وسط الغابة هائماً على وحيي لا ادري ان اتوجه ثم خطر ببالي ان مع القتل ساعة فعزمت على العود اليه لآخذها فاستعين بشئها ولم يكن معي شيء من النقود اصلاً فلم اجد لي جسرة على القرب منه وتجاذبني خوف عقاب الله تعالى واغواء الشيطان فصرت اقدم رجلاً واؤخر آخرى واتردد بين الاقدام والاحجام ثم غلب جانب الاقدام فوصلت اليه وأنا في وجل شديد وخوف عظيم فاخذت الساعة ووجدت معه ايضاً نقوداً تقرب من ريال فاخذتها ثم

اردت ان اصر ذلك في جبي فلم استطع وكأن شيئاً ممسك
بيدي ثم ترجع عندي ان اترك الساعة ولا اخذ الا الدراهم فرميتها
ولم يكن سبب ذلك خوف تعظيم كبير القتل بكبيرة السرقة بل
الحامل لي على رميها الانفة والتعاضم عن اخذها لانه قد خطر
بالي انهم لو قبضوا عليّ وهي معي لقالوا ما قتلنا الا لخذ ما
معه فينسبونني الى قله المروءة مع اني ما قتلته الا تشفياً فيه ومكافاة
له على فعله معي ثم مضيت في الغابة وكنت اعرف انها تمتد في
الشمال نحو اربعة فراسخ فتنتهي الى حدود ابلاد المجاورة لها
فاخذت اهرول واعدو عدوا شديدا الى قريب الظهر ومن
كثرة الجري ضاع عني بعض افكاري ثم صرت كلما قلت في
الجري قوتي كثرت فكري وزاد اضطرابي حتي كنت ارى
خيالات مهولة محيطة بي من كل جهة كل واحد منها اكبر
هولا من الآخر وكأن تلك الخيالات تضربني بالسلمة حداد
توالم صميم قلبي فكنت في عذاب اليم وخوف مستمر حتي كنت
اهم بقتل نفسي لاستريح من القبض عليّ والحكم بقتلي وكلما هممت
بضرب نفسي اجد عندي جبناً عن ذلك وتعز عليّ مفارقة الحياة
مع اني في رعب شديد من البقاء وبقيت حيران لا يهنا لي حياة
ولا موت وحل بي خوف عذاب الله في الآخرة واستمرت بي هذه
الحالة الى الساعة السادسة من اثناء هروبي ومرّ على فكري جميع
انواع العذاب الدنيوي والاخروي ثم اني اقللت العدو ومشيت

الهويناء وادخلت البرنيطة الى اخرها في رأسي حتى نزلت على
 عيني وسترت وجهي لاني كنت اريد ان اخفي نفسي عن كل شيء
 حتى عن الاشياء غير المأظنة وسلكت طريقاً ضيقاً لا ادري اين
 يوصلني فاوصلني الى مضيق مظلم في داخل الغابة فاردت خوفاً
 على خوف وبنينا انا اسير اذا بصوت مرتفع يقول قف مكانك
 يا هذا فرفعت البرنيطة قليلاً فرأيت رجلاً في هيئة هائلة قد
 دهمني ومعه نبوت كأنه جزع ثمالة وهو مصفر اللون مع سواد
 خفيف وفي عينيه بياض شديد مع حول وعلى وسطه حبل طويل
 قد اداره مرتين فوق سلطة خضراء وفي حزامه سكينه عريضة
 وطبخة ذات طائنتين وعند قوله قف هنا نزلت على كفي بد ثقيلة
 كالطريقة فخفت اولاً منه ولما تحققت انه من قطاع الطريق ذهب
 خوفاً منه لاني حينئذٍ كنت لا اخاف الا من يخاف الله دون
 مرتكب المعاصي ثم قال لي من تكون انت فقلت مثلك ان
 كنت كما اظن فقال ليست الطريق من ههنا فما انى بك
 هنا فقلت له وانت ما انى بك ههنا ولأني شيء تسألني
 وانت منلي فلما رأى مني عدم الخوف منه تأمل فيّ وفيما
 انا عليه وقال انت تتكلم كالشماذين ثم بهت كأنه تحير في
 امري فقلت ربما كنت كذلك بالامس فضحك من ذلك وقال
 ستعلم انا حقيقةك ويظهر لنا مقصدك فقلت اتركني اسير في طريقي
 فقال نسير سورة صاحبي فلا تعجل فسكت قليلاً ثم نطقت

بكلام لم اشعر به فقلت اتركني فالحياة قصيرة وعذاب الله طويل
فصعد نظري في وقال يظهر انك قريب من الشفق وان لم يكن
كذلك فلا علم لي بصنعتي فقلت ان لم يكن ذلك حاصلاً
فسيحصل اتركني اسبر لحالي فوضع يده في يدي واخرج زجاجة من
شنطة معلقة في ابطه فيها شراب فعزم علي ان اترب معه وكنت
في ذلك اليوم المشؤوم لم اتناول شيئاً من الطعام ولا الشراب من
والتعب فشربت معه فحصل لي انتعاش وخفت عني
متاعبي وهمومي وتعلقت بحبل الحياة وأساني الشراب ستقاوتي وتخيلت
السعادة حيث اجتمعت بمن هو مثلي فاني كنت محترداً عن الانيس
والاليف وزال عني اضطراب القلب والتاعب ثم ان الرجل
اضطجع على الحشيش فاضطجعت بجانبه وقلت له ان شرابك اراحني
فيلزمننا المواجهة والصحة وكان معه شبق فملاه دخاناً وقدح الزند
وولع منه الدخان وتكيف ثم قلت له هل مضى عليك زمان طويل
في الكار فنظر اليّ ثم قال اي كار تريد فوضعت يدي علي سكينته
وقلت له هل قنلت كثيراً وسفكت الدما فعبس في وجهي وقال
من انت يا هذا ووضع السكينة على الارض وجعل ينظر اليّ فقلت
اني متلك قاتل لكني مبتدئ في الكار فسكت قليلاً وقال انت
لست من هذه البلاد فقلت اني من بلد قريب بينك وبينه ثلاثة
فراخ وذكرت له اسمي وقلت لعله قد وصلك بعض اخباري فعند
اذك نهض قائماً وعانقني وقال طال ما تمنيت لقاءك وصحبك

وقد ساقمتك المقادير فلا فرقة بيننا الابهام اللذات الذي يستوي
عنده الجليل والحقير

ثم قال هل من العدل ان يعذبوك هذا العذاب ويسجنوك
ويحرموك من اصحابك واحبابك وبلدك بخنزيرين صدتها من
الغيطان لا قيمة لها ولا كلفة في موونتها وهل من الانصاف ان
تهان تلك الاهانة ويفعل بك ما فعل حتى آل بك الامر الى
تناسي الملة واتنى على ذلك ضياع حقوقك المالية والمالية جميعاً وصرت
بجمال يرثى لها بحيث لا يقر لك قرار ولا تستطيع الاقامة في موطن
فهل ليس للانسان قيمة تساوي قيمة الارنب

ثم سكت ملياً وقال وماذا فعلت حين اقاموا عليك النكير
بقتل الخنازير فقلت لم احد لي حيلة الا قول القائل
اذا لم يكن الا الاسة مركباً

فلا يسع المضطر الا ركوبها

وكنت كثيراً ما اتمثل بقول القائل

كفي بك داء ان ترى الموت سافيا

وحسب المنيا ان يكن امانيا

وكان الشراب قد اخذ مني اكثر مما اخذ منه فقصصت عليه
القصة بتمامها ثم سألته عن حاله فلم يرد عليّ جواباً واخذ بيدي
وقال لي نجوت وبلغت ما رجوت فسر بنا الى اخواننا لتعرفهم
ويعرفوك فسرت معه نحو نصف فرسخ فدخلنا ارضا كثيرة الشجر

فصفر الرجل نفسه فجأوه آخر من بطن الأرض وإذا بطابق قد
انفتح وبه سلم ينزل عليه الى جوف الأرض فنزل فيه وقال حتى
اربط علك الكلب ونادى الكلب فجاءه فربطه نعم الطابق ثم غب
عن بصري فداخني خوف شديد وخطر ببالي ارن اخذ السلم
وافتر به ثم نظرت الى فم الطابق فرأيت دخاناً يتصاعد كأنه طاقة
من طاقات جهنم وان احد الزبانية جاءني في صفة هذا الرجل
ليريني ما انزجر به عن الافعال القبيحة فسمعت قائلاً يقول ان
كان قاتلاً او يناه او كان مظلوماً نصرناه تم جاء الرجل وقال لي
انزل فنزلت فوجدت غاراً مستطيلاً وبه مساكن صغيرة ونساء
ورجال محدقون بنار اضرموها فلما قربت منهم قاموا جميعاً وسلموا
عليّ وحيوني واجلسوني وجلسوا محيطين بي واخذوا يسامروني
مسامرة ترفع عني الاوهام والمخاوف ويثنون على بساوتي ويمداحون
شجاعتني فانصرف عني الجزع والخوف حتى رأيت نفسي قد داخلها
العجب والكبر ثم امروا بالطعام فاكلت معهم ثم دارت علينا اكووس
الشراب فشربنا وطربنا وكنت وقت الاكل بين امرأتين حداهما
قد ناهزت العشرين وهي بكر وكانت فصيحة طليقة اللسان حاضرة
الجنان سريعة الجواب خفيفة الروح والاخرى اصغر منها الا انها
متزوجة ناشزة من زوجها لسوء عشرته معها وكانت اقوم من
الكبيرة قدأ واحسن شكلاً وارق مبنى واخف معنى نحيفة مألوفة
فهويتها وان كانت الكبيرة تسارقني النظر وتمازحني طويلاً لكن

لمبي علق بالصغيرة اكثر لمعنى فيها جذبني اليها فجعلت انزه طرفي
 ذات اليمين وذات الشمال فقال لي صاحبي كيف رأيت مجلسنا
 قلت مجلس انس وفيه كل ما تشتهي النفس فقال نحن هكذا كل
 يوم ناء كل الذ الماكل ونشرب اعذب المشارب ونتمتع بالنظر الى
 الحسان فان رضيت الاقامة معنا ورغبت في عشرتنا آثرناك على
 انفسنا ورفعناك فوق رؤسنا وجعلناك رئيساً علينا وكان قد دب
 في الشراب فلما سمعت هذا الكلام فرحت به وتذكرت اني كنت
 طريد النوع البشري والان تحصلت على ما ربي من التمتع بجميع
 الملاذ اكلا وشرباً وظفرت بمهر كنت اهواه من الحسان ربات
 الجمال وصرت آمناً مما اخاف فلم لا ارضى بما عرض عليّ اختياراً
 منهم لا سيما وقد رايت من الجماعه الاجماع على ذلك فلم اربدا من
 القبول للحصول على المامول لكن رايت ان اشترط على الرئيس
 اخذ الفتاة التي علقتها فاجابني الى ذلك وقال لي وان احببت
 جعلتك رئيساً على هؤلاء الرجال ثم قبض على يدي وقال قد
 نزلت لك عن الرئاسة فقبلتها واخصصت بصغرى البنيتين ولم
 يرازعني احد من القوم ولا عاني وصرت صاحب امرأة عاهر
 ورئيس قوم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر واخذت من حينئذ
 افسد في الارض وارتع في اساليب البغي والعدوان فهابني جميع
 الناس وراهم امري وقد كنت اشيع بين المغفلين من الفلاحين
 اني مصاحب جنية فزاد ذلك في هيبتهم لديهم وعاد عليّ من غفلتهم

ما لم يعد عليّ من شجاعتي

ولما وصل خبري الى الحكومة اهتمت في ضبطي وجعلت لمن
يدل عليّ او يضبطني جعلاً عظيماً ومع ذلك لم يتحصلوا مني على
شيء وبقيت حولاً كاملاً بين هؤلاء القوم ثم كرهت عشرتهم
والاقامة بينهم لتغير قلوبهم عليّ فاجتمع عليّ امران نفور الجماعة مني
ومحبة الحكومة عني فكنت احترس على نفسي ليلاً ونهاراً من
سطوة المحكام ومن خيانة هؤلاء البغاة الطغاة ونعد ان كنت افرح
بعمل السوء والسعي في طريق الفساد تبدل فرحي غماً وسروري
هماً وتمنيت مفارقة هذا الغرور والعدول عن تلك الشرور وندمت
على ما فرط مني من الكبائر والتفريط في جنب الله وصرت ابكي
وانتحب واقول لعلي اذا نركت هذه الطائفة واحوالها وتخلصت من
احوالها اتخلص من الرذائل واتحلى بالفضائل ثم صممت على مفارقة
تلك الارض لاعيش بين قوم لا يعرفونني واتوب الى الله تعالى
عسى ان يقبلني انه تواب رحيم

وبينا انا افكر في ترفعي عن دركات السقاوة الى اول
درجات السعادة اذ اشيع خبر قيام الحرب في جهة ايتاليا وان
الملك مجتهد في تجهيز العساكر لذلك فشدتني نفسي ان اكتب الى
الملك خطاباً يتضمن طلب العفو عني وادراجي في سلك المجاهدين
فكتبت اليه ما صورته

اذا كان رضاكم في عدم احتقار النزول الى درجة مثلي وان

الاشقياء مثلي لم يطردوا عن باب مرحمتكم ارجو التعطف عليّ
 ومسامحتي ومما اعرضه على مسامعكم العالوية اني كنت جنيت كبيرة
 القتل والسرقة ومعلوم اني بذلك استحق القتل فاننا مستعد لان
 اسلم نفسي للقصاص لكن اقدم لانتدابكم الكريمة رجاء غريباً وهو اني
 ولو اني لا اخاف من الموت لكن احب ان اموت بعد ان اؤدي
 واجبات الحياة فقصدي ان اعيس مدة اعوض فيها ما مضى مني
 من السيئات لاستحق العفو من الجمعية البشرية التي خرقت بقبح
 افعالي ناموسها فان عقابي اليوم لا يكون مثلاً لغيري ولا يكون
 لي رآة من ذنوبي يوم القيامة فارجو البقاء لاتمكن من خدمة
 الوطن بدلاً عما عرفت به من ضرر وطني فيما مضى من عمري واني
 اعلم ان هذا الذي اطلبه شيء غريب لان حياتي ليست الان من
 حقوقي حتى اشترط شروطاً على الشريعة الا اني الان متمتع بحياتي
 وحرثي ولم اكن مأخوذاً ولا مكنف الايدي ولا اخاف من القبض
 عليّ فانه ابعد شيء مني ومع ذلك فاني اطلب العفو الذي هو
 شئ مراحمكم العلية وليس لي حق في طلبه ولو فرض فلست طالباً
 له مع انه يحق لي ان اقول لمن ينظر في امري ان اسباب شقائي
 ودخولي في زمرة المفسدين انما هو الامر الذي صدر بحرمانني من
 جميع ما يتمتع به اولاد وطني واخراجي من زمرة اهل الخير الذين
 كنت منهم مع ان اصل ذلك اسباب واهية لا استحق بها الطرد
 الذي تسبب عنه اني صرت قاتلاً فلو كان من حكم عليّ بذلك

قد نظر بعين الشفقة والرحمة في قضيتي ما كنت دخلت الان
في الزمرة المذمومة وما كنت الان احناج الى طلب العفو ومع كل
ذلك فاني وان لم يكن في التواين رخصة في العفو عني فلي في
واسع الحلم امل في ذلك ولئن شملني مراحمكم لاجعلنّ ما بقي من
عمري خدمة للركاب العالي فان كان رجائي مقبولا فليصدر الامر
بدرجه في الجرائيل لاعتمد على امركم الملوكي واحضر في الحال الى
المدينة والا فلتجبر الحكومة مجراها واما انا فاحرم على عيني المدينة
ان تراها . اه .

فلما ارسلته ابطاء عليّ خبره فاتبعته باخر ثم اخر وطلبت فيه
ان ادخل في الخيالة المتوجهين الى الحرب فلما لم يظهر له اثر يبلغني
عنه خبر صرفت النظر عنه وآيست من العفو عني وعزمت على
الهرب الى ايطاليا لادخل في عسكرهم فتحايلت حتى فررت من بين
تلك العصابة وسلكت طريقا غير معروف ومررت بمدينة فاردت
المبيت بها وكانت الاوامر صادرة بالبحث عني في اوراق المسافرين
فلما قربت من باب المدينة وجدت المأمور جالسا على كرسي
فجعل يتأمل فيّ ثم طلب مني تذكر المرور فتناولته تذكرة كنت
اخذتها من رجل كنت نهبت ماله فلم يكتب بها بل قام وامرني
باتباعه فتبعته حتى وصلنا الى الضابط فوجدت عنده رجلا نحيف
الجسم طويل القامة فلما رأي ذلك الرجل قال أليست الرجل
الذي خرج عليّ يوم كذا في مكان كذا وكان معك اثنان ولولا

أني تركت لكم فرسي ما نجوت بنفسي فما أتم كلامه إلا واحد الخفراء
يقول ان الفرس التي معي هي فرس هذا الرجل بعينها فلما سمع
الضابط ذلك أمر بجبسي فسجنوني بجبس الدم قال يعقوب وقد
حكم على ذلك الرجل بالقتل بعد ثمانية أيام

فقال ابن الشيخ من يتأمل في هذه الحادثة يحكم بخطأ من
تسبب له في ارتكابه الجرائم ويحكم على هذا الشقي بأنه قد بحث على
حنفه بظلمه حتى أخذ رغم أنفه وأصل ذلك سقطاته الدنيئة وشهواته
البهيمية ولقد أحسن من قال

كل الحوادث مبدأها من النظر

ومعظم النار من مستصغر الشرر
ومن ينظر الى ظاهر حاله يراه مسكيناً ضعيفاً ولا يتوهم فيه
هذه الفعال وأنه لا قدرة له على ما ارتكبه من هذه الأهوال ولعل
قولهم الظاهر عنوان الباطن قاعدة أغلبية

المسامرة (١٠٦)

البانكات واوراق المعاملة

ثم قاما وتوجها الى الشيخ فسألها عما رأياه من الحوادث او سمعاه فاخبره ولده بقصة الرجل ثم جاء الخوجا التلياني ولم يحضر الانكليزي

فقال الشيخ ليعقوب اظن ان الخوجا لا يحضر الا اخر النهار فقم بنا الى المحل الذي كنا به بالامس لنطلع على البرصة فركبوا جميعاً وساروا اليها فلما دخلوها صار اهلها ينظرون اليهم ويعرضون انفسهم لخدمتهم وسميهم الشيخ يذكرون مدنا شهيرة واسماء كثيرة فبعد خروجهم سأل التلياني عن سبب ذكر هذه البلاد واسماء العباد فقال ان الدول في اعمالها العامة الكلية كاحاد الرعية في اعمالها الخاصة الجزئية فاذا رادت دولة من الدول اقتراضاً او انشاء امور جسيمة كالترع والقناطر والسكك الحديدية وما اشبه ذلك

من الاعمال النافعة وكانت لا ترغب عمله على ذمتها فترتب لذلك متعهدين بعد ان تقدر قيمة العمل فيأخذونه على شروط يعقدونها ويجعلونه اسهماً بربح معلوم وتلك الاسهم تباع وتشتري في البرصة على يد السامسة فيتداولها الناس كل على حسب اقتداره فمنهم من يأخذ سهماً ومنهم من يأخذ سهمين وهكذا فكل من دفع شيئاً كان له في الشركة حصة بقدر ما دفعه فاذا اراد احد بيع حصته او مات واراد ورثته ذلك اتوا الى هذا المحل فتكون السهام فيه كاللبضائع في الاسواق وحيث كانت الدول لا تثبت على حال بل تتغير على حسب ما يعرض للزمن من الاحوال كانت القيم ايضاً لا تثبت على حال فلا تكون في حالة السلم كما تكون في حالة الحرب لان درجة الامنية تتبع سياسة الحكومة فتعظم اذا استقامت الاحوال وتقل بعكس ذلك وفي كل حال من هذه الاحوال تتغير قيمة الاسهم فتارة تملو وتارة ترخص كاللبضائع فقال الشيخ اريد ان استفهم منك عن امرين كثيراً ما حاك في صدري ذكرها ولا افهم معناها الاول سمعت مراراً كلمة بنك ولم افهم معناها والثاني رايت غالب المعاملة بالورق ولم افهم تفاصيل ذلك فقال الخواجا اما البنك فهو محل من اهم محلات التجارة له رجال يدبرونه بطريقة يحصل بها النفع العام ورئيس البنك يسمى البنكي

واعمال البنك الاصلية تكون بالنقود فتارة تسلم اليه نقود

ليحفظها ويشغلها وثارة يقرض أو يقترض على حسب الأحوال وثارة يطلق لفظ بنك على أماكن تجارية تشغل ببيع الأوراق التجارية وشراؤها وتلك الأوراق مثل الأسهم في بعض شركات أو أوراق الحوالات أو الرجوع المالية أو السندات ويكون ذلك لأنفسهم أو لغيرهم فحينئذ هي نوعان عمومية وخصوصية وكثير من الأعمال تجري بالأوراق بدل النقود بل قد يرغب في كثير من الأمور في المعاملة بالأوراق أكثر من المعاملة بالنقود وعلى كل حال فالبنك عبارة عن الصندوق الذي تحفظ فيه المبالغ النقدية أو التي في الأوراق

والبنكير شخص يتولى النقود التي ترد إليه ليحفظها ويسدد منها مبالغ مطلوبة لأربابها وللبنك أموال متعددة منها أن التجار يكون لهم وعليهم فإذا أرادوا الاستراحة من العد والنقد سلموا ما عندهم من النقود إلى بعض البنوك وكلما طلب منهم أو لهم شيء أحاله على البنكير ليستلم أو يسلم ويكتب عنده فيستريح التاجر بذلك من العد والنقد والتسليم والتسلم ويستغني عن الخدمة والدفاتر التي تكثر وتقل بحسب كثرة الأموال وقتلها وقد يجمع حملة من التجار في بنك واحد فتخف المؤنة عليهم مثلاً لو فرض أن لزيد على عمرو ألف قرش وسكبرها واحد فيكتفي زيد بأن يسلم السد الذي له على عمرو للبنكير فيضيف البنكير على المطلوب لزيد ألف قرش ويخصم من المطلوب لعمرو نظيرها أو يكتبه عليه وهكذا بغير عد

او نقد بل بالكتابة فقط ولو بلغ المتعاملون ما بلغوا متى كان
بنكيرهم واحداً ولو فرض ان المدين لا يعلم سند المبلغ اللازم تسديده
في وقت معين تحت يد من هو فلا يلزمه حينئذٍ الا ان ياخذ من
البنكير عميله قبل الميعاد بوم مثلاً المبلغ المطلوب منه اللازم
تسديده وبهذه الطريقة يكفي مؤونة حفظه زمناً طويلاً ويكفي
شر غوائل كثيرة ظاهرة

وحيث كانت حركة النقدية في الدخول والخروج لاتقطع
فلواقصر البنكير على حفظ ما رد اليه وتسديد ما يلزم تسديده
بدون اعمال اخرى ربما ترتب على ذلك بقاء مبالغ جسيمة في صندوقه
بغير تربيع ولهذا تجد جميع البنوكة تتجرفياداون النقود صنفان صنف
برج قليل او كثير كما تفعل الصيارفة او يتجرون في سبائك الذهب
والفضة فيتحصلون من ذلك على بعض فوائد تضاف على المجهول
لهم من طرف عملائهم في نظير ما يجرون لهم من الاعمال التجارية
وتجارتهم في الذهب والفضة لا تضر رأس مالهم ولا باعمالهم مع
عملائهم لان هذين الصنفين مأمونان وكانهما نقود في صندوق
البنكير ولا يعسر عليه اندالها او ضربها بل متى اراد فانه يبدلها
بنقود لقضاء الشغل ويضربها نقوداً على حسب ما يرى وزيادة
على ذلك يفعلون ما يقال له الاسكت لما يرون فيه من زيادة الربح
مثلاً لو فرض ان من ضمن عملائه جماعة لهم اعمال جسيمة
ودائماً يطلب منهم مبالغ في اوقات متقاربة لا يمكنهم ادائها في اوقاتها

فيقدم لهم النقود بفائض معين بايام قليلة ولا بأس عليه بذلك لان ما خرج من صندوقه سيعود له في ميعاده ولكن متى رأى ان مطلوب عملائه اخذ في الريادة فلا يخرج بالاسكنت مبالغ مستحقة حين امكان الحركة وانما يلزمه لاجل زيادة امنه في اجراء عملية الاسكنت ان يعلم ان المقترض قادر على الدفع في الوقت المعين ويكفي في تحفظه علمه بان المقترض باع صنف بضاعه لآخر مقتدر واعطى سند الاعتراف بالتسديد في ميعاد معين فباعطاء السند المذكور للبنكير وضمانه يكتفي البنكير بذلك في الاعتماد ويسلم النقود للمقترض بعد حجز الاسكنت اي الفائدة بالنسبة للزمن المعين في السند فاذا باع زيد لعمره بضاعة بالف غرش وشرط عمرو على نفسه ان يوذي المبلغ بعد شهر فلو فرض ان زيدا احتاج الى دراهم وليس له مبالغ عند البنكير فانه يسلمه السند وياخذ منه الف غرش بتخص قيمة فائضها مدة شهر او شهرين على قدر ميعاد السداد الذي في السند ويحفظ عنده السند فيكون زيد وعمر ضامين للبنكير المبلغ المذكور فاذا بيعت البضاعة وحصل ربح فذاك والا ضمن كل منهما للبنكير قدر خسارته

وحيث كان الاسكنت يستلزم استعمال اموال جسيمة والبنكير يجد فيه ربحاً عظيماً فانه يجتهد في ازدياد المبالغ في صندوقه وفي طرق تشغيلها

وحيث ان بعض التجار يلزم له مبالغ دائماً لادارة حركته

التجارية والبعض ترد اليه تقود زيادة عما يلزم له ولا تسع نفسه بتعطيلها فله فيها طريقتان اما ان يقيمها في البنك زمناً غير معين لكن لا يكون له اخذها الا بعد نصف شهر فاكثرو فائدها اقل من الاسكتت واما ان البنكيير يسلم أوراقاً تجارية باسكتت اقل من الاسكتت الذي استولاه

وكما ان السكت يقوم مقام شخص او اكثر من اهل البلد الذي هو به او القريب منه كذلك يمكنه ان يجري تلك الاعمال بالنسبة للبلاد والمدن البعيدة عنه بواسطة اوراق حوالة من بنك على بنك اخر بمعنى انه باشتراك البنوك بعضها مع بعض تسهل اعمال التجار الموجودين في بلاد متباعدة فاذا كان لزيد او على عمرو مبلغ وكل منهما قاطن ببلد غير بلد الآخر ويريد زيد تسديد ما عليه فانه يأمر بنكييره بتسديد المبلغ لعرو فحينئذ ياذن ذلك البنكيير للبنكيير الذي ببلد عمرو بالتسديد فيسدده لانها شريكان او انه يسدد المبلغ لاحد بأكيرة بلده ممن يكون لهم معاملته مع البنكيير المقيم ببلد صاحب المبلغ هذه هي الاعمال الاساسية للبنوك ولهم اعمال اخر اقل اهمية من ذلك مثل تقديم مبالغ على رهن من ذهب او فضة او حصى املاك او عقارات او اوراق شركات او اوراق اسهم او اوراق بضائع ففي كل ذلك يلتزم المقرض بتسديد المبلغ في الميعاد المحدد بحيث لو تجاوزه كان للبنكيير ان يبيع الرهن فهذه العملية تشبه عملية الاسكتت انما تتغير قيمة الرهن ولذلك ربما حصل للبنكيير

خسارة ثم ان البنك في كثير من الاحوال يفوز للسماح فيبيع
 بالنيابة عن اخرين اوراقاً تجارية مثل اوراق الايرادات المقررة على
 الحكومة لبعض الاهالي واوراق اسهم الشركات والاقتراضات المبرية
 وفي بعض الاحوال لا تكفي المبالغ المسلمة اليه فيخرج اوراق نقود
 يتعهد باستبدالها بنقود لمن هي في يده حين تقديمها له وبهذه العملية
 تداعف نقوده التجارية بين التجار ولا تضر باحد لان لكل اسان
 حق تبديلها بنقود متى اراد فلا نقص وبذلك تكون مثل النقود سواء
 بسواء فاذا حصل مبادلة جانب منها كل يوم بنقود يبقى جانب
 اخر منها يتعامل به وذلك يزيد في رأس ماله ويفيده ارباعاً
 حقيقية

واستار ورق القدية مؤسس على ائتمان البكير لعملائه
 واكتفاء الناس على صداقته واقتداره فاذا حصل ما يخل بشيء من
 ذلك اخل نظام جميع اعمال البنك

وحيث ان الائتمان لا يكون واحداً في جميع الاماكن ولا عند
 كل احد وله اسباب حقيقية تقوى بقوتها ويضعف بضعفها كان
 الربح ايضاً مختلفاً ومتفاوتاً بحسب ذلك فاذا كانت المعاملة بين
 طائفة ائتمالها مؤسسة على الائتمان ولم عليه محافظة بحيث لا يتطرق
 اليهم ما يهدم شيئاً من اركانها كانت الارباح كثيرة وانجاح حاصل
 واذا تداعت اركان الائتمان تداعى لها النجاح واضمحلت. وهكذا
 فلذا كانت المهات التي لا ائتمان بها اصلاً لا تعامل تجارها الا

بالنقود فوراً وإن كثرت بها البنوك

ويعلم ما ذكرانه يلزم أن يكون للبكيكر في مال البنك جزء
يخصه وذلك لزيادة الائتمان فانه يكون شبه كفيل وايضا هو نافع
للبنك في استعواض ما عسى أن يقع للبكيكر من الخسران في بعض
الاعمال بسبب خطأ يقع في بعض التصرفات ويتنفع به عوضاً عن
المبالغ التي تتأخر عن اوقاتها لسبب من الاسباب وايضا هذا المبلغ
يزيد في اعماله وارباحه

واما امر اوراق النقدية فمخصوص بالحكومة فهي التي تامر
بنشره لبنك الحكومة ففي فرنسا يكون للبنك الفرنسي وفي
الانكليز للبنك الانكليزي وهكذا كل دولة من دول اوربا لها
بنك مخصوص هو الذي يخرج ورق النقدية ولا تخرج الحكومة
من ذلك الا قدراً معيناً بالنسبة لحال التجارة ولوازم الامال
واعتبار تلك الاوراق كاعتبار النقود في التعامل بين الناس
سواء بسواء كما تقدم لكون البنك متعهداً باستبدالها بنقد متى
اواد حاملها صرفها بدون توقف في اي مكان من امكة الولاية
فيأخذونها للمعاملة في البيع والشراء والاجارات ونحو ذلك
ويسددون بها الديون والتفاسيط الميرية المالية وفي الالتزامات
وكما وجد الناس عدم التوقف في استبدال الاوراق بالنقود
ووثقوا بذلك بقيت فيها الرغبة وحفظت قيمتها والا فلا يكفي
في الائتمان اعتراف الحكومة بتلك الاوراق فان من بيده الاوراق

اذا كان لا يمكنه استبدالها بنقود او باشياء اخر تفي بقيمتها فلا يلتفت الى هذا الاعتراف فان الورقة المسطورة بها الف غرش مثلاً لا تساوي في ذاتها تلك القيمة وحيثئذٍ فلا فائدة في هذا الاعتراف اذ لا يؤثر ذلك زيادة في قيمتها فان قيمتها انما هي باعتبار المزية القائمة بها النافعة في نحو شراء ما يلزم شراؤه بالمبلغ المعين فيها كما يكون مشتراه بنقود من ذهب او فضة فما دامت بهذه المزية كانت كالذهب والفضة سواء بسواء وتزيد وتنقص قيمتها بحسب زيادة الرغبة فيها وقتلتها كما يحصل ذلك في سكك النقود فان من المعلوم لكل متأمل ان قيم الاشياء التي تجعل ثمناً للسلع انما هي منسوبة لمقادير ما تجعل ثمناً له فان جعلت ثمناً لسلعة جيدة ذات قيمة كثيرة كانت قيمتها كثيرة والعكس بالعكس لافرق بين النقود وغيرها

فلو فرضنا ان ما يلزم للفرنساوية من النقود لمشتري جميع ما يلزم لهم ملياران من الافرنك يمكننا ان نعتبر ان هذا المبلغ ثابت لا يتغير الا اذا تغير اللازم لهم من الاشياء فلو فرض تكثير النقدية الى ان تصبح اربعة مليارات اي ضعف المفروض مع بقاء ما يلزم من الاشياء ثابتاً على اصله ففي الحال تنقص قيمة النقدية وما كان يشتري بفرنك يشتري باثنين فانه لم تكن الزيادة مقدار المفروض اولاً بل كانت اقل فلا شك ان قيمة الفرنك تتناقص بنسبة تلك الزيادة وحيثئذٍ يمكن فرض زيادة بها تكون قيمة

الفرنك اقل من قيمة سبيكة من الفضة وزنها وزنه ففي هذه الحالة لا يتعامل بالفرنك بل يتعامل بالسبائك وصاحب الفريكات لا يتعامل بها في صورة النقود بل في صورة السبائك فنضع قيمة النقود وتضطر الحكومة لاختها من ايدي الناس فتسبكها وهذا هو السبب في انه لا يصح نقص قيمة وحدة المعاملة عن قيمة وزنها من السبائك بخلاف العكس

فلو فرض ان مبلغ النقود قد اخذ في النقص والتلة مع بقاء البضائع والسلع على حالها مستلزمنا زيادة قيمة وحدة النقود مع بقاء الاشيا اللارم مشتراها على حالها لزادت قيمة وحدة المعاملة فتكون قيمة الدرهم مثلاً من نوع المعاملة اكثر من قيمة وزنه سبيكة خالصة فتربح الحكومة فيما تضربه من النقود وقد ترغب الناس في ضرب السبائك وتكثر المعاملة بها من جهة اخرى

وبعض الاحكام لا يرغب في ضرب النقود زيادة عن طلب اا وله والبعض يجب ان يربح ربحاً قليلاً واخر يضربها بالخسارة فكما كثر المضروب منها نقصت قيمتها فتؤخذ وتسبك ومن كل ذلك علم ان وحدة المعاملة لا يلزم ان تكون اقل ولا اكثر من قيمة ما يعادلها من السبائك وقد صار معلوماً لحضرتكم ان النقص الذي يعتري النقود لا يمكن ان يصل الى ان يكون اقل من قيمة وزنه سبيكة لانه في هذه الحالة يسبك ما يلزم منها حتى تقل كمية الموجود منها وترفع القيمة الى ان تتعادل مع السبيكة

او تزيد عنها وهذا لا يمكن احراقه على ورق النقدية اذا كثرت
الحكام منها حتى يتعدى مجموعها مقدار اللازم وحينئذ يعتري
المبالغ المقررة فيها ما يعتري المعاملة من الراج وعدمه وانا اضرب
لك مثلاً يزيد المسئلة وضوحاً وكنفاً

وهو انه في مدة الحرب التي كانت بين الانكليز وفرنسا اقترضت
الحكومة الانكليزية من البنك الانكليزي مبالغ جسيمة فاوّل
اقترض استوفى جميع المودع عند البنك من اموال العملاء وكان
اثني عشر مليوناً من الجنيه تقريباً فلم ينشأ منه ضرر للبنك وانما
نشأ الضرر لما اضطرّت الحكومة الى الاقتراض مرة اخرى وظلمت
مبلغاً من البنك يقرب من احد عشر مليوناً من ورق النقدية ولم
تدفع في نظير ذلك شيئاً الا الاستراك به وفرضت على نفسها وايضاً
تدفعه كل سنة وصارت تصرف من الورق ماهية المستخدمين
واثمان المشتريات وغيرها ما يلزم حتى زاد مقدار مبلغ النقدية
فقتصت القيمة وبسبب ان نوعي الذهب والفضة حافظان لقيمتها
دائماً لم يقع النقص الا في معاملة الورق

ومن ذاك العهد صار بين الناس نوعان من المعاملة اسمها
واحد وقيمتها مختلفة كما يقولون عندكم معاملة بالتعرفه ومعاملة
بالصاغ فهرع كل من يده اوراق في الحال الى البنك لتسهر اوراقه
فاشكل الامر على البنك وطلب اربابه من الحكومة حل هذا
المشكل لان البنك لا قدرة له على الوفاء بما وعد به الخلق

ولما كانت الحكومة قد تصرّفت في القيمة قدمت القضية للمجلس فصدر الاذن للباك بان يتوقف عن استبدال الاوراق بالنقود ورخص في تسديد الديون بتلك الاوراق وحيث انه لا يصعب جعل نقود من الورق لعدم الكلفة في ذلك شر من تلك الاوراق مبالغ حسيمة فكبرت اسما مبالغ العملة الجارية في البلد وزادت عن الحد فنزل سعر الورق بسبب ذلك نزولاً فاحشاً وسببه انا لو فرضنا ان اللازم لدولة الانكليز ثلاثون مليوناً من صنف الجنيه يقضون بها ما يلزم لهم وفرض زيادة المبلغ الى اربعين مليوناً فلا تكون قيمة ذلك الا ثلاثين مليوناً بمعنى ان القيمة تنقص قدر الربع ولما اكثر الانكليز في تلك المدة من شر ورق النقدية ترتب على ذلك ان صارت الورقة التي تقابل جنيهاً لا تساوي غير ثلاثة ارباعه نقدية ففي ذلك الوقت اخذت قيمة الذهب والفضة في الزيادة لفظاً واوقية الفضة التي كان ثمنها قبل توقيف صرف قيمة الورق خمسة من الشلن واثنين من البنس صارت بعد التوقيف تساوي سبعة من الشلن واربعة من البنس وغلا سعر اقوات الاهالي وضرورات معائشهم بنسبة ذلك

وحيث كان مصرف الحكومة دائماً في ازدياد اكثر من الاقتراضات وازدياد اليكون المطلوب منها من دون ان يزيد المطالبون لها من قبل لان الفوائض المقررة انما هي ارباح لمبالغ قديمة قيمة وحدتها عالية ولما تيقظت الحكومة لهذا الامر الفظيع

وارادت حسمه لم تجد لذلك الا احد طرفين الاول ان تجعل
 قيمة جنيه الذهب قدر القيمة التي صار اليها جنيه الورق
 وحيث ان الجنيه الورق كان في سنة الف وثمانمائة واربعة
 عشر لا يشتري به الا مائة حبة وثمانى حبات من الذهب الخالص
 والجنيه الذهب القديم كان يشتري به مائة وثمان واربعون حبة
 فحيث كان يكفي ان يجعل قيمة الجنيه الذهب مائة وثمانى حبات
 وضرر هذا الطريق ان الذين لهم على الحكومة ديون من قبل
 يستولون بقيمه اقل من القود التي دفعوها وهذا ضرر عظيم
 على الناس مع ان الامر المهم هو اجراء الطرق الموجبة لتخفيف
 ائثال الاهالي بحيث لا يدفعون لمن اقترضوا الحكومة مدة النقص
 دراهم قيمتها اعلى مما اخذ منهم

والطريق الثاني ان تقص مبالغ الورق بقدر ما يلزم لرد
 قيمة الجنيه الذهب الحقيقية اليه بحيث ان الجنيه الورق يشتري
 به مائة وثمان واربعون حبة ذهباً خالصاً وهذا الطريق هو الذي
 اتبع وجرى العمل به ثم بعد الصلح نقصت مصاريف الحكومة وصار
 توقيف ضرب معاملة الورق وصدرت الاوامر ليك الانكليز بجمع
 كثير من الاوراق واستبداله بنقود فاخذ الجنيه الورق الزيادة
 حتى رجعت قيمته لاصلها ولكن بعد خسارات كبيرة على الحكومة
 لان دين الحكومة ازداد زيادة فاحشة بسبب قلة قيمة نقود الدين
 الذي عليها عن قيمة القود التي دفعتها في التسديد وكذلك

المستأجرون خسروا ايضا في اجاراتهم لانهم استاجروا بالمعاملة
النازلة وسددوا بالمعاملة العالية

ولما اخذت قيمة الاشياء في المنازل ثانيا بعد هذه الحركة
كان المستأجرون يدفعون خراج ارض بزيادة ويسيمن باقل
وزاد الخراج ايضا بقدر الملت لانه مقدر بالصف ولا مدخل
للقيمة فيه فحسروا رباب الزرع خسارات جسيمة

كل ذلك والشيخ مصغر لكلام الحواجا لما فيه من بيان علوم
لم يكن يعلمها

وبيناها كذلك اذا برجل اقبل فكلّم الحواجا سرا فنهض قائما
وقال للشيخ لا تواخذني فان هذا الرجل اخبرني بار الحكيم
قد حضر بالمنزل فلزموني التوجه اليه فقال الشيخ لعله خبر قال ان
ولدي متغير المزاج منذ ايام ولكم بخير ثم انصرف

فقام الشيخ وركب العربة ومعه ابنه ويعقوب فلما استقاموا
في الطريق قال الشيخ لاشك ان امور اورونا كلها عجيبة ولهم
افكار واختراعات نافعة شريفة فانظر كيف اعملوا الفكر في تحسين
امور الدنيا واخترعوا لها طرقا بها اتسعت دائرة التجارة بيدهم فان
ما ذكره حضرة الحواجا من طرق التيسير والسهولة التي سلكوها
واستعملها رباب البوكة قد هونّ امر التجار على كل انسان
وتيسر لكل شخص صادق حسن الادارة فيما يتجر به من التقديرة
ولكن لا اري هل هذه البوكة من اسراع الانور واولين ام هي

امر قديم اخذه الاور وباويون عن سبتهم
فقال يعقوب ان معلوماً في بالسبة لذلك غير كثيرة ومع هذا
اخبّر حضرتكم بما اعلمه في هذا الشأن

وهو ان الكنعانيين في المدة الماضية كانوا يستعملون
البنوك في امر التجارة ولكن لم يصلوا عن ذلك خبر شافٍ يوثق به
والذي اتفقته ان الاثنين كانوا يعرفونه ويتعاملون به وكان
عقائهم هم الذين يتولونه وبذلك كانوا يتصلون على اموال جسيمة
ويبلغون درجات عالية بسبب كثرة القود وكان تعاملهم بالتقد
فقط فكانوا ياخذونها برمج معلوم ويقترضونها برمج غيره على رهن
وضمانات كما تفعل البنوك الان فيحصلون على ارباح كثيرة

واما البنوك التجارية فلم تظهر الا في القرن الثاني عشر من
الميلاد ببلاد الناديك وسبب ظهورها جماعة من التجار كان لهم
مبالغ عظيمة على الحكومة فاتقتوا على ان يجمعوا سندات تلك
المبالغ ويتعاملون بها في تجارتهم كما لو كانت الحكومة صرفتها

وحيث كانت الحكومة تدفع فائضاً لمبلغ الدين كان ذلك
الفائض يتقل مع الدين من ناجر الى اخر تبعاً لحوال التجارة
ومن لا اخذه ولا عطاء ياخذ فائض مبلغه من البك بدون
استئذان الحكومة

ثم ان تلك الطريقة انبعت في اغلب البنوك التي ظهرت
فيما بعد وجري بها السهل في بعض البلاد مثل بليك وهولاند

ونحوها والغالب ان المعاملة كانت اولاً بالنقد ليس الا واول ظهور ورق النقد كان ببلاد الانكليز في سلكها الذي ظهر سنة الف وستائة واربعة وتسعين ولم يتحقق استعمالها قبل ذلك وفي تلك المدة كان المعلوم ان جميع الاختراعات اياً كانت انما هي حق الحكومة سيما ما يتعلق بامر التجارة وسبب انشاء البنك الانكليزي هو ان الحكومة رغبت في اقتراض لميون والفي جنيه انكليزي فاشأت البنك المذكور وخصت من يدخل في الاقتراض بمزايا للترتيب منها انها جعلت لهم فائضاً في كل مائة ثمانية كل سنة ومنها انها رخصت لهم في الاستيلاء على مبالغ من يرغب تنمية ماله عندهم ومنها ان لها ان تقرض من شاءت وتجي الاسكت في اوراق التجارة كالسندات وورق الحوالات ومنها ان لها ان تخرج ورق نقدية تدفع مبلغه نقداً حين عرضه عليها ومنها انها تحول عليها اموراً ميرية في مقابلة ربح معلوم وقد جعل في الاصل ميعاده ١٢ سنة لكن لما ظهر للحكومة من ذلك فوائد صارت كلما انتهى الميعاد تجددته حتى كانت سنة الف وسبعمائة وثمانية فثبتت على ما هي عليه الى الان وكانت البنوك كلما تجددت المواعيد تتصل على مزايا جديدة بمرور المبالغ اليها بكثرة حتى صار البنك تقريباً هو القائم باحوال التجارة والحكومة ووصل راس ماله قريباً من خمسة عشر مليوناً من الجنيه الانكليزي وهذا القدر كان دائماً ديناً على الحكومة وكان ذلك اشبه بالضمان للبنك

وزيادة قوة في اعتماد الناس واثمانيهم له وبهذا السبب كانت البوكة كأنها مشاركته للحكومة في امورها حتى كان كل اضطراب وتقلب يحصل حساساً كان او قبيحاً اذا تأثرت منه الحكومة يتأثر منه البنك ايضاً

وفي سنة الف وسبعائة وسبعة وتسعين لما حصل توقف في دفع قيمة الورق للبنك نقوداً حصل له اضطراب عظيم وصارت البوكة تشبه فوريقة ورق لانها كانت تنشر ورق النقدية بحسب احساج الحكومة ولذلك حصل في قيمته نقص كما ذكر لكم حضرة الخواجا واستمر ذلك الى سنة الف وثمانمائة واثنين وعشرين والمنافع التي عادت على الحكومة في تلك المدة لا يمكن حصرها ومتوسط ما اقترضته الحكومة من البنك يقرب من خمسة وثلاثين مليوناً من الجنيه الانكليزي ومع هذا لم تنف حركة التجارة وكان الاسكت جارياً انما نزلت قيمة ورق النقد قريباً من خمسة وعشرين في المائة وقد حصل الاذن من الحكومة للبنك الانكليزي في اخراج اوراق نقدية قدر اربعة عشر مليوناً من الجنيه فقط واذا زاد مبلغ الورق عن ذلك يلزم ان يكون له مقابل من النقد العين او من السبائك في صندوق البنك

وفي سنة الف وثمانمائة واربعة واربعين انقسم البنك الانكليزي بمقتضى الاوامر الملوكية الى بنكين الاول استلم الصنف الموجود في البنك والسندات التجارية المتضمنة للاربعة عشر مليوناً من الجنيه

منها ما يقرب من اثني عشر مليوناً على الحكومة وجعل لها ان يخرج ورق نقد بقدر الاربعة عشر مليوناً سنداً مضافاً عليها قدر الصنف وللناس ان يشتروا منه ورق النقد ويدلونه بصنف عين فالواقية من الذهب الذي عياره اثنان وعشرون قيراطاً بثلاثة جنيهات وسبعة عشر شلينا وتسعة ديناريو والواقية من الذهب السبيكة الذي عياره كالسابق بثلاثة جنيهات وسبعة عشر شلينا وعشرة ديناريو ونصف والتسم الثاني يأخذ من الاول بمبادلة الذهب باوراق النقد اسوة الاهالي سواء بسواء

ومن ابتداء هذا التاريخ صار منع البنوك من اخراج ورق نقدية مطلقاً واذا اجتمع بنكان صغيران فلا يتعدى ما ينشرانه من الورق قدر ما كان ينشره واحد منها قبل صدور الامر ويمكن البنك الانكليزي ان يزيد في تكثير البنوك التابعة له على حسب رغبته في تكثيرها في جميع الجهات بدون تغيير قدر مبلغ الورق المخصص له واذا ابطال البنك الكبير احد البنوك الصغيرة فله باذن من الحكومة ان يضيف الى نفسه ثلثي ما كان بطل منه

وعدد البنوك التي في المديرية التابعة للبنك المذكور سنة الف وثمانمائة وثلاثة وخمسين احد عشر بنكا عمومية غير مائة وسبعة وستين بنكا خصوصية توجد ببلاد الانكليز وبلاد الغال من ضمنها خمسة وستون بنكا لها الاذن باستعمال ورق النقد ولها بنوك بجميع

الاقطار الانكليزية متفرعة عنها عددها ثلثائة وواحد واربعون
بنكا

واول بنك حدث ببلاد فرانس انشاء رجل انكليزي سنة
الف وسبعائة وستة عشر وفي اول الامر حصل له رواج ولكن
من تسلط الحكومة عليه وعدم انقطاع طلباتها فسد حاله وبطل
وبقي الامر على ذلك نحو ستين عاما ثم صار تنظيم صندوق
الاسكت وكان رأس ماله خمسة عشر مليوناً ليوراً تورنوا منها
عشرة ملايين اخذتها الحكومة قرضاً بشرط دفعها على نقاسيط
سنوية ولكن بسبب قلة الائتمان وعدم الصدق في كلام الحكومة
لم يحصل نجاح هذا الامر الا بعد صرف نظرها عن اقتراض هذا
المبلغ من الصندوق المذكور

وعلى مقتضى الامر الصادر سنة الف وسبعائة وتسعة وسبعين
جعل رأس المال اثني عشر مليوناً وربع في المائة اربعة في السنة
في حال السلم واربعة ونصفا في حال الحرب

وفي سنة الف وسبعائة واثنين وثمانين كسد حال التجارة
فتأثر من ذلك صندوق الاسكت ولكن دفعت الحكومة له ما
كان عليها نقداً فانصلح حاله واستمر على هذا الامر مدة ثلاث
سنين حتى حصل لكل سهم في السنة خمسة عشر ونصف

وفي سنة الف وسبعائة وسبعة وثمانين صدرت اوامر يجعل
رأس ماله سبعين مليوناً ورخص له في شراء ورق النقد والتجارة

ومدوا لذلك مبعاداً ثلاثين عاماً واقتضت منه الحكومة سبعين مليوناً فحصل من ذلك وقف الحال بسبب عدم إمكان الصرف لارباب الورق لوقته

وفي سنة الف وسبعائة وثمانية وثمانين صدر امر بعدم صرف نقدية في مقابلة اوراق واستبدالها باوراق تجارية من عنده ولكن من كثرة طلبات الحكومة واردياد كمية ورق النقد حصل اضطراب عظيم نشأ منه توقيف العمل والدفع واستمر ذلك الى قيام حرب فرنساوية وبعد هده ظهرت بنوكة تعاملت في بعض الامور التجارية واول مظهر صندوق الحساب الجاري سنة الف وسبعائة وستة وتسعين وبعده سنة الف وسبعائة وثمانية وتسعين صندوق التجار وترتب على ذلك نزول سعر النقدية من تسعة في المائة الى ستة وراج امرهم رواجاً عظيماً ورجحوا من دون ان يسع بما يخل بامانهم وما ذاك الا لكونهم غير مرتبطين بالحكومة ولكن لما ظهر للحكومة ان من الضرر ري وجود بنك تستمد منه شرع يونانرت الاول ايام فصلته في تشكيل بنك سماه بنك فرنسا على نسق بنك الانكليز وجمع له جملة من البنائيرة المشهورين ولاجل ان يأتمنهم الناس دفعت له الحكومة خمسة ملايين فرنك قيمه خمسة الاف سهم فدارت حركة البنك وجرى فيه الاخذ والعطاء وكان هناك بنك باسم صندوق الحساب الجاري وكان التجار والناس يعتمدونه فجمعت الحكومة الاثنين وجعلتها بنكاً واحداً وكان ذلك في سنة

الف وثمانمائة ثقبوا في أول سنة كان عددها اخذ من الاسهم سبعة
الاف وخمسمائة ثم ارداد حتى بلغ خمسة عشر الفا ومبلغ ما صار اسكته
مائة وواحد وعشرون مليوناً في نظرف سبعة اشهر ونصف وفي
السنة الثانية بلغ مائتي مليون وخمسة وفي السنة التي بعدها بلغ
اربعمائة مليون وثلاثة واربعين مليوناً وكن كل نك بنشر اوراق
التقدي ولم يحصل من ذلك ما يحل بالاخذ والاسطاء انما في
سنة الف وثمانمائة وثلاثة صدرت اوامر الحكومة بجعل ذلك
مخصوصاً بالبنك الفرنسي فحصل الحق بفض البنوكة به وكانت
مدة الرخصة خمسة عشر عاماً ومبلغ رأس المال خمسة واربعين
مليوناً والربح في المائة ستة في السنة وما زاد من ربح يحفظ في
البنك

وحيث كانت الحكومة دائماً تتدخل في امور البنك كان
سير البنوكة غير مستقيم فكان في بعض الاوقات يحصل الكساد
ويقل الامن واستمر ذلك الى سنة الف وثمانمائة وستة
ثم عين ثوبارت رئيساً للبنوكة جعل معه وكيلين وحدد
لها حداً تسير عليه وجعل رأس مالها تسعين مليوناً وحدد الميعاد
الى خمس وعشرين سنة ورخص في احدث بنوكة في المدن تبعا
لهذا البنك ولكن بسبب ما ظهر للحكومة من عدم الثبات مع الخوف
الذي كان يعتري الناس لم يحصل رواج وتعطلت البنوكة
وخسرت وبقيت اكثر مبالغها بصناديقها بدون عمل وكان هذا

الاضطراب يكثر ويقل الى سنة الف وثمانمائة وثلاثة ثم تحصلت البنوك على حريتها واستقلالها بالظر في امورها كما تشاء وسعد البنك الفرنسي ساوي من بين البنوك بنشر اوراق النقدية فصارت اغلب المعاملات واردة على هذا البنك في المدن وفي المديرية فحصل الضرر لغيره من البنوك واستمر ذلك الى ان حصل اليوم الذي كان سنة الف وثمانمائة وثمانية واربعين فصدر الاذن للبنوك الاخر بنشر ورق النقدية فكثر شر الورق وحصل كساد عمومي فيه ونقصت قيمته فصدرت الاوامر ثانياً باستئلال البنك الفرنسي ساوي به واستمر الحال على ذلك الى الان ومن ذاك الوقت انتظمت امور التجارة

وفي سنة الف وثمانمائة وسبعة وخمسين صدرت اوامر بامتداد ميعاد الاوراق الى سنة الف وثمانمائة وسبعة وتسعين ورخص لهم في مبلغ واحد وتسعين الفا ومائتين وخمسين سهماً مستبدة وبهذا زاد رأس المال عن امله وسبب هذه الزيادة رغبت الحكومة في اقتراض مائة مليون وفي ما كان لها من المزاي على امله وزيادة على ذلك صار يمكنها تشكيل بنوكها في المديرية لكل بنك مجلس ومدير يتعين بمعرفة مجلس البنك ويكون مقبلاً عند الحكومة وعدد اعضاء المجلس المذكور يختلف من ستة الى خمسة عشر ومن ثلاثة مفتشين منتخبين بمعرفة مجلس البنك الفرنسي ساوي واما الاعضاء فتمنيهم بمعرفة الحكومة ايضاً من خمسين منتخبين

من كبراء ارباب الاسهم الذين في الجهة التي بها البنك ويقدم
 المجلس اسماءهم للحكومة في عريضة فتتنب منهم من يصلح
 ويوجد ايضاً بنكان شهيران غير البنك الفرنسي وفروعه
 احدهما لتسهيل امر القرض على مرهونات العقار والاراضي والاخر
 لتسهيل الاعمال المهمة مثل انشاء ورش او معامل او سكك حديدية
 وما اشبه ذلك

وبينا هم في هذا الحديث اذ وصلت بهم العربية قريباً من
 العين فنزلوا ومشوا الى ان وصلوا الى العين فقال ابن الشيخ اني
 من الامس الى هذا الوقت لم اسمع الا الالاف المولفة من الجيئنهات
 الانكليزية وكذلك لا نرى في بلادنا الا دراهم مضروبة بالبلاد
 الاوروباوية واغلب معاملة بلادنا بالجنيه الانكليزي والبتو والريال
 ابي مدفع وابي طيره والسينكو وكلها مضروبة باوروبا

ولم يضرب ببلادنا غير الجنيه والريال المصريين والمحيدبين
 مع عزة وجودها وقلة المعاملة بهما فقبل اخرجت الارض كوزها
 للاوروباويين ام تحولت اليهم كوز كسرى التي كان حازها ام
 عثروا على ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد

فقال يعتوب الكلام في هذه المسألة متوقف على مراجعة رسالة
 كتبت جمعتها فاذا رجعنا لطلعتكم عليها وفيها بيان ما استخرج من
 المعادن في القرون الخالية وما استخرج منها في القرون التالية ما وحدته
 في كتب المؤرخين ودفاتر الاحصاء المحفوظة في دفتر خزانة الحكومة

المسامرة (١٠٧)

المواو والدواب

فاستحسن الشيخ منه ذلك ثم انهم وصلوا الى الغابة فدخلوها
وطافوا في ارجائها وكان الجو صاحياً والوقت معتدلاً وظل الاشجار
قد رسم على الارض رسوما يضيء ما بينهما من نور الشمس كبساط
مكمل بالجواهر وعلى حسب شكل الارض من انبساط او تكور
مع تقارب الاشجار وتباعدها يظهر للظل ضوء حسن وصور اشكال
مختلفة بتغير الواصف في وصفها وكان النسيم يحرك اغصان الاشجار
فياخذ من رطوبتها ويسير على وجه الارض فتنتعش به الارواح

وينشا عنه الانبساط والاعتراف وبسبب ذلك كان مشيهم على الارض هوناً هيناً وكانوا اذا تعبوا جلسوا على بساط الارض الاخضر وتوسدوا احجاراً ملساء تشبه المرمر فكان الشيخ يعجب من اتساعها وتنوع اشجارها وكان لا يعرف اكثرها ويقف عند كل شجرة تعجبه ويسأل عنها يعقوب فيذكر له ما يعلمه وكثيراً ما كان لا يقدر على وصف اشجار لا يعرف اسمها وكان يحجل من ذلك ويعتذر للشيخ ويقول ايها الاستاذ ارجوك ان تغفر لي ذنب جهلي فان معرفة جميع النبات والاشجار واسماءها ومنافعها وخواصها علم كالبحر بلا ساحل وله رجال مضت اعمارهم في تدوين كتبه وانا لا اشك في ان اللخواجا بهذا العلم معرفة تامة فان هذا الفن من ضمن ما يقرأ بالمدارس واما انا فلم ادرسه والذي عرفته منه انما استفدته من المطالعة فقط فكان قليلاً جداً والنضل في ذلك للسائح الذي عطف الله فله عليّ فاني بعد دخول اخي الدير رجعت الى لوندرة فاقمت عنده مدة وسافرت معه اسفراً في جهات شتى وكان لي بمنزلة الوالد ولعلمه الرغبة مني في حب الاستفادة كان يعلمني من معلوماته فحسن امري وانطلق لساني وانزته منزلة ابي بل اعظم فمضى عليّ خمس السنوات التي اقمته معه كأنها ساعة من نهار لحسن معاشرته وكنت اود ان اكون بقية عمري في خدمته ولكن الدهر حال بيني وبينه وبعد ان كنت مؤملاً ان لا افارقه قطع املي وهدم من معيشتنا لذاتها

ففاجأه هادم اللذات ومفرق الجماعات ففارقني انسي وباليت
 غض الدهر عنا طرفه ولم يتخذ التفريق بين الاحبة حرفة ومذ
 حكم الله عليه بالموت وهو بايتاليا تجددت احزاني وهاجت اشباني
 ولعت بي ايدي الحوادث وعرضت لي آفات البليّات فاتخذت
 صنعة الملاحه وجبت من البحار كل ساحة وطففت جميع البلدان
 لاخبر من فيها من السكان فلم احده بعدة دلاً اركن اليه واعول
 في مهاتي عليه فاسال الله ان يغمر في رحمانه ويتجاوز عن سيئاته
 ثم هطلت عيناه بالدموع فاخذ الشيخ يهون عليه حتى هدأت
 عبراته ثم قال ايها الاستاذ اني لما تذكرت من كان محسناً اليّ لم
 اتمالك من البكاء عليه حيث حرمت من النظر اليه
 فقال له الشيخ هذا بعض ما يجب لصاحب المعروف على الحر
 البر العطوف

ثم ان يعقوب خشي ان يضل عن الطريق فعاد راجعاً الى
 مبدئه فوجدوا ربوة مظلمة بالاشجار معشوشبة فجلس الشيخ فيها
 ليستريح فجعل ابنه يتأمل في جميع اشجارها ويعجب من عظم كل
 شجرة ووقف عند شجرة من شجر البلوط قد اخذت غابة الارتفاع
 وبجانبها شجرة صغيرة لا ورق بغصونها وعليها دواب صغار
 لا تحصى فتأملها فوجدها تاكل من الاغصان جلدها والفتت
 فوجد من جنسها فوق اغصان اشجار اخرى ووجد بعض تلك
 الدواب يمشي على الارض الى اشجار فيصعد عليها فقال ان في

مصر بعض دواب تاكل الزرع الاخضر واخرى تاكل ورق
الشجر وفي بعض السنوات تكثر على شجر الفكة فتضرها ضرراً
عظيماً ولكن لاشبه بينها وبين هذه الدواب

فقال بعقوب ان الهوام المصرة بالاشجار لا تخص عدداً وتختلف
انواعها باختلاف انواع الشجر والنبات وفي بعض المدن تتجاوز
الحد في الكثرة ببعض الجهات وتقل في جهة اخرى فمن يدخل
احدى غابات المانيا يسمع للملك الدواب صوتاً منتظماً يحصل من
قرضها غصون الاشجار واوراقها فيخرج غالب الناس اليها
وينتشرون في ارجاء الغابة ويقسمونها بينهم ويضربونها من كل جهة
ولكل فرقة من الناس رئيس ومعه مزاريق وعصي طوال كانهم
خارجون لمقاتلة الاعداء وفي بعض الجهات يشتغل كثير من
الناس بحفر خنادق عميقة في محاذة الطرق والحدود يمدونها الى
مسافة بعيدة للفصل بين اجزاء الغابة او بينها وبين ما يجاورها
لمنع الدواب عن الاشجار الخالية منها وبالليل يظهر نوع اخر
منها يعرف بمصر بابي الدقيق او الفراش اذا رأى النور اسرع اليه
حتى يحرق نفسه في النار فلاجل قتله يشعل الناس النار في
الاشجار فيرى من يطوف بالغابة في كل قسم شجرة او اكثر
مشتعلة بالنار لها لهب ودخان صاعد نحو السماء بحيث تضيء من
كل جهة والدخان متكوّن كالسحاب العظيم فوق الغابة ويقرب
الاشجار اشخاص لتقوية النار وإيقاد غيرها اذا اقتضت الحال ذلك

فيكون حال مرج وبأسف من براء على انلاف هذه الاشجار العظيمة وما فيها من الخيرات ولا يسعه الا التفويض لقدرة الحكيم جلّ وعلا فان الاسان لا يدرك الحكمة في تسلط هذه الهوام على اعمال الاسان واتلاف ما به مفاعه من هذه الاشجار وغيرها وعلى صغر هذه الهوام واحتمارها بالنسبة للاسان لا يمكنه التخلص من ضررها وفي بعض الاوقات تضطرب اهل البلاد ويخرجون جميعاً رجالاً ونساءً صغاراً وكباراً ويتفرقون في ارجاء الغابات ومعهم عصي وحرا ب وشاميط لقتلها وتارة يحفرون خنادق فتقع هذه الدواب حين عبورها بالخنادق فتكون طبقة عظيمة سبيكة فيميلون عليها التراب

ثم قبض على دابة صغيرة ما على شجر البلوط وقال هذه تاكل خشب الشجر وتدخل فيه وتحفره خطوطاً حتى يلف كله وتجعل هذه الخطوط التي حفرتها بيوتاً لها بين الخشب والشر تبيض فيها وتنفس ويقال ان الانثى تبيض من خمسين بيضة الى مائة

واغلب هذه الدويبات يكثر ظهورها في فصل الخريف وفي بعض الاوقات يتكوّن في الجوّ منها طبقات تمتد امتداداً عظيماً في هذه البلاد بحيث تكون كالجراد في بعض الجهات والخنازير تأكل هذه الديدان وتتكبّب عليها ولذلك هم يستعينون بها على اتلافها فيأتون بالخنازير في شهر اغسطس الذي تنزل فيه الديدان

من فوق الاشجار لتسكن جوف الارض او تحت الحشائش فيوزعونها في داخل الغابات فكما نزل دود من فوق الشجر النقطة واكثته ومن هذه الهوام صنف صغير الجسم له جناحان عريضان بالنسبة لجثته يطير بها في بعض الاحيان ويسمى بين الاهالي بخراق الاذن ويزعمون انه يدخل في اذن الانسان ويخرقها ويسكن في الح كذلك ولكن هذا غير صحيح وانما سبب هذه التسمية انه يوجد في محل الذيل لذلك الصنف شي كالآلة المستعملة في خرق اذن البنات وهذا الصنف يكره الضوء ويقتات من الفواكه والازهار كالورد ونيره والاثني منه تبيض وتجعل بيضا تحت ورق الشجر مجتمعا وترقد عليه كما يفعل الدجاج واذا حصل له تفرق بعث احد فيه مثلاً فاما تنقله الى محل اخر ونضم بعضه الى بعض وترقد عليه الى ان يفتس فيكون اولاً ديداناً صغيرة جداً لا تعجب ما وراءها فتخنو عليها الام بالشفقة والتربية الى ان تأخذ لوناً اسمر فتبقى على هذا اللون وتستغني عن امها ومنها صنف يكون عادة فوق غصون الاشجار ويقتات من صيد الدويبات الصغيرة ولا يضر بالشجر ويتميز عن الجراد بطول جسمه وعظم اجنحه وهو بطيء الحركة اخضر اللون مشرب بصفرة يشبه لون غصون الاشجار التي يعلوها بحيث لا يفرق الناظر بينها وهذه الدواب كثيرة التحيل فاذا ارادت اقتناص دويبة دنت منها مع السكينة والاحتباس حتي اذا كان بيها قدر مد ذراعها وثبت عليها وامسكتها

فندخل في جسمها كثيراً من الشوك الذي يديها ورجليها فتمهلكها
ونأكلها وتعرف بمصر بفرس النبي وتسمى أيضاً المقدسة لأنها ترى
في غالب الاوقات رافعة نصفها الاعلى عن الارض كهيئة المبتهل
وبعض الناس يقول انها تهدي المسافر للطريق

ومن الدويبات التي تأكل اوراق الشجر دويبة طويلة
دقيقة ذات ارجل طوال جداً لا فرق بينها وبين اقواد الورق
ولذا لا يميزها الناظر اذا كانت فوقها وهي بطيئة الحركة واذا ادركتها
الشمس في سيرها وقفت ومدت ذراعيها وسبب نخافتها تسميها
الاطفال العصا الماشية او شعرة الشيطان

ومنها ما يكون له اجنحة يطير بها ونسبه الاهالي في بعض
الجهات الورقة الطائرة

واشنع جمع هذه الدويبات الطاطنة ذات الثوب
التي منها جمع اجناس الجراد لها ايد وارجل طويلة معظمها
وثوبها ولها صوت يسمع متى كانت الشمس فوق صنون الاشجار
وتألف الشمس وحاف اماكن وهي انواع كثيرة وفي البلاد
الحبيلية تنجع بكثرة في النقع التي فيها النبات والعشب ولها
نغمات مخصوصة عند طلب الذكر للانثى او الانثى للذكر عند
استغاثتها بذكرها من ذكر اجني يحاولها وتحدث هذه النغمات من
حك ارجلها على ثوبها الذي فهو حدها وبجرب اختلاف قوة
الاحتكاك تخلف قوة النغم كلما ارتفعت الشمس فوق الافق

قوي النعم وكلما مالت للغروب او قدمت درجة البرد ضعف
وكثيرا ما تكون هذ الانعام نير مسموعة لنا وتكون مسموعة
لجنسها فقط والذي يكون منه . ا. ا. انهم ظاهري بحيث نشعر به لا
يهوى الا البلاد الباردة ونكسه يهرب الى البلاد الحارة وكل من
نظر الى هذه الدويبات العجيبة الشكل استحسنها واعجبه شكلها
واربها الاحمر والارقي رعاة نكرن قليلة ولكن لاسباب لا
نعلمها تملأ حوضها من الحوا في بعض الاوقات ونسافر الى البلاد
الساحفة ويحجم منها ضرر كبير وقد ملئت بذكر مضارها
التخف في الارمان الما به والمخاضة وسيف الاقدمون منها نوعين
يسبب اليها تلف اما في بعض وعاء احدهما وهو الاكبر يعرف
بالجراد السباح وكون غامبا في السواحل الغربية من افريقية
وفي سواحل اليمن وبلادها . الا في يظهر باور وبالكه قليل
وفي امريكا والوسط الى يظهر بربع . الجراد يركب الاذى ولا
يكثرت عنه كالتيه والذي ناهي بقيه تملب . حين فقس الى كبره
في خمسة ايام فالاول بعد خروج من بطنه بجمه ايام والتالي
بعد الاول منه ايام والثالث بعد الثاني في ثمانية ايام وفي هذه
الثلاثة يكون بدون اجتهاد الا انهم الراد بعد الثالثة تسعة ايام
فتبدر الاجنة منفردة والحامدة بعد الرابعة تسعة ايام وتكون
تامه الاجنة فينكامل منها القوي بعد خروجها من البيضة بخمسة
واربعين يوما

المسامرة (١٠٨)

الحجراد

فقال الشيخ ان الحجراد آفة واذا حل بجهة اهلك الحرث والنسل وقد حل في بعض السنوات ببلادنا فاتلف اشياء كثيرة حتى ان الحكومة اخرجت الاهالي لجمعه وجعلت لهم جعلاً على ذلك فجعلت على كل افة منه قرشاً

فقال يعقوب كتب التاريخ مشعونة بذكر الحجراد وما حصل منه من المصائب وهو غالباً يظهر من صحراً بلاد العرب والنصار فان الريح المشرقية تأتي به الى افريقية واوروبا وكثيراً ما تكون

سفن السياحين في البحر مغطاة به فيكون فوقها كالسحاب ويكون
ممتدًا فوق البحر مسافة بعيدة وأكبر مساعد له على السير هو
الريج

وفي سنة الف وسبعمائة وثمانية وأربعين وصلت جيوش
الحجرات بلاد الانكليز حتى تعطل جيش شارل الثاني عشر عن
المسير بعد كسره في بلتاوا من بلاد البسارابي فمن كثافته كالسحابة
لم يتمكن الناس ولا الخيل من السير وقد تغير نور النهار بظلام
شديد

وقد رأى الناس في بلاد الهند وبلاد مبرات سحابة من الحجرات
طولها ثمانون مائة وسمكها عدة اقدام وذكر بعض السياحين انه
يكثر ببعض جهات افريقية في بعض الاحيان حتى يكون سطح
الارض والانهر مكسواً به بحيث لا يتمكن الانسان من وضع
قدمه على الارض من كثرة الرم

وفي سنة الف وثمانمائة وخمسة وثلاثين اخجب نور الشمس
والقمر عن ارض الصين بسبب سحابة منه حتى اهلك المزروع
ثم اهلك ما في المخازن وملبوسات الخلق داخل بيوتهم ولم يسع
الناس الا الفرار الى رؤوس الجبال

وفي سنة الف وسبعمائة وثمانين نشاء منه قحط عظيم ببلاد
مراكش حتى اكل الاهالي اعواد النبات وجذوره وحب الشعير
الذي في ارواث البهائم وبعر الجمال

وفي آخر سنة الف وثمانمائة وأربعة وستين نزل بلاد
السينيجال فاهلك جميع ممتلكيها وتدهر منه في البحر سعادته طوفا
خمس عشرة ملقة

وفي سنة الف وثمانمائة وخمسة وأربعين حصل سببه قحط
ببلاد الجزائر وتعه في عدة سنين قحط عظيم وفي سنة الف
وثمانمائة وأربعة وستين خرج من انصارهم على البلاد والجزائر
فاكل جميع الميصول حتى لم يبق سائر ما استعملت جميع الطرق
للنخاس منه ففرقت الساكنة مع الاهل للحمية ومع ذلك فلم يجد
هذا سبباً فاكل شجر النوب والبيت والزيتون ونير ذلك حتى
اكل شجرة الدخان ولم تبق من اكلها ولم يترك جهة من
الارض الا وقد نطأها احماء من اهل تلك السيادة منه تمتد
نحو ثمانين ملقة وذلك في عموم جهات الديالة

ولاجل التخفيف من وبالها كان الناس يجتمعون ويصيرونه
بالشباك من الارض وروءوس الاتمارم يحرقونه بالنار واهل
السودان يطردونه بالسهل ويت واهل هيلاندة استعملت المدافع
في ازالته وفي الارمان القديمة كان البيزنانيون يحاؤون على كل شخص
كياً مخصوصاً يأتي به منه

وفي سنة الف وثمانمائة وثلاثة عشر ببعض مديريات فرانس
جعلت الحكومة لكل من نأى بكيلو جرام من بيضه نصف فرنك
ولن يأتي بهذا القدر من الحيوان ربع فرنك

وفي مدينتي مري - ١١ - ف. - ١٢ - خمسة و شرون ألف
فرك وكذا مدينتي رلي - مري - مثل ذلك وفي الجزائر جمل
ربع فرك على جمع كل واحد من هذه المدن - ثاني باربعين او
خمسین جهازاً - جملة منه

وفي بعض البلاد ذكر الحرد انواعه وفي جور موسى عليه
السلام اليوم اكل اجناس ارشد منه واليونان كانت تبعة
بالاسواق وذكر ستارين المغراف ان البش ياكلونه ويجعلونه
من اذنة واما ارشد في الخزائر ياكلونه ويسمونه الجراد الغربي
ويكتفون بقطع راسه وجاهيه وارجله الذائنة ثم يعلونه وياكلونه
والاولاد والساكنين في خبسط ونبعة في السوق وهناك بلاد
تقله بالزيت واهل هذه الندة تاكله ايضا وبعض الناس يزعم ان
الذين يجامون فيهم منه لا تعدى اعمارهم الا بعين وفي راس
الاربعةين تتلى جرفهم وحادهم ديدانا - غيرة نهلكهم وكثير من
الحكام والسياحين يكذبون ذلك

فقال الشيخ في شرحه ما يحذر اكله مطلقا فان الشارع نص
على حرمة الميتة الا السمك والجمرا وحرمة الدم الا الكبد والطحال
فسبحان من در الاكوان واحسن صنعها فلله في تسليط بعض
جنوده على بعض حكم واسرار لا يقف عندها علم البشر فعلى الانسان
التسليم للحكيم العليم

فلله في خلقه حكمة تكل البصائر عن دركها

فسلم لربّ الورى حكمه كما تفعل الطير في أيكها



المحاضرة (١٠٩)

نور الغاز

وبينا هم يتجادلون اطراف الحديث اذا بالخواجا الانكليزي
اقبل فراه ابن الشيخ على بعد فقام ليقابله فالتفت الشيخ فراه
مقبلاً فقام له فلما جلس الخواجا قال ان بُعدي عنكم هذين اليومين
كغياب عامين وحكم ما تخلصت من صاحبي الا بعد ان اعذرت
له بحضرتكم ووعدته بالعود اليه مع حضرتكم ولو رأيتم هذا الرجل
ومسكنه لاتهمون عليكم مفارقتة فانه على طريق برّ منه خلق

كثير وحوله بستان عظيم في وسطه عين ماء نابعة من الصخر
وبقربه بلدة لطيفة فيها كثير من الامراء والاعيان يجتمعون كل ليلة
عند احدهم وهم اناس ظرفاء لا يستوحش انيسهم ولا يملهم جلسهم
وهذا الرجل على غاية من الرقة واللفظ والادب وزوجته
خير منه

فقال الشيخ نحن ذهبنا عند حضرة الخواجا التلياني صاحبكم
وتوجهنا الى البرصة معه وفهمنا ما يتعلق بهذه المصلحة من الامور
العامّة وغيرها وبين لنا الايام التي تربت علينا في المدرسة المشرقية
وذكر لنا تشوقه لحضرتكم وراينا منه خلقا حسنا قل ان نرى مثله
فحصل لنا غاية الانس لولا غيابكم عنا فان يعقوب كان وافيا بخدمتنا
فائما بما فيه رغبتنا وراحنا لكر غيابكم عنا لكونه غير معتاد لنا اقلنا
فائني عليه الخواجا وقال ما عندكم بعض ما عندي ثم قال اظن
ان الترحل قد ارف فان اللال قد اقبل ويريد الرجوع قبل
الظلام

فقال الشيخ نحن حضرنا هنا بعد الظهر وتنزهنا في الغابة لكن
ما وصلنا الى اخرها لحوف يعقوب الضلال عن الطريق
فقال الخواجا احسن منتزه هنا هو هذا المكان فانه مرتفع يرى
منه كثير من ضواحي باريز ولكن الناس لم يعتادوا التنزه فيه بل
اعتادوا التنزه في غابة بولونيا

فقال الشيخ قد أتيت الى هذا المكان مرتين هذه مرة قبلها

وفي كل مرة يحدث لي في هذا المكان سرور ونشاط لا أجده في غيره لاني متى كنت وسط هذه الاشجار يخل لي انها تحدثني بحوادث الايام الماضية وحين ارى بها الاشجار المختلفة كالبليوط والصنوبر والحمور وغيرها زداد فاني نمطيًا للتائق جبل وعلا واجد في نفسي انشراحًا جزيلًا

ثم رأيت في اثناء سيرنا اشجاراً كندرة الانواع جدا لا ترى بلادنا فسالت منها يعقوب فليدني اذا تنهضها فقال انخو احا انواع اشتر والسات لا تحت وكل مع منها خواص وفوا. ومزايا ولكل نوع منها من الارض تناسبه وتختلف طبعتها ايضا في احبائها الى الماء والحرارة فبعض الاشجار لا يصلح الا في جهة محدودة هواء مخصوص مثلا وبعضها يصلح في كل ارض وفي كل هواء بل اني مر اذا كنت في هذه ارض في جميع النواع يترك نواع لا تترك في الماء ولا تنكشف منها مانت وانواع لو مسها الماء لماتت ومنها ما ينزلا ولا يبقى اياه اياما. اني امان كبد درس - المار في الجاهلي اني اذ كنت في ذلك وعدم اقول في علمه لم تحصل - في الاعراب - فاما والافله رجال تروا في السوا. رهم عند حبي فالدنيا على درار فاضلها وللاس فانتفع بها الحجة رقت سرا شمع ادم ولم تدم دائرة هذا العلم الا في هذا الزمان فبينهم افاضل هذا الزمان اسكنهم نباتات كثيرة واسكنهم في مدع في مدع. رهم في ذلك استنبات

كثير منها في بقاع لم تكن بها من قبل وبعد ان كان نفع نبات كل جهة مقصوراً عليها صار عاماً لها ولغيرها

وستوجه غداً الى جبة البانات ان لم يطرأ مانع وهناك نطلعكم على اجناسها المختلفة فقد اهتمت الحكومة الفرنسية بانشاء هذا البستان العظيم وجمعت فيه كل ما يحتاج اليه في تسهيل طرق التعليم والتعلم لمن اراد ليطبقوا العلم على العمل فاستحسن الشيخ هذا الاهتمام من الحكومة فقال الخواجا ولم تقتصر على ذلك بل جمعت ايضاً من كل نوع وجد على وجه الارض من الحبوب والطيور والوحش والخسرات وكذلك من جميع الاحجار والمعادن كل ذلك ليطبق مدرس التاريخ الطبيعي العلم على العمل فاطرب الشيخ هذا الصنع واشتدت رغبته في الخروج معه الى تلك الجهة وفرح ولده بذلك فرحاً شديداً وسأل عن هذا المحل هل هو داخل باريز ام خارجها فقال الخواجا هو في باريز بل قريب من دارنا وابوابه مفتحة لمن اراد الدخول ثم دخلوا من احد ابواب المدينة وكان دخولهم بعد الغروب فوجدوا جميع الطرق مضيئة بالمصابيح الموقدة بها فكان لها منظر حسن يسر الناظر ويشرح الحاضر بسبب انتظام الطرق واتساع الحارات واصطفاف المصابيح ووضعها على ابعاد متساوية وكلما اتقلوا الى موضع راوا صورة احسن من الاولى على حسب تقاطع الطرق والميادين وكثرة الانوار باختلاف الجهات كالاسواق ومحال التجارة فكان يظهر للشيخ ولده ان المدينة

مزينة لاسباب وقية لانهم رأوا العربات واصناف الخلق تقبل
وتدبر في جميع الطرقات التي مروا بها كما يحصل ذلك بالنهار
سواء بسواء ومن كثرة الضوء واتصاله بضوء النهار تذكر الشيخ
شطربيت فتمثل به وهو

(وليل الكفر ليس له نهار)

فتبسم الخواجا وقال هذه الكلمة لرفاعه بك احد رجال
المدارس المصرية قالها في رحلته وقد وقع لي منها نسخة
فرايته قد اكثر فيها من مدح باريز واهلها واطنب في وصف
نسائها ورجالها وطاف حول الدن الا انه لم يدندن ورتع حول
ذاك الحمى وحام وما رفع عن وجه ليلي اللثام واطنه لم ياتها من
ابوابها ولا كشف له عند وصفه لها عن تقابها ومع ذلك فجميع ما ذكره
ورآه قد تغير الان ومضى من وقته الى الان نحو ثلاثين سنة وفي
هذه المدة تقدمت العلوم والصنائع تقدماً زائداً وظهر في اعمال الخلق
النتائج المفيدة فصلح بذلك شأنها واتسعت دائرة ثروتها ففي وقت
رفاعه بك كان الغاز مثلاً مستعملاً الا ان الطرق التي كانت
جارية في استعماله واستخراجه لم تكن كما هي الان وما حصل من
التحسينات والاستكشافات ازال كثيراً من المضرات التي كانت
تحصل للناس من عدم صفائه اذ ذاك وهكذا كل شيء اخذ في
التقدم والتحسين

فقال ابن الشيخ كان بخطر بيالي ان هذه المصابيح من الزيت

فالعجب من شدة ضوءها وإتامل في خلال النور لعلني أرى فتيلة
فلا أرى إلا ضوءاً يلمع ونوراً يسطع

فقال الخواجا ليس الأمر كما تظن لأن الغاز ليس زيتاً من
الزيت بل هو مادة أخف من الهواء ولا لون له وهو عبارة عن
أدروجين وكربون ويسميه الكيمائيون بالادروجين المكربن وله
معامل يدبرونه فيها ولهم طرق لتوزيعه داخل البيوت وفي الطرقات
فيجعلون له وإبوراً له مجاراً تحت الأرض من مواسير الرصاص
ونحوه فيوزع إلى الجهات بثن معين وتلك العمد التي تراها قائمة
على الطرق محوّفة وتجويفها متصل بالماسورة التي تحت الأرض في
محور الطريق وتلك الماسورة متصلة بذلك المحل الذي يدبر فيه
الغاز فإذا دخل الليل مرت الخدمة على تلك العمد وبايديهم
شعل من نار فيفتحون الحنفيات التي بأعلى العمد الحابسة للغاز
فيضعون الشعلة فوق الثقب الموجود في النهاية العليا لتجويف
العمود المغطى بالفانوس فحالا يلتهب الغاز وبضئ فإذا جاء النهار
قطعوا الوارد بتقل الحنفية فيقطع الضوء

فقال ابن الشيخ إن هذا الشيء عجاب ما كان يخطر ببال
أحد من أهل مصر وغاية ما يظن أن الغاز اسم لنوع من
الزيت يستعمل استعمال الزيت وحيث أنه هواء أو شبيه بالهواء
فكيف عرفوا ذلك وانتفعوا به

فقال له الخواجا وكانوا قد قربوا من النزول سائين لك

بعض ما يتعلق بذلك فلما وصلوا الى محل اقامتهم دخل كل مكانه وامر يعقوب الخادم باحضار الاكل فاحضره وكان بالمائدة مصابيح في الحائط مغطاة بالبلور الموشى وعليه رسوم لطيفة وفي تلك المصابيح صور كالشمع الابيض النظيف فكان ابن الشيخ يمعن النظر اليها

فقال الخواجا لعلك تتعجب من عدم احتراق الشمع الذي تراه فقال نعم لاني من حين جلست الى الان وهو على حاله لم ينقص منه شيء فقال كيف ينقص وهو حجر ابيض من انواع الرخام والمرمر ثم قال ان الناس لما استعملوا الغاز داخل بيوتهم اخترعوا هذه الهيئة تسمى للرونق وتليدا لما كانوا يألّفونه من قبل استعمال الشمع فهذه الشموع التي تراها احجار مجوفة والغاز يمر في تحويها وخدمه البيوت يوقدونها كما توقد خدسة الحارات الفوانيس التي تراها وقبل الان بنحومائي سنة كانت جميع مدن الديار الاور وباوية كغيرها من مدن الدنيا مظلمة ليلاً من قلة المصابيح وغاية ما هناك انه كان يوجد بعض قناديل على ابواب بعض الحارات متباعدة وكان يقطع المرور من الطرق بعد نحو ساعتين من الليل فكانت المدن وقتئذ عرضة لامتداد ايدي اهل الخيانة اليها وكثيراً ما كان يقع بها القتل والسلب

ثم في سنة الف وخمسمائة واربعة وعشرين ميلادية كثرا الشر

واربابه وتعددت الحرائق بمائة باريز فصدرت اوامر الحكومة بالزام
الاهالي تعليق قناديل على ابواب بيوتهم وعلى الشبايك والطافات
المطلة على الشوارع واستمر ذلك الى سنة الف وخمسمائة واربعة
وتسعين فاجعل بدل القناديل في المحارات والشوارع قوائم من
خشب عليها فوانيس بشمع الدهن وصدر الامر بمنع المرور في
الشوارع ليلاً بغير فانوس

ثم في سنة الف وسبعمائة وثمانية وثلاثين صار توير الطرق من
الحكومة بعد ان كان على الاهالي وفي سنة الف وسبعمائة وتسعة
وثمانين جعل مكان شمع الدهن زيت ولم تنزل بعض جهات من
اوروبا تستعمله الى الان وكان من المصاييح ما يوضع فيه فتيلة
واحدة ومنها ما يوضع فيه اكثر

وقد اخبرنا ما تحرقه الفتيلة الواحدة من الزيت في ظرف
ساعة فوجد ثمانية جرامات ونصف جرام وكان ما بين كل مصباحين
مائة متر فكان النور اذ ذاك قليلاً جداً ولم تحصل الفكرة في
الغاز والتكلم في شأنه الا في سنة الف وسبعمائة وست وثمانين ميلادية
وسببه ان رجلاً من اهل ناريز ادعى ان الغاز المتحصل من المواد
النامية اذا تجمع في ظرف محكم وعرض للهب اتقد واضاء واقام
على دعواه براهين ولكن لم يلتفت احد الى قوله الى ان جاء
ويونا الانكليزي وشرح كيفية استعماله في الاستصباح عوضاً عن
الزيت وكان في سنة الف وسبعمائة وسبعة وسبعين من ذلك العهد

اشتغل الكيماويون وغيرهم بهذه المادة

وفي سنة ١٨٠١ ظهر عالم فرنساوي فاستخرجه من الخشب فضلاً عما يخرج من الخشب من قطران وغيره من المواد وهو الذي بين طريق استخراجه من الفحم الحجري ومن الزيوت والمواد الدسمة وفي سنة الف وثمانمائة وعشرة بمقتضى قرار من البرلنتو الانكليزي اذن للجماعة نمساوية في الاستصباح في لوندرة بالغاز فاوقدوه فيها وارادت اهل هذه الشركة في سنة الف وثمانمائة وستة عشر ان نلتزم ايقاده في مدينة باريز فلم يجاؤا الى ذلك ولم يظهر وجوده فيها الا من ابتداء سنة ١٨٢٩

فقال الشيخ انا الى الان لم نسمع به ببلادنا بل المستعمل بها الى الان الزيوت والشمع في البيوت ويضع ارباب البيوت الشهيرة قناديل على ابوابهم ويندرو وجود قنديلين او ثلاثة بالحجارة الطويلة وكثيراً ما يحصل من الضبطية التنبيه بوضع قناديل على جميع البيوت فلا يسمع امرها وبهذا يقل المارون جداً بالليل وتخرج اللصوص والاشقياء من اوكارها

فقال الخواجا يمشك ان يستعمل الاستصباح بالغاز بمصر وبغيرها من بلاد المشرق كما هو باوروبا وما ذلك بعزيز انما يتوقف على تيقظ الحكومة له خصوصاً اذا علمت انه اقل من غيره مصرفاً وثناً واكثر منه نوراً ولعل بسببه تكثر الحركة وتوسع الثروة ويحصل الامان وتقل اللصوص واهل الفساد

مقسمة الى طبقات بالواح من الصاج وفيها خروق صغيرة وفوقها جبر قد طفي لاجل ان يمر الغاز منها ويتخلص من بعض الغازات المتزجة به وبمروره في حوض الماء الذي فوقه مخزن الغاز المعد للصرف يتخلص من باقي الغازات على قدر الامكان ويكون صالحاً للاستعمال ويسمون الفحم الذي اخذ غازه بالكوك وهو الذي يستعمله الحدادون

والمخزن المذكور عبارة عن ناقوس او اصطوانة من الصاج ذات قعر سعته قدر سعة الحوض وتوضع فيه منكوسة بحيث يكون قعرها الى اعلى الحوض وفيها الى حمة قعره واذا كانت خالية من الغاز كانت مغروسة جمعها في الحوض ويكون قعرها مع سطحه مغطى بالماء وكما دخل فيها الغاز ترتفع شيئاً فشيئاً ولكن بمقدار متوازن في الصعود والهبوط عند ارياد الغاز وتقصه بواسطة ائقال بحيث تكون حركاته صعوداً وهبوطاً منتظمة في اتجاه رأسي لا تفارقه وعند مدخل انايب الايراد آلة يقال لها العداد يعرف بها مقدار الحاصل من الناز كل لحظة وآلة مثلها في مبدأ انايب الصرف يعرف بها قدر المنصرف وهذه الطريقة يمكن معرفة قدر الوارد والمنصرف والباقي في كل لحظة

وقد ذكرت لك فيما مر ان لم في توزيعه في طرقات البلد وشوارعها كيفية حسنة وهي وضع مواسير من الحديد الزهر محكمة تحت الارض على بعد متر فكثر من ظاهرها وتلك المواسير متصلة

وحيث اخذت مصر في التقدم الان وسهل عليها جلب ما يلزم لذلك رءاً ومجراً فمن قريب يحصل ذلك حتى لا يكون بينها وبين البلاد الاور رباوية فرق

فقال الشيخ هل يمكن كل انسان تحصيله اما باستخراج اوتسراء كالزيت والشمع قال الخواجا نعم كل انسان يمكنه ذلك اذا عرف طريق تحضيره وتحصل على ادواته والاته ولكن في ذلك كلفة زائدة ولذا جرت العادة بان يكون ذلك لشركاء مقتدرين يتعهدون به مدة معلومة بامر من الحكومة وتجبل المحكمه لهم قدراً معلوماً على توزيعه في الطرق العامة والمحاسة والبوت وتستترط عليهم شروطاً منها ان يكون تماً صالحاً للاستعمال وان لا ينشاء عنه ضرر بالصحة وجميع اوروا يستخرجه من فحم الحجرفقط وان كان يمكن استخرجه من غيره كالخشب والدهن والزيت والمواد الراتنجية كالصمغ وغير ذلك مما يسيل على بعض الاشجار وطرق تحضيره من الفحم الحجري ان يوضع في اسطوانات من الحديد الزهر طول الواحدة نحو متر ونصف او مترين ولا تملأ الى اخرها بل يبقى منها جزء فارغ ليتجمع الغاز فيها بقي منها ثم تسد سدا محكما ثم توضع في افران مخصوصة لها وبوقد عليها حتى تبلغ من الحرارة الدرجة المطلوبة فينفصل من الفحم بخار فيد الغاز المذكور ومعه غازات اخرى فيصعد في انابيب من الحديد مستديمة البرودا فيصفو من المواد القطرانية الموجودة معه ثم يجعل في صناديق كبيرة

ببعضها وكلها متصلة بما سورة يقال لها الام منصلة بخزن الغاز ويجعلون في المواسير الموحودة بالحارات امام كل فانوس او فرع خروفا يخرج منها مواسير رققة من الرصاص لتوزيع الغاز في كل حارة وهناك حنفيات تفتح وتغلق بحيث يمكن منع الغاز عن جهة مخصوصة او اتصاله اليها متى ارادوا

ففي الحقيقة ان استخراجهم ينماج الى احتراسات وعملات كثيرة ومصاريف واسعة ومع ذلك لا يصفوا بالكلية بل يبقى فيه رائحة كريهة وكثيراً ما يحصل في محل ارتباط المواسير المدفونة في الارض تنفس فيخرج الغاز ويتشرب في الارض ويغوص فيها قدر ثلاثة امتار فيضر بحياة الاشجار والنبات ويفسد ماء العيون والابار القريبة واذا اريد احكام تلك المحلات يرى ان الارض اكتسبت من رائحته الكريهة وربما بتيت فيها مدة ثقل ونكثرت على حسب حال الارض رطوبة ويوسدة واحياناً يمر قريباً من مجاري المراحيض والسراديب الداخلة في البيوت فاداء تنفس ودخل فيها يستمر حتى يملأ البيوت من منافذ التصبات وغيرها ثم يصعد الى المساكن فيضر ناهلها وكثيراً ما تكون احكام حنفيات توزيعه في داخل البيوت غير محكمة السد فلا يجمع منها التنفس ويتشرب في الغرف فيضر ناهلها وقد دلت التجربة على ان القبيلة الواحدة منه تحرق في الساعة الواحدة مائة وثمانية وخمسين ليتراً ويلزم لذلك احتراق مائتين واربعة وثلاثين ليتراً من الاكسوجين اللازم لتقوم حياة الانفس

ويحصل من ذلك مائة وثمانية وعشرون ليتراً من حمض الكربون
المضر بالصحة فان كانت الفئيلة في مكان لا يصل اليه الهواء فلا
يمضي الا قليل وقد وصل اليها هواء ردي يحصل منه ما يحصل
من دخان الفحم من الاختناق والعلل والامراض الصدرية فلذلك
كان الاحسن ان لا يستعمل في داخل البيوت الضيقة ولا باماكن
الجلوس والنوم بل يستعمل في البساتين والاماكن الكثيرة الهواء

وقد استدلو بالتجربة على انه متى اخلطت الغاز بالهواء بنسبة
معلومة وكان في المكان جسم ملتهب كشمعة او غيرها فلا بد ان
يحصل في الهواء التهاب ويكون له دوي وفرقة شديدة يحشى
منه الضرر على من كان قريباً منه لكن محل حصول ذلك منه
اذا زاد الهواء عن الغاز اكثر من احدى عشر مرة ونصف فلو
فرض ان حجماً من الغاز اخلط بقدره خمس مرات من الهواء او
ستاً او سبعة الى احدى عشر مرة ونصف فلا يحشى منه ولا ينشاء
عنه هذا الالتهاب ومتى زاد عن ذلك ولو قليلاً الالتهاب فالاقامة
في مثل هذا المكان خطيرة لان زيادة الهواء نير مأمونة فيكون
الضرر غير مأمون فيلزم الانسان اذا احس برائحته في غرفته
وكان بها قنديل او شمعة ان يطأها كذلك الاجسام المتقدة كالمنقد
ونحوه وكذلك لا ينبغي الدخول في مكان احس برائحته فيه

ثم قال وكان عدد اللّنبات في مدينة باريز سنة الف وثمانمائة
وثمانية واربعين ثلاثة عشر الف وسبعائة واحدى وسبعين لنبه

صرف عليها نحو أربعة وأربعين ألف جنيه

وفي سنة ألف وثمانمائة وخمسة وخمسين بلغ عدد الشركات المتعمدة في المدينة ثمانية ومقدار المصرف في المعامل والآلات اعني رأس مال هذه الشركات قريباً من مائة وعشرين ألف جنيه وكان ثمن المتر المكعب سبعة عشر سنتياً بالنسبة لما تأخذه الحكومة وبالنسبة للاهالي ثلاثين ومدة الالتزام خمسون سنة وبلغ مقدار المحرق من الغاز في سنة ٧ ١٨ قريباً من ثلاثة وخمسين مليون متر مكعب واحترق فيها مليونان وستمائة ألف وكسور هيكولتر من فحم الحجر وبلغت قيمة ذلك ستة ملايين ومائة ألف فرنك فقال ابن الشيخ قد خرجت مع يعقوب منذ يومين فصادف وقت دخولنا ان البواب كان يتشاجر مع زوجته بسبب ان هرّتها قلبت زجاجة ففاحت منها رائحة كريهة فشهناها فسألت يعقوب فقال هي رائحة زيت معدني فلم افهم معنى هذه العبارة لاني لم اسمع بزيت معدني الا منه والذي اعرفه هو الزيوت المستخرجة من النباتات والابزار والفواكه

فقال الخواجا استعمل بعض الناس من عهد قريب في المنازل والورش والفوريقات ونحوها زيتاً اتخذوها من خلط الغاز زيوت النباتات بكيفية وتدبير مخصوص واستعملوا ايضاً زيتاً منخدة من الغاز والنفط

وحيث كانت هذه المواد كلها خارجة من جوف الارض من

بقاع معلومة سميت زبوتاً معدنية واللبنات والمسارج المستعملة لها
ليست مثل المستعملة للزبوت النباتية بل تختلف في التركيب والقصد
من ذلك كله تميم حرق الاجخرة المحاصلة من تلك المواد
ويوجد ايضا زبوت مدرة من خلط زيت الترابنتين او النفط
او الغاز بالكؤل او غيره مثل زيت الششب او الغاز المائع ولها
قناديل مخصوصة بحيث لا يستصعب به الا فيها ولكن لكون جميع
هذه الزبوت سريعة التبخر والتطاير وبادنى شرارة تلتهب بسرعة
كان استعمالها لا يخلو من الضرر وكثيراً ما حصل سببها حرائق
كبيرة ولها روائح كريهة ولا تزول من الارض التي تصيبها الا
بعد زمن طويل فبتلك الاسباب استدلو على ان استعمال هذه
الزبوت كما هي من غير خلط اوفق واخترعوا للاستصباح بها
قناديل جربوها فيها فوجدوها محصلة للغرض المطلوب ومع ذلك
فيلزم تمام التحفظ والاحتراز في نقل تلك المواد من مكان الى اخر
وفي حال استعمالها

وبسبب رخص سعرها وشدة ضوئها صارت هي المستعملة
الان سيما في جهة الارياض فاستعملها الغني والفقير حتى بلغ قدر
المستخرج منه سنة الف وثمانمائة وثمانية وخمسين الف وخمسة
وعشرين مليوناً من اللبترات وقد حفر ما عدا الآبار التي كان
يستخرج منها مائتان وخمسون بئراً واذا نجت الحاربي في وقود
الوابورات بها بدل الفحم الحجري عمت فائدتها واتسعت دائرتها

وانتشرت في جميع البقاع

وقد اخترعوا اليوم اختراعاً جديداً وهو انهم استعملوا قنديلاً لطيفاً مستوفياً لجميع اللوازم الا انه لا ثقيلة فيه بل يكتفى عن الثقلة بوضع جسم فيه ذي مسام كقطة فحم او سفنجة تغمس في الغاز المعدني وتوضع فيه فبدلاً عن احتراق الزيت الذي يتصاعد منه الدخان والرائحة الكريهة يكون الاحتراق للناز الحاصل من هذه الزيوت فانه يمرور الهواء عليه تشرب من الانجزة فتصل الى المسرحة فتلهب الشعلة وتضيء مثل الغاز المستعمل الى ان ينتهي والغاز الذي يكون في القنديل مركب من تسعين جزءاً من الهواء وعشرة من الغاز ومع ذلك لو ارد استعماله في طبقات المنزل جميعها لا ضير فيه ويكفي لتوسيله ماسورة واحدة وبذلك امتنعت اسباب الضرر وسهل على كل انسان الحصول على الغاز بثمان قليل

فانظر كيف كانت ثمرات ابحاث العلماء والكيا بين فقد حصل منها فوائد حمة انتفعت بها الناس عموماً وذلك من المادة النفطية على اني لم اذكر لحضرتك جميع الامور والصنائع التي تدخلها هذه المادة لان شرح ذلك يطول فعلى جميع النوع البشري ان يرفع اكف الضراعة بطلب زيادة عدد هؤلاء العلماء حيث نتج من اعمالهم الخيرية تمتع الفقير بالنور الذي كان محروماً منه قبل ذلك الاختراع الذي بواسطته اتسعت دائرة المعلومات

فقال الشيخ كم لله من فواضل وفضائل وكم ادرك المتأخرون
 ما لم تدركه الاوائل فمن جد وجد ومن لج ولج وقد استنق
 الفرنج الثناء الجميل وادركوا المجد الاثيل حيث نالوا من التقدم
 ما نالوا وان كان يؤثر عن المتقدمين ما يقرب من ذلك فقد كانت
 العرب في حربهم تدبر من النفط ناراً ترسلها الى العدو بكيفيات
 مختلفة منها ما كان يسبح فوق الماء حتى يصل مراكب العدو فيحرقها
 ومنها ما كان يصعد في الجوّ ويسقط في اوقات معلومة على اماكن
 معلومة وغير ذلك ما هو مذكور في كتب مطولة

ومن معرفتهم لهذه الكيفيات وحهل العدو بها كان الفرنج
 يهابونهم في حروبهم وكثيرا ما انهزموا منهم كما حصل في حرب
 الصليب وغيرها

المسامرة (١١٠)

السلف، والخلف في الاسلام

ولكن لا يدري الان كيف تناسى العرب هذه المعارف بالكلية
 وهجروا استعمالها في بلادهم بعد ان علموا فائدتها في حروبهم حتى
 علمها الفرنج وتفننوا فيها وقد قالوا اذا ظهر السبب بطل العجب فليت
 شعري ما سبب هجرها في بلاد العرب فان قلنا ان السبب بلادتهم
 وقصور عقولهم فهم ليسوا كذلك فانهم فرسان الفصاحة واخوان
 البراعة والسماحة وان قلنا تغير طبيعة ارضهم وهوائها فما على حالكها
 لم يتغيرا وان قلنا تنذر قوانينهم وعاداتهم فهي على ما كانت عليه لم
 يتغير منها شيء وايضاً فان الارض لم تبجل شيء كانت تجود به من
 قبل وكذلك الشمس في غروبها وطلوعها لم تتحول قط عن

مستقرها ولكنها اذا تأملنا في امر هذه الامة وما حصل لها خلفاً وسلفاً وما احدثه الخلف بعد مضي السلف وجدنا السبب انما هو ما صار عليه الائمة من خالف هذه الائمة فامهم تركوا ما كان عليه السلف من النظر في مباح الامة والسعي فيما فيه نفعها فبدلوا ذلك كله وراء ظهورهم واتبعوا الشهوات والاسواق والواجبات وحملوا الناس مما لا يطيقون وشغلواهم بتبديل ما يتهدون فان ائمة للرعايا كالرأس للجسد او كالتاب بالنسبة للجوارح اذا صلح صلحت واذا فسد فسدت وقد كان السلف صارفين انظارهم نحو مصالح العباد العمومية فكانوا يتدرون مهم في اقولهم وافعالهم وكذلك الفرغ لما كان رؤساءهم بتلك الصفة ظهرت فيهم العلوم والصنائع وسرت منهم الى غيرهم حتى عمت سائر المواضع

فقال الخواجا ان من نتع سير المتقدمين من علماء ملتكم واخبار الماضين من ائمتكم رأى ان المسلمين كانوا في صدر الاسلام لا قصد لهم الا نصره الدين واعلاء كلمة الايمان وكان لا يتولى الحكم بين الناس الا العالم بالاحكام الشرعية

فقال الشيخ قد ورد في الحديث خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم فكل قرن شر ما قبله وخير ما بعده وفي صدر الاسلام كان تعظيم العلم واهله امراً لازماً اذ كانت الاحكام الشرعية بين الكوفة هي المظور اليها ولا معمول فيها قل وحل الاعاليها فكان العلماء في الحقيقة هم اولوا الامر الذين اوجب الله طاعتهم

واعلى في الخافقين رأيهم

وبسبب ما كان لاهل العلم من الشرف والاحترام بين
 الخاص والعام رغب الناس في تحصيله وجدوا السير في سبيله
 حتى اتسعت دوائر وعلت في جميع البقاع منابر واستنارت به
 نصائر العباد وانصلح به امر المعاش والمعاد اذ بكثرت لم يكن قاصراً
 على الاحكام الشرعية والفنون العرسة بل تعدى ذلك الى جميع
 ما تلزم معرفته لعموم مصالح العباد وعمار الاقطار والبلاد فقد بذل
 العلماء المجهود في كل علم والفوا اسفار الكتب في فنون شتى ففضلاً
 عن المؤلفات التي لا تدخل تحت المحصر في الاحكام الشرعية تجدد
 مؤلفات كثيرة في فن الفلاحة والملاحة والتاريخ والتجارة والعمارة
 والصنائع المتنوعة والطب والحكمة والفلسفة والرياضة وغير ذلك
 مما يستعين به العالم ويهتدي به الجاهل فكان العلماء بين الناس
 كالاهلة في السماء تنبعث انوارها على سائر ارجائها وبسبب ذلك
 تألفت الطبائع في جميع البقاع فزادت قوة الامة وقويت شوكتها
 وكان ذلك سبباً في سعادتها واتساع دائر ثروتها وما سبب ذلك
 الا بناء المحاكم احكامهم على سنن الشريعة وسلامة بواطنهم من
 الاغراض الفاسدة فلم يكن همهم الا السعي في المصالح العمومية
 واجتماع الكلمة الاسلامية ولما سار المحكام في غير هذا المنهاج وسلوكوا
 شيئاً فشيئاً طريق الاعوجاج وصار اكبر همهم تحصيل اغراضهم
 الفاسدة وحادوا عن احكام الشرع الى شهواتهم تصرمت اسباب

الائتلاف بين الامة وتفرقت طبقاتهم بتفرق قلوب الائمة فسار كل فريق على حدته وترك كل منهم موجبات ثروته فاجب ذلك فقر الجميع وضعفهم وبما داخل كبراءهم من الطمع حصل بينهم التباغض والعدوان وكثر التحاسد والحمران وظهر اذ ذاك التمدن الاسلامي الجديد واظن ان ابتداء ظهوره كان في زمن العباسيين ويمكن تعيين ابتدائه بخلافة المأمون وذلك انه اكثر من شراء المالك ثم قلدهم المناصب العلية وامرهم على اشراف الامة الاسلامية فكان المالك هم اصحاب الحل والعقد وفي ذلك توسيد الامر الى غير اهله وتولية السفهاء امور الكرماء فتدث الفجور والتباعد بين الناس ثم قوت شوكة المالك حتى تعدوا على الخلافة نفسها فاستوجب ذلك ازلتها وتفرقت الكلمة الاسلامية واحتوت احكام الشرعية فاخذ العلم في التقهقر وقل اهله لفقده ما كان له من المزايا واستمر تأخير رجال الفضل من الائمة وتقديم من لا خيرة له بالشرع ولا سند واحوال الامة واصور انتماء ان الاسلامي زنده سرته الاعلية فان اصله كان مؤسساً على العلم والعدل الذين هما اكبر دعائم الدين

واما التمدن الذي قام مقامه فاساسه البغي والظلم وقهر العباد فباتمدن الاول كان اجتماع طوائف الامة بالرضى والاختيار لما كانت تستمد منه من الفوائد التي تعم الجميع والافراد من جليل وخير فكانت الناس منجذبة اليه بالطبع فكان ينمو بالتدرج حتى

كثر العلم والمال وبالتمدن الثاني حصل الفشل والتباغض بينهم
 وصارت الامة على قسمين حاكم ومحكوم فتخصص الاول بالمزايا
 والرتب وتحصيل الاغراض والشهوات وانساق القسم الثاني في
 طريق الذل والقهر وتجرد بالتدرج عن مزايا الشرف حتى كاد
 يلحق بالحيوان البهيمي الذي يتصرف فيه مالكه من غير ان يكون
 له اختيار ولا يشك احد ان ذلك اكبر اسباب التدهور فستان ما
 بين زمان اقيمت فيه الشعائر واستنارت منه البصائر وكثرت فيه العلوم
 والمعارف وزمان تعطلت فيه الاحكام وتباغض اهل الاسلام
 واندرست فيه العلوم ولم يبق من الاحكام الا الرسوم والكلام في
 هذا المعنى طويل وفتح بابه الان لا يفيد

المسامرة (١١١)

القار

ثم استأذن الخوaja من الشيخ في القيام فاذن له وشيعه ثم رجع وتوضا وقضى ما عليه نفلاً وفرضاً ولكنه لم يتم تلك الليلة فدخل عليه ولده فقال يا بني قد سئمت الإقامة هاهنا وأودّ أن نكون خارج البلد وقد تكلمت مع الخوaja في هذا الأمر فاستحسنه فإذا نقول فقال له ولده الرأي ما رأيت انما اخشى أن يكون المحل بعيداً فيشق عليكم الحضور الى الدرس فقال له ان هو الا يوم في الاسبوع ومع ذلك لم يصرف الخوaja نظره عن هذا المكان بالكيفية فان شئنا اقمنا هناك وان شئنا اتينا هنا فقال له ولده متى يكون ذلك فقال لم تنفق فيه على وقت ويغلب على ظني انه يكون غداً لاننا متفقون على أن نذهب بعد ظهر هذا اليوم الى بستان النبات فرأى ابن الشيخ الوقت واسعاً فقال لوأله اتأذن لي ان اخرج مع يعقوب الى أن يجيء الوقت فقال له لا مانع ثم قاما ودخلا مكان المائدة فوجدا

الخواجا في انظارها فاكلوا جميعا وبعد الاكل اخذ ابن الشيخ بيد يعقوب وخرجا ثم انعطفا على غرفة يعقوب وكان في نفس ابن الشيخ كلام مما سمعه من الخواجا حين كان يتكلم على الغاز ومواد استخراجيه وكيف انه استصباح به فقال ليعقوب خطر بيالي ان اسال الخواجا عن النار الذي تطلّي به السفن فاني رايتّه حين كنت بمصر ولكني لا اعرف من اي شيء يستخرج ولا من اي جهة يجلب

فقال يعقوب ان القطران والترابنتين مواد راتنجية تستخرج من الشجر ما عدا النار فانه من الارض وهو ثلاثة انواع نوع صلب ونوع مائع ونوع بين ذلك فالاول يلين بالحرارة ويناع اذا وصلت الحرارة لدرجة الغليان واما الاخير فيكفي لميوغته ادنى حرارة وتلك المادة بانواعها يخرج منها زيت يقال له زيت معدني فاذا تكرر تصعيده صار ثقيا وصلاح للاستصباح به وما بقي بعد التصعيد تارة يكون مادة فحمية وتارة يكون مادة لزجة لينة والثقل النوعي لتلك المادة يقرب من ثقل الماء ولذلك اذا اجتمع معه طفا على ظاهره او قريبا منه وله رائحة تخصه لا تظهر الا عند العرض على النار ومن خواصه انه اذا احرق لا يتخلف له رماد بل تاكله النار جميعه والجماد منه لا يدخل الماء في مسامه ولا يفسد خواصه وهذه المواد تذوب في الكوئل وزيت التربينينة ولا تذوب في الماء وزعم بعضهم ان هذا المعدن مركبي مكون بين طبقات الصخور التي تكونت قديما ويكون في الغالب قريبا من معادن الكبريت

والجبس ومنابع المياه الحارة المعدنية وزعم اخرون ان
 اصله حاصل من المواد الفحمية بفعل شديد اثر فيها
 فعزله عنها كما ان اصل الغاز من الفحم الحجري وليس للغار
 بانواعه جهة مخصوصة بل يوجد في جميع بقاع الارض انما
 منه ما يكون على السطح ومنه ما يكون قريباً منه وفي بعض
 الجهات موجود منه طبقة عظيمة المقدار يؤخذ منها من زمن
 مديد الى الان وهي لم تنفذ ولعل له مدداً وان كالا نعرفه وبالجحمة
 فانواعه ومواضعه كثيرة وان كان المشهور منه في التجارة ثلاثة
 انواع كما ذكرنا قار الموميا ويقال له قار بهون او اسفلت وقار
 مالت والزيت الحجري ويقال له باللسان الافرنجي بيترول فالنوع
 الاول جامد بطبيعته واذا كسر كان شبيهاً بالزجاج ولا يذوب
 الا بحرارة شديدة تفوق درجة الغليان ويوجد في شواطئ بحر
 لوط اي البحيرة الميتة فاذا صعد من قاعها شيء على سطح الماء
 وتراكم قذف به الريح الى الشاطئ ويكون في اول الامر ليناً ثم يجمد
 بالهواء ويجمعه الناس ويتجرون به ويخرج ايضاً من جزيرة
 بجزائر اللانتي ولكن ما يستخرج من بحر لوط اجود منه وكان
 قدماء المصريين يستعملونه في حفظ اجسام موتاهم من البلى
 فيغمسون فيه قطعاً من قماش ثم يلفون فيها موتاهم وهذا المعدن
 يوجد ايضاً باوروبا الا انه قليل الاستعمال فيصنعون منه شمعاً
 اسود تختم به ظروف المكاتب وطلاً اسود يسي باسود الموميا والنوع

الثاني وهو مالت ويقال له القار الجلي اسود اللون ولينه وصلابته على حسب حرارة الجو ولا يجهد الا في اوقات البرد واذا عرض لحرارة الشمس لان وامتد على سطح الارض ومتى بلغت الحرارة ثمانين درجة صار مائعا وهو كثير الوجود بارض فرانسا والانكليز وغيرها وقد يخرج في بعض الجهات نقيا من ثقب في الصخر كالعيون فتلقاه الناس بمجاريه وقد يوجد في بعضها مختلطا برمل او تراب فاذا ارادوا تخلصه قطعوه بارضه ووضعوه في قدور مملوءة ماء واوقدوا تحتها حتى تغلي فيرسب ما خالطه ويطفوه فوق الماء فيؤخذ بملاقق ويعمل قوالب كل قالب نحو اربع اوقات ثم يضعونه في براميل وهذا النوع يدخل في امور كثيرة كاللون والولانيش ويطل به الخشب والجبال التي يراد استعمالها في الماء لاجل حفظها وقد كثر استعماله الان حتى استعملوه في الطرق بجوانب الشوارع بمزجه بحصى ورمل فيتحصل به منظر جميل في تلك الجبال فليس من تحجيرها وكذا في بريقة سطوح المنازل وظهور القاطر ومناطق الحارات عوضا عن الحجر والبلاط فانهم وجدوه في كل ذلك اقل كلفة من التحجير واكثر فائدة وقد بلغ ما يستخرج منه الان بارض فرانسا في كل عام نحو ثلاثة ملايين اقة وقيمة الثمانين اقة منه تقرب من نصف فرنك ولما اورد المرح الثالث هذه الزيت الحجري والتدول وهو المسمى بالنفط فهو مائع لزج طيب الرائحة احمر اللون ومعدنه

ببلاد فارس بقرب مدينة باكو وفي ضواحي بحر الخزر وفي بلاد
 ايتاليا في مواضع كثيرة منها وفي جزيرة سيسليا وهي صقلية وفي
 فرانسا في موضع واحد بالقرب من قرية جاييو ولذا يسمونه زيت
 جاييو ولا يوجد الا بجوار المياه المعدنية الحارة وقد يختلط بها
 فيطفو على وجهها كالزيت في الحيطان الطبيعية او الصناعية
 فيجمعونه ويضعونه في الاواني ويخرون به ويخرج بالقرب من
 قرية باكو من بلاد الفرس بخار من الارض تستعمله الاهالي
 في تسوية الطبخ وذلك الزيت يستعملونه عوضا عن الفطران
 وفي الاستصباح والمشرقون واهالي ايتاليا وحنوبي فرانساي نسبون
 له خواص طبية فيعملون منه حباير للجروح والامراض الروماتسية
 وفي الباطن لقتل الديدان وغيرها ولكن بعد تصعيده مع
 الماء والناتج من هذه العملية هو المسمى عند التجار بزيت اللفظ
 ويدخل ايضا في اشيا كثيرة من الصنائع ولا يفسد بطول المكث
 وله حرارة شديدة وضوء عظيم ويعسر اطفاءه ورائحته كريهة
 ودخانها كثيف ولما كيفة الاستصباح به فقد ذكرها الخواجا فلا
 حاجة الى اعادتها

المسامرة (١١٢)

المستشفى

فقال له ابن الشيخ اللذة في التثقل فالى اين نذهب فقال
يعقوب المنتزهات في هذه المدينة كثيرة ولم تر الا القليل منها
وبيناهما يتشاوران فيما يذبحان اليه منها اذا بالحواجا موريس الذي
كانوا بمنزله منذ ايام دخل عليهما والتى عليهما التحية فرحبا به ثم
خص ابن الشيخ بالتحية وسأله عن والده ثم قال له ان حضرة
الشيخ وعدني بالزيارة وقد ازداد سوقي اليه هبل يمكن الان الاجتماع
به لاسلم عليه فقال له اما شوقك اليه فبعض ما عنده واما مقابله
فهو في غرفته فقال لا بد لي من زيارته لاحظى بمفاكحته ومشاهدة
طلعته فاين تذهبان فقال له الى منتزه من منتزهات المدينة

فقال اذا كان مقصودكما ذلك فما انا متوجه الى استبالية لرييوايز
لزيرة حكيمها فان شئنا اغنمتما فرصة رؤيتها وبكون ذلك داعياً
للاطلاع على المستشفيات الموجودة في مدينة باريز والمارستانات
بمساعدة حضرة الحكيم صاحبنا

فقال يعقوب هذا الرأي اوفق وواقعه ابن الشيخ فساروا
جميعاً الى ان وصلوا الى باب الاستبالية . فشد الخواجا زراً من
النحاس الاصفر مثبتاً في الحائط بقرب الباب فترك جرساً عند
مجلس البواب فجاء وفتح الباب وادخلهم واجلسهم في محل معد
لمثل ذلك ثم قال الخواجا موريس للبواب اريد زيارة الحكيم
واعطاه تذكرته كما هي العادة عندهم فذهب سن فوره ثم رجع يقول
ان حضرة الحكيم ينتظركم فقاموا جميعاً الى محله فقابلهم من الباب ثم اخذ
بيد الخواجا موريس وسأله عن معه فعرفه بابن الشيخ ويعقوب
فرحب بهما وحياهما ثم طلب لهم كرسي وقهوة فجلسوا وشربوا وبعد
لحظة قال له موريس نريد ان نرى الاستبالية فقال حباً وكرامة
وقام وادخلهم حوشاً ستسعاً مستطيل الشكل فيه شتر قسم تقسيماً
حسناً الى ثلاثة بساتين في البستان الوسط هذا حوض ماء في
وسطه فوارة تنذف الماء الى ارتفاع . تنظيم فتسمع لها نغمات لطيفة
تشبه نغمات الموسيقى ناشئة عن اختلاط صوت الماء في نزوله في
الحوض مع صوت عبث الريح بفصوص الاشجار وتغريد الاطيار
فقال يعقوب يخيل لي انهم ما اخاروا هذا الموضع الجميل الحسن

الألتروج المرضى وتسليية افئدتهم عما بهم من الالام واثار الاسقام
ورأينا ان من دبت فيهم التناهة والصحة يتمشون بين الاشجار مقبلين
ومدبرين وحول الحوض مصاطب وكراسر يجلسون عليها وفي
دائر ذلك الحوش عتابر المرضى وعددها ستة في كل عتبر اثنان
وثلاثون سريرا وفي اخر كل عتبر ادبجانه ومحل للخدمة الذين
يقومون بمصالح المرضى وبين كل عتبرين فضا ظلل بالشجر لاجل
تنزه المرضى وعدم سريان الامراض من عتبر الى اخر وفي الضلع
الاصغر من الحوش حمام ركيسة ومحل لغسل ثياب المرضى وتغسيل
من يموت منهم وعند باب الدخول محال الحكماء والادارة والكتبخانة
وغير ذلك فكانوا كلما مروا بعتبر عرفهم الحكيم بمن فيه وبالداء
وبالدواء الذي يناسبه

المسامرة (١١٢)

التغ

وفي جولانهم بين العنابر شاهدوا مريضاً قد أضناه المرض ونهك
 جسمه وكساه ثوب التخل والصفرة وهو باهت محمرّ العينين وله
 أنين وتشنجات شديدة تكاد تفضي به الى العدم ورأوه يكثّر من
 التثاؤب والقيء فامعن ابن الشيخ النظر اليه ورق لحاله وبعد ان
 طافوا بالمحل كله رجع بهم الحكميم الى محله فلما استقر بهم المجلس
 سال ابن الشيخ عن مرض هذا المريض الذي لم يغرب عن باله
 لما رأى من سوء حاله فقال الحكميم ان اس مرض هذا الرجل هو
 استعمال الدخان فان له انكباباً زائداً على مضغه فتولد له منه هذا
 الداء العضال

فقال ابن الشيخ الحمد لله الذي انعم عليّ بوالدي الذي رباني على عدم استعمال الدخان حتى نشأت على كراهته فلا يطيق ان اشرب منه مصّة واحدة فقال المحكم عهدي بالشرقيين انهم يشربونه وهم به ولع زائد فقال ابن الشيخ نعم الا ان شربه ليس محموداً

فقال يعقوب رايت في بعض الكتب النهي عن شربه ويقال ان به مادة سمية تضر بالصحة وربما أدت الى الموت فقال المحكم ان الكيماويين بعد امتحانه قالوا ان فيه مادة سمية تسمى النيكوتين وهو مائع لالون له متى كان في انابيب مقفولة ويتلون باللون السنجابي اذا لامس الهواء ورائحته كريهة وطعمه لذّاع ويكون في الدخنة التي يبتلعها الانسان وهي من السميات الشديدة وان قال بعضهم ان هذه المادة انما طرأت له من الاعمال التي تعمل فيه بالمعامل فليس الامر كذلك بل هي من نفس النبات وتلك المادة في دخان النشوق اكثر منها في الدخان المشروب كدخان السجارة والذي اعلمه ان هذه الشجرة وان سم الارض زرعها وكثر في الممالك ريعها لم تظهر بلادنا الا بعد القرن السادس عشر من الميلاد واظن انها كانت موجودة عند امرتيين من قديم الزمان ويؤيد ذلك ما قالوه من ان كريستوف كولمب ارسل بذرها من بلاد الامريقا وقت استكشافه لها الى بلاد البرتغال فزرعوه ومن ذلك الوقت صارت تكثر شيئاً فشيئاً الى الان

فقال الخوجا مورييس للناس في استعمالنا كيفيات منهم من يدقها ويستنشقها ومنهم من يقطع ورقها قطعاً ثم يعضها ومنهم من يفرمها ثم يشربها في شبكات ومنهم من يلفها سجارات ثم يشربها وبالجملية فلو تتبعنا اهل الارض لوجدنا من يتعاطاها اكثر ممن لا يتعاطاها ألا ترى اهل اوروبا واكبايم عليها مع انهم لم يعرفوها الا منذ قرنين اي بعد القرن السادس عشر وقبل ان بذرها اهدي الى الملك شرلكان سنة الف وخمسمائة وثمانية عشر وانه لم يزرع بارض البرتغال الا سنة الف وخمسمائة وثمانية وخمسين ولا بارض فرانسا الا سنة الف وخمسمائة وستين والذي جلبها اليها سفيرها بالبرتغال وذلك ايام الملكة كاترين دوميديسي فلما زرع واهدي منه اليها اشتهر واتبعته الخلق واخترعوا له فوائد حتى قالوا انه شفاء من كل داء

فقال ابن الشيخ قرأت في بعض التواريخ ان اول دخوله في ارض الدولة العلية كان في سنة الف وستمائة وخمس للميلاد زمن السلطان احمد النانوي جلبه الفرنج الى القسطنطينية فعلم الناس شربه وتولعوا به فانفتحت الفتى بعدم جواز شربه فهاج الناس وماجوا ولم يلتفتوا الى الفتوى واستمروا على شربه فلم يشدد عليهم بعد ذلك وفشى امره حتي صار الان يشربه النساء والرجال

وكما تسمى تلك الشجرة الدخان تسمى ايضاً التبغ بمنانة فوقية

وموحدة تخية ثم غين معجبة واحفظ . لبعضهم بالنسبة لاسم
التبع شعرا

بدت في سماء الطب نزهة وامق

فدان لها طوعا شعاع الشوارق

فتاء وباء ثم غين هجاؤها

فدونكم نفاعه للخلائق

الى ان قال

لها قوة نفي قوى كل بلغمر

وتذهب بالصفراء في لمح بارق

وتذهب اخلاط الدماغ بشمها

وتفتح للسوداء باب الخوانق

وفيهما شفاء للسموم جميعها

وافعالها في المضم فعل الخوارق

وفيهما دواء لست احصره

وكم حكمه فيها وكم من مرافق

فقال الحكيم بعد ان سمع ترجمة هذه الابيات قد كاد الناس

يعتقدون في مبدأ امره انه علاج لامراض شتى وليس الامر الان

كذلك فقال موريس ان هذه الشهرة كانت السبب في الاكثار

من زرعه والان صار يزرع كثيرا بمملكة فرانس ومملكة البرتغال

وبلاد المجر والامانيا والنمسا وبلاد الموسكو وارض مصر والشام

والصين والأمريكتين وجزائر كثيرة من جزائر المحيط وقد رأيتهم
حين سياحتي نام بقا التمانه يتخيرون لزرائعهم طيب الأرض واقواها
واكثرها زبدا واكثرها ربا ولا يسمونه بتدار وافر من السباح وفي
بعض الجهات يزرع في الأرض التي نزل منها ماء النهر لانها
تكون مغطاة بطبقه من الطمي تستعمل كثيرا من البوتاص وفي
اخرى يزرع بسفح الجبال في ارض مخصوصه واولان زرعه عندهم
شهر مايه انفرنجي ويزرع سريار شهر تارة يكرن احمر ورياء وتارة
اخضر وتارة ازرق فاذا بدا صلاحته ولا يفر ورقه جمعوا شيئا فشيئا
وجففوه بالثمانه على الأرض مدة ثم يجمع ويكمل تحفيفه تحت سقائف
ثم يربط حزما ويبيع بهذه الصورة ورأيت في اطرافه ابراجا وفيها
بذره فاذا نضج وتم صلاحه اخذوه وحفظوه الى اوان زرعه فيبذرونه
في الأرض بالقره وكبة التقاوي لكل ثلاثه عشر مترا ملعقة صغيرة
ويصرون عليه نحو مائة يوم ثم يذرونه ويملونه للأرض التي تخيروها
له ويسمى الممتول قبل تملكه ورسمه وبعد تملكه بلننه اهل الافلاحة
شتلا ومن السادة انه قبل تسعة أسابيع يقشر ورقه القريب
من الأرض الى ارتفاع قدم وفي بعض الجهات يحل ارتفاع الباتة
منه الى مترين او قريب من ذلك

ورأيت في بعض اوراق حواث سنة الف وثمانمائة وتسعة
وخمسين ان فرانسوا ارينه عشر ورقه باسم الدخان خاصة موزعة
في مدينة باريز وغيرها وان بها من العمال نحو خمسة عشر الف

نفس وانه يستخرج من تلك الفوريات في كل سنة من ذلك الصنف ما يتوف على ثمانية وعشرين مليوناً من الكيلوجرامات وان ايراد الحكومة من ذلك في تلك السنة نحو مائة وثمانية وسبعين مليوناً من الفرنكات فانظر ما بين وقتنا هذا وبين زمن لويز الثالث عشر الذي منع في ايامه شرب الدخان وبيعه الا للاجراجات وتوعد كل من باعه لغيرها او شربه بالعقاب الشديد وكان ذلك في سنة الف وستائة وخمس وثلاثين

واما المتحصل منه ببلاد النمسا فيقرب من سبعة وثلاثين مليوناً من الكيلوجرامات وكله يرد الى الحكومة لانها هي المتصرفه فيه دون غيرها كما هو جار ببلاد فرانس فتشتره من الاهالي بنحو مليون ونصف من الفرنكات وتجمعه في الفوريات وتصنع به ما يلزم له ثم تبعه على ذمتها وقد اتسعت زراعته في ارض البروسيا حتى بلغت فورياته الان بها نحو سبعمائة وعشر فوريات وفيها من الشغالة خمسة عشر الف نفس وبلغ قيمة ما يخرج منه كل سنة من بلاد الايتازوني من الامريقا ما تبلغ قيمته نحو مائة مليون وعشرة ملايين من الدولار والدولار عبارة عن خمسة فرنكات

وقد احصوا ما يخرج من جميع كرة الارض من هذا الصنف في كل سنة فوجدوه يقرب من اربعمائة وخمسة وتسعين مليوناً من الكيلوجرامات من اسيا مائة وخمسة وتسعون مليوناً ومن اوربا مائة واربعون ومن امريقا مائة وثلاثون مليوناً ومن افريقيا اثني

عشر مليوناً

واما الدخان المصري فلا اعرف قدر متحصله فقال ابن الشيخ
 هذا النوع يزرع عندنا كثيراً الا ان عوده قصير وورقه صغير
 ولا يشربه الا الفقراء ونحوهم من اهل القرى وقد ظهر الان عندنا
 نوع يشرب في النرجيلة يسمونه التنباك يقولون ان في شربه فوائد
 فقال الخواجا موريس انواع الدخان كثيرة واخلافها
 باخلاف البلاد التي تجلب منها فالذي يجلب من بلاد الفلمنك
 مقبول في الشوق لمارته والذي يزرع ببلادنا لا حصر لانواعه
 فمنه ما يكون ورقه عريضاً ورائحته كرائحة جوز الهند ومنه ما
 يكون ورقه طويلاً قليل العرض ورائحته كرائحة النوشادر وهو ما
 ينبت في الجهات الشمالية من المملكة ومن الوارد من الجهات الاجنبية
 ما يكون له رائحة طيبة مثل دخان هوانا والورجيني وغير ذلك

فقال المحكم قد كثر كلام الحكماء قديماً وحديثاً في شرب
 الدخان فمنهم من يقول بضرره ومنهم من يقول بعدم ضرره
 والذي اقول به انه لا يخلو من فائدة وانما يجي الضرر من
 الافراط في تعاطيه

وكيفيات استعماله ثلاث الاولى الاستنشاق به ويحصل منه
 تهيج للغشا المخاطي ويكثر افراز المواد المخاطية ويكثر العطاس وربما
 حصل من قوة العطاس تمزيق لبعض الاغشية ويحدث رعافاً
 ويحول قبة العين والاكثر منه ربما يذهب حاسة الشم ومن

فوائده ان من تعود عليه خف نومه وامن من الصداع ووجع العين والاسنان

الثانية شربه في السجاره يكثر اللعاب ويعقب ذلك التخدير وضعف الهضم وربما حصل منه استفراغ ودَوَّخَان فان تركه متعاطيه زال ذلك بعد زمن يسير وان رجع اليه رجع كل ذلك وهناك اشخاص لا يمكنهم تعاطيه اصلاً

ومن المشاهد ان من اكثر منه تشقق سقف حلقه وقال بعضهم ان شربه يورث لنا في الغشا اللعابي في الشفة واللسان وانتفاخا خفيفا في الحلق ترشح منه مواد مضرة تهيج طاقات الانف فتارة تسقط في المخجرة وتارة تخرج من الانف مخاطا قذراً وقال بعض الحكماء ان شربه يوءثر في العينين ويهيجها اكثر من تهيجها من دخنته في الخارج ولذلك يرى شارب الدخان عقب قيامه من النوم دامع العينين محمرهما ويحس فيهما بحرارة والمكثرون منه يحسون بالحم في جباههم والمكثرون من البصاق تضعف عندهم قوة الهضم والتغذي وبعضهم يقول انه يحصل من مائه المختلط بالدخان المبتلع التهاب وتهيج للمعدة وقد شاهدت بعض المرضى لا يستقر الطعام في جوفه وكان ممن ابتلي بشربه فيتعاطى سجارات كثيرة بعد الاكل فنهته عنه فبرىء

ومن آفاته عند المكثرين منه تأثيره على المخجرة والرئتين فينشأ من ذلك غلظ الصوت والسعال ونقص ضربات القلب

وخلل انتظامها وضعف الفكر وارتعاش الايدي واصفرار اللون
وسواد الاسنان وزرقة الشفتين وفتور الاعصاب

والثالثة مضغه وذلك بوضعه تحت الاسنان فيخرج من الضغط
عليه مادة لذاعة تختلط باللغاب وتدمي اللثة وقال بعض الحكماء
انه ينقص العقل وليس كذلك وانما يتخلف من مضغه نكهة
خفيفة تزول بالمضغضة الا انه يضر باللسان وبالاسنان لاتلافه
ثوبها الظاهر المحافظ لها ويضر بحاسة الذوق وربما آل الامر الى
فقدته وبلغ عصارته اشد ضرراً وقد رايت رجلاً من الملاحين
في الم شديد وتشجات بعد بلع مضغته وكان بقيء ويشتاب كثيراً
فخلصته من ذلك بعد زمن ولو تتبعنا ما قالوه في الدخان نفعا
وضرراً لانسع المجال فمن ذلك انهم يقولون انه يسرع الهضم وانه
امان من داء الاسكوربوت ووجع الحلق وانه مفسد للعقل ولكن
ليس ذلك في جميع احواله بل متى كان تعاطيه في الهواء الخالص
من غير افراط فلا ضرر منه سواء كان شرباً او مضغاً او استنشاقاً
ومن المعلوم ان استعماله في جميع الجهات وانكباب الناس
عليه علامة على انه مخفف للهموم والوحشة وانيس في العزلة
ومساعد على تحمل مشاق القفر والفاقة فلذا ترى اهل الصحاري
الواسعة وسكان الجبال الشامخة وارباب الاعمال الشاقة والافكار
العالية مشتركين في تعاطيه فحيث لا يطلق القول بمدحه او ذمه
ولا عبرة بما قاله الكباويون ويري المشرقين لا يفارقون الشبوق

حتى ان الدولة العثمانية وجميع اهل الثروة والرفاهية قد جعلوا له
 غلمانا من خواص خدّهم وسموهم التنخّية نسبة الى التبن اسم للدخان
 غير عربي

فقال ابن النجّ قد يقرب من تايدك في الدخان بيتان احفظهما
 بعض العلماء وقد عيب عليه شرب الدخان قوله
 لقد عيرونا بالدخان وشربه

فقلت دعونا اذ له الامر احوجا

لانا رأينا الهر في قاع صدرنا

كمينا فدخلنا عليه ليخرجنا

فقال الحكيم قد اصاب القائل ورايت ان بعض من ابتلي
 به من الكياويين استحسن استعماله في الشبكات الطويلة ليقى
 النيكوتين في المواضع الباردة من العود بخلاف الشبكات القصيرة
 فان تلك المادة تكون قريبة من الفم وكذلك استحسن شربه
 جافا ونهى عن استعماله مبتلا قال لان النيكوتين في الحالة
 الاولى يتحلل بالحرارة بخلاف الحالة الثانية لان الرطوبة تمنع استحالته
 فيكون مع البخار ولذا نرى من يشربه يتأثر من المبتل اكثر من
 الجاف ثم قال ويجنب تعاطيه على الريق وقيل الاكل ويغسل
 الفم بعد شربه اما بالماء الخالص او الممزوج بقليل من
 ماء الملّكة

وينبغي لمن يشرب السجّارة ان لا يتجاوز نصفها لان جميع

النيكوتين ينزل الى النصف الثاني ومن اراد ان يشربها بتمامها
فلينخذ له فما من كارب او عظم او عاج ويتجنب شرب سحابة شرب
بعضها وتركت زمناً وذلك لانه يقال ان مادة النيكوتين فيها
حيثذ كثيرة فكذا تكون في المرة الثانية مرة عن المرة الاولى
وقد ذكرنا ان طوال الشبكات والذريجات احسن من
قصارها وارداً الشبكات ما اتخذ من الطين لان تلك المادة اسرع
فيه وصولاً الى الفم منها في غيره

فقال مورييس للحكيم انا اكثرنا عليك واشغلناك عن مهماتك
وقد افدت واجدت واني كنت قد وعدت اصحابنا بان اخذ
لم من حضرتم تذاكر يدخلون بها الاستباليات فقام مسرعاً
وانجز وكتب لبعض حكماء الاستباليات خطاباً اطلب فيه في
الوصاية بهم فاخذوه وقاموا فلما استاذنوا للقيام قال لابن الشيخ
اني وان لم اكن عربياً لكني محب للعرب لا سيما المصريين واود
ان ارى والدك فائني ابن الشيخ عليه خيراً وشكره على ما استفاده
منه ثم ودعوه وخرجوا فلما استقاموا في الطريق قال ابن الشيخ
ليعقوب ليتنا راينا معامل الدخان فقال له ذلك امر سهل الا
ان الوقت قد ازف فان ميعاد الرجوع قبل الزوال فقال له
وهل سبق لك دخولها قال نعم ولكن في غير هذه البلاد والطرق
كلها واحدة وقد رايت الذين يزرعونهم يعتنون به اعتناء زائداً
وبعد حصاده يخلصون ورقه من حطبه ويضمون بعضه الى

بعض بعد جفافه ويضغطونه ضغطاً قوياً ويكبسونه كبساً شديداً ويجعلونه بالات لثلاً يكون حجمه كبيراً ثم يبيعونه كذلك او يرسلونه الى الفوريقات ولهم فيه هناك ثلاثة اعمال الاول فرز وتظيفه والثاني تنديته بالماء المالح لاجل تليين الورق وعدم تعفنه والثالث تنقية جدوره واضلاعه الكبيرة منه والتندية تكون في مخازن مبلطة بالحجر ومنقسمة الى اقسام فيوضع الدخان فوقها طبقات قليلة السمك ولهم في تنديته حساب على حسب ما يريدون ذلك انهم يستخون له ماءً مالحةً ويجعلون تسخينه درجات بحسب اجناسه فيضعون على كل مائة من دخان النشوق واحداً وعشرين من الماء المالح الذي تكون حرارته في الدرجة الثانية عشرة وعلى كل مائة من دخان المضغ عشرين وعلى كل مائة من دخان السجارة ثمانية وعلى كل مائة من دخان الشرب ثمانية وعشرين من الماء الذي حرارته في سادس درجة

وانواعه من حيث الاستعمال اربعة النشوق والمفروم والمضغ والسجارة فاما دخان السجارة فتستعمل فيه النساء تلتف المرأة بين اصابعها الاوراق الصغيرة وتكسيها بورقة خالية من التقطيع والجذور واما دخان الشرب فيفرم بآلة بخارية ثم يجفف بوضعه في صفائح مجوفة ثم يمر عليها بخار حار ثم اقل منه حرارة ثم يجعل ربطاً صغيرة من عشرة كيلو الى خمسة اعشاره واما دخان النشوق فعمليته اصعب لانه يحتاج

الى اخبار النوع الموافق ثم يفرم ناعما ثم يوضع في مخازن كيمانا ارتفاع كل كوم نحو اربعة امتار وعرضه الف كيلو جرام ويترك هكذا نحو ثلاثة اشهر الى ان يخبثر وتبلغ درجة حرارته من ستين الى ثمانين درجة ويتصاعد منه ابخرة شديدة الرائحة غير معلومة يظن انها نشادرية او نيكوتية وهي المادة السمية التي ذكرها الحكم واقواء تخمرا ما كان في الزوايا وتحت السطح الاعلى بنصف متر واقبله تخمرا ما كان على بعد متر من القاعدة ويكون معدوما في القاعدة وللجودخل في تخميره واستوائه فيتقدم ويتاخر على حسب درجة الجو حرارة وبرودة فاذا اشتدت الحرارة في الكيمان جعلت اكواما صغيرة لئلا تحترق وتثبت حرارته بعد خمسة اشهر او ستة وبعد ذلك ينقلوه من مواضعه بعالم معتادين على ذلك لانه يقوم له رائحة كريهة ودخان كثير في ذلك الوقت وبعد تمام تخميره يسحق في طواحين مخصوصة ثم يخبثر ويسحق ثانياً وثالثاً فيصل الى الدرجة المرغوبة في النعومة ويكون قدر الرطوبة فيه ثمانية عشر في المائة ثم يوضع في مخازن غير الاولى ويكبس فيبقى هكذا نحو عشرة اشهر لا يصل اليه هواء فتعود له الرائحة والدخنة والحرارة فان خيف عليه من تاثير الحرارة نقل الى مخازن اخرى ولا يخفى ما في هذه الاعمال من الصعوبة على العمال فانه بسبب نعومته يمتلىء منه فراغ المحل فيدخل في العين والانف والحلق فيحصل منه لهم مضايقات شديدة وغالبا تكون ثقلانه

ثلاث مرات وتارة يكتفى بمرتين فيتكون عن ذلك نشوق على درجات مختلفة على حسب اختلاف الرغبة فيه ويقال ان تخميره وتكرار نقله مما يضعف مادته السمية فلا يحصل منه ضرر لمعاطيه وبعد هذه الاعمال كلها ينخل وكان اولاً ينخل بالايدي واما الان فبالآلة بخارية وبعد نخله يخزن في المخازن ثم يعرض للبيع

واما دخان المضع فعمليته اسهل من ذلك وهو جنسان عادي وخصوصي فالاول عبارة عن حبال تفتل من اوراقه بالآلة مخصوصة والدخان المستعمل في ذلك اقل جودة من الخصوصي الذي يتقى من جميع عوارضه ويجعل طبقات هذا اجمال ما يعمل في الدخان وان كان الخبر ليس كالعيان فهل له بمصر شان كما له هنا فقال ابن الشنج وما شأنه هنا فان غالب الناس بهذه البلاد لا يشربون الا السجارة وقل من يشرب في شبك وان وجد فقصير لا يزيد عن شبر وياليت له من خشب بل من طين

والدخان الذي يشرب عندنا يجلب من الشام لا من هنا وهو نوعان صوري وجبلي وهو اطيب نكهة واذكى رائحة من الصوري وان كان الصوري اقوى منه نفساً فمنهم من يشرب كلاً على حدته ومنهم من يفرهما معاً وقد حدث الان نوع يقال له الكوراني يقال انه اقوى من الصوري وهناك دخان يقال له (حسن كيف) ولكن هذا لا يشربه الا حرافيش الناس واسافلهم وهناك نوع يشربونه في النرجيلة يسمونه التنباك وهو نوعان عجمي

وحجازي ويقولون ان العجبي احسن كيفاً من الحجازي والان شربه بمصر على حسب درجات الناس رفاهية ورغبة فمنهم من يشرب في نرجيلة محلاة بالذهب والفضة ومنهم من يتخذها مرصعة بالجواهر ومنهم من يجعل انبوتها من القصب الفارسي ومنهم من يجعل لها تريج (لياً) قد امسك بسلك من نحاس وفي طرفه فم من خشب او عظم او كارم ومنهم من يكسوه بجوخ ومنهم من يكسوه بحرير زركش بذهب او فضة وكذلك الشبكات منهم من يتخذها من ياسمين ومنهم من يشرب في عيدان من كرز ومنهم من يشرب في عيدان من الجرمشق مكسوة بالحرير او غيره ويتخذون مباسم تسمى تراكيب منها الكارم الصّرف ومنها الكارم المرصع بالجواهر كالماس ونحوه ومن المترفين من يكسوها بالحرير المنظوم في اللؤلؤ والمرجان كل على حسب رغبته ودرجة رفاهيته سواء في ذلك الرجال والنساء ومن اعثناء المشرقين بشرب الدخان يجعل له بعض الاغنياء خدمة خاصين به

فقال يعقوب اظن ان تولع المشرقين بالدخان واعنائهم به هو السبب الاعظم عندهم في الاكثار من العبيد والخدم والجواري ولقد طفت البحار وجبت القفار فمأً اجتمعت بقوم الا وجدتهم يشربونه او يعضونه او ينشقونه فإ قدر لي ان اتعاطى شيئاً منه خصوصاً لما رأيته من حال رفعتي الذين يتعاطونه من الفاقة وسوء الحال وربما كان بعضهم يبيع ثيابه وبعض ما يحتاج

اليه ويصرف ثمن ذلك على هذه الشجرة فانصحك نصيحة اخ مشفق
ان لا تشربها ولا تقر بها

المسامرة (١١٤)

الن

فقال ابن الشيخ اما الان فانا على يقين من كراهتها واما في
المستقبل فلا ادري ما يقدر عليّ واخشى ان طالت بنا الاقامة
هاهنا ان تغلب الموافقة على الطبع وتقلب المعاشرة الوضع ولقد
اخبرني والدي انه لم يتعاط النشوق الا للاستعانة على السهر في
طلب العلم ثم لما تمادى به الحال لم يمكنه تركه وكذلك القهوة فانه

ايضاً اعتاد شربها وانكبّ عليها انكباً زائداً فكان من شدة حبه لها ونحن بمصر يطلبها قبل النوم ثلاث مرات فضلاً عما كان يشربه طرقي النهار ووسطه وفي كل مرة لا اقل من ثلاثة فناجين او اربعة فقال يعقوب فماله هنا ترك هذه العادة واقلل من شربها فقال سببه رداءة البن هنا وضعف نكهته بخلاف بن مصر فانه جيد محبوب من البن ولا يرد اليها من بلاد الفرنج الا القليل ومن يشتري البن الفرنجي لا يقصد به الا الغش حتى ان من يعرف به من القهوجية عندنا يقف حال بضاعته

فقال يعقوب ان شجرة البن ايضاً عمت بها البلوى في جميع الجهات وصارت من المكيفات التي لا يمكن الاستغناء عنها عند كثير من الناس وقد رأيت في كتب المؤرخين ان هذه الشجرة كانت معروفة عند اليونان والعبرانيين وذكروا انها تنسب الى البلاد الحارة كبلاد الحبشة والعرب وانه لم يظهر استعمالها ببلاد المشرق الا سنة ثمانمائة وخمس وسبعين من الميلاد اي سنة مائتين واثنين وستين من الهجرة وان اول ظهورها كان باليمن ثم ظهرت ببلاد الهند ثم باوروبا ثم بامريكا ولم تظهر بايطاليا الا سنة الف وستائة وخمس واربعين ميلادية وبلوندره الا سنة الف وستائة واثنين وخمسين وبميسيليا الا سنة الف وستائة وواحد وسبعين وباريز الا في سنة الف وسبعمائة وسبع وستين

وفي القرن الثامن عشر ايام الملك لويز الرابع عشر اهدي اليه

شجرة بن من مدينة امستردام فاستنبتها فلما طلعت وازهرت ارسل منها الى جزيرة مرتينيك ثلاث شتلات لتزرع هناك فبات اثنتان منها في الطريق وسلمت واحدة فغرسوها فلما اثمرت اخذوا منها وزرعوا فلما اثمرت اخذ منها اهل جزيرة جوادلوب وجزيرة سندومنت الى ان ملأت اشجار البن اكثر بلادهم وصارت من انفس تجاراتهم ولولا ذلك لعزت حبثها وغلت قيمتها

ولقد رأيت في بعض جرائد الحوادث ان المتحصل منه في سنة الف وثمانمائة وخمسة وخمسين مائتان وخمسة وستون مليوناً كيلوجراماً

وبيانه من بلاد البريز بلا مائة وثلاثون مليوناً ومن بلاد جافا خمسة وخمسون مليوناً

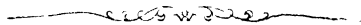
ومن جزيرة سيلان اي سرنديب سبعة عشر مليوناً ومن جزيرة هايثي ستة عشر مليوناً ومن جواترا خمسة عشر مليوناً ومن كوبا اربعة عشر مليوناً ومن سومترا خمسة ملايين ومن كوستاريكا مليونان ونصف مليون ومن جنوب مخا مليونان ونصف مليون ومن جزائر اللاتي الانكليزية مليونان ونصف مليون ومن جزائر اللاتي الفرنسية والهولندية مليون ونصف ومن ماني مليون واحد ونصف ومن بلاد افريقيا وغيرها ثلاثة ملايين فترى البن البني وهو بن مخا قليلاً جداً وهو اطيب انواع البن والذها واكثرها مادة

وقد احصى البن المشروب سنة الف وثمانمائة وسبعة وخمسين
فبلغ ٢٤٠١٨٠٥٥٥ كيلوجراما في بلاد الانكليز والمشروب في
تلك السنة بعينها ببلاد فرانس ٢٧٠٩٨٥٦٠٠ فبالك بغيرها من
بلاد الدنيا فانك لا تكاد تجد مدينة ولا قرية ولا حلة ولا كفا
ولا عزبة في الدنيا الا ولاهها شغف بشرب القهوة الا انها لا يصلح
لزراعها ولا نمو شجرتها الا الارض البعيدة عن البحر المحفوظة من
هوائه المعرضة لجهة الشرق التي لا تزيد حرارة جوها على ثلاثين
درجة مئئية ولا تنقص عن عشر درجات وكيفية زرعها ان
تزرع الشتلة في ارض جيدة اولاً فلا تنبت الا بعد خمسة اسابيع
ثم تنقل بعد سنة او اربعة عشر شهراً فاذا نقلت جعل بين كل
شجرتين ثلاثة امتار ويخالف بين اشجار الصف الاول واشجار
الصف الاخر بحيث تكون شجرة الصف الاول مسامطة للمتصف
بين اشجار الصف الاخر ولا تثمر اشجاره الا بعد ثلاث سنين او اربع
ويلزم لها الاستمرار على الخدمة بالسقي والتنقية فانها تحتاج الى
شرب الماء كثيراً وما دامت مخدومة فلا تزال تثمر الى ثلاثين عاماً
او اربعين وزهرها وان كان لا ينقطع في اكثر السنة الا ان المعول
عليه زهر فصلي الربيع والخريف ولا ينضج الحب الا بعد سقوط
الزهر باربعة اشهر فاذا نضج جمع بالايدي وفي بلاد العرب من
يفرش له تحت الشجرة ثيابا او حصراً ثم يهزها فيسقط منها على الفرش
ما طاب فيجمعونه ويتمون تحفيفه في الشمس وله مدقات من

خشب أو حجر فاذا جف دقوه بها فيخرج من جوزه ثم يشرونه في الشمس ثانياً وهناك من يستعين على فصله من جوزه بالماء فيضعه فيه يوماً وليلة أو يومين وليلتين ومنهم من يدشه بالرحى وبعد ذلك كله يحففونه ثم يضعونه في طرود وزنايل يجعلونها متباعدة غير متجاورة لئلا يتعفن البن بتجاوره فتقل جودته وتخبث نكهته وكذلك يفعلون في نقله الى الجهات والافطار البعيدة

وأما تحميصه وسحقه ووضعته في الماء أو صب الماء عليه وغليه بالنار عند ارادة شربه فمعلوم عند كل من يتعاطاه كل على حسب رغبته فمنهم من يباليغ في تحميصه ومنهم من لا يباليغ ومنهم من يسحقه في مسحن من فخار بآلة من خشب ومنهم من يدقه بمدقة من حديد ومنهم من يطحنه بيده في طاحونة ويتغير طعم القهوة ولذتها تبعاً لطرق التحميص والعلامات الدالة على جودة استواء تحميصه هي نقص الرائحة التي تظهر في مبدأ التحميص ونداوة الحب ولمعانه وميله الى لون بين السواد والحمرة وبالتجربة علم ان الحبة بعد السواء يزيد حجمها بقدر الثلث وينقص وزنها بقدر الخمس وإذا بلغت استواءها وسحقته في الحال صارت القهوة جيدة وكلما تأخرت نقص ذلك منها وإذا مكث البن زمناً في المخازن ضاع كثير من مزايه وبن مخا تضع أكثر خواصه بعد سنتين وإما غيره فينبغي ان يكون مكثه في المخازن سنة فان اقام اقل من ذلك كانت قهوته شديدة المرارة كريهة الرائحة وان بقي أكثر من ذلك كانت

اشهى واجود وما يلزم التنبيه عليه انه ينبغي سرعة تبريد البن بعد
 التحميص بان يفرغ دفعة واحدة على رخامة وما اشبهها وذلك
 لاجل ان لا يتنجس مقدار كبير من الدهن الذي هو السبب في جودته
 ولذته وكذلك لا يصب الماء المغلي على المسحوق منه لئلا يتصعد
 كثير من بخار القهوة وتضيع اكثر مزاياها وللناس كلام في شرب
 القهوة فمنهم من ذمها ومنهم من مدحها والانصاف التفصيل بجمل
 كلام من ذمها على الاكثار منها وكلام من مدحها على التقليل
 قال ابن الشيخ واختلف فيها ايضا علماء الشريعة الاسلامية
 بالمجواز وعدمه والحق انها يعتريها الاحكام بحسب ما يترتب عليها



المسامرة (١١٥)

الانهر

ثم انها تذكر الوقت المقدر لها فكراً راجعين فلما دخلا على
 الشيخ والانكليزي قال لها الخواجا لقد تجاوزتما الوقت المقدر لكما

فما ابطاء كما فاخبراه بتقابلهما مع الخواجا موريس وما صنعه معهما من توجهه معهما الى المحكم واخذه منه خطابا لحكام الاستباليات فقال لهما الخواجا قد اصبتما وفعلتما فعل العتلاء ونحن الان متوجهون الى بستان النبات ثم امر بالعربة فركبوا جميعا الى ان وصلوا الى قصر الملك فقال الخواجا للشيخ هاهنا طريقان احدهما من وسط البلد من المحارات والاخر على شاطئ النهر ولكل مزية فايها احب اليك فقال الشيخ اظن ان الذهاب على شاطئ النهر اشرح للصدر واجلى للبصر فاشار الى السائق بتوجيه العربة اليه وكان بالطريق قنطرة فلما جاورها عدل بالعربة الى الشاطئ وقال الانكليزي ان البلدة التي سنسكنها هي بشاطئ النهر وبعدها من باريز يوم في البحر ونصف ساعة بسكة الحديد فخير الخواجا الشيخ بين النزول في البحر وركوب سكة الحديد فاخار طريق البحر لما فيها من الاطلاع على الفوائد الجمة بخلاف سكة الحديد فلا يطلع معها على شيء فركبوا البحر في مركب تسر الناظر وتشرح المخاطر ثم ان الشيخ كلما التفت يمينا رأى منازل مشيدة وتحتها دكاكين وخانات منظمة ملئت باصناف البضاعة وكلها التفت يساراً نحو النهر رأى اناسا كثيرين ما بين بائع كتب واوراق حوادث وبائع لعب اطفال ودفاتر سجارة وما يشبه ذلك منهم من وضع بضاعه على الارض ومنهم من هيا لها دكاكين من خشب واذا نظر الى البحر لا يرى الا مراكب صادرة وواردة لا يرى الماء من خلالها لكثرتها

فقال كنت وأنا بمصر اذا رأيت المراكب التي على سواحلها اعجب من كثرتها والان لا اعدّها شيئاً بالنسبة لما اراه هنا فقال الخواجا ومع ذلك ما تراه ليس شيئاً بالنسبة لما يرد ويصدر بسكة الحديد وذلك لان باريز صارت الان مخزناً عاماً لكل ما يلزم لسائر الجهات

فقال الشيخ وهل بفرانسا نهر غير هذا فقال انها رها كثيرة احدها نهر السين وهو هذا وليس هو معدوداً من الانهر الكبيرة وبها نهر يسمى نهر اللوار يخرج من جبال يقال لها جريدجون مرتفعة عن سطح المالح بقدر الف وخمسة واثنتين وستين متراً ويسير اولاً من الجنوب الى الشمال بين جبال شامخة كانت قديماً بركانية ويمر على مدن وقرى وقلاع وله فيضان عنيف حتى انه يتسبب عنه في بعض الاحيان خراب البلاد كنبيل مصر اذا فاض وينصب فيه من جهتيه خلجان كثيرة كلها واردة من الجبال المحددة لوادييه وله انعطافات كثيرة ويمر بثمانية عشرة مديرية ثم يصب في بحر يقال له البحر الاطلنطيقي ومن منبعه الى مصبه تسعمائة كيلومتر الصالح للملاحة منها الثلثان وارتفاع منبعه عن سطح المالح ستة وثلاثون الفاً واربعمائة متر وليس عميقاً وارض قاعه رملية وجزوءه المنحط جسوره عالية لوقاية اراضي الزراعة وبها ايضاً نهر يقال له نهر الرّين منبعه جبل سانجوتار ومصبه البحر الابيض المتوسط وارتفاع منبعه عن مصبه نحو الف وسبعائة

واربعة وخمسين متراً واولاً يكون في وادي ضيق عميق ويتجه بين الشمال الغربي والجنوب الغربي في وسط جبال الالب الشاخنة وفي طول مائة واربعة واربعين الف متر من ابتداء مصبه يكون اللسان المتكلم به على ضفته الشرقية اللسان الالماني وفي الاخرى اللسان الفرنساوي وله انعطافات كثيرة وفي مروره يخترق لسان العظيمة وطولها من الشرق الى الغرب اثنان وسبعون كيلومتراً وعرضها اربعة كيلومترات في اضيق محل منها وفي اوسع محل منها اثني عشر كيلومتراً وارتفاعها فوق سطح المالح اربعمائة متر تقريباً ويفصل ما بين فرانساً واقليم سفوا واقليم سويسرا وينصب فيه اربعون نهراً جميعها من الجهة الجنوبية وليس عليه في هذه المسافة مدينة كبيرة سوى مدينة يقال لها لوزان وبعد خروجه من تلك البحيرة عند مدينة جنوه يدخل ارض فرانساً ويأخذ نحو الجنوب ويسير بين الجبال وبعد مسافة كبيرة من سيره يتكوّن عنه مع نهر اخر يقال له نهر الساوون بحيث جزيرة بها مدينة ليون التي تلي باريز في الشهرة بفرانساً فيكون جانب من تلك المدينة على احد النهرين والجانب الاخر على النهر الاخر وعليها قناطر للمرور وكانت هذه المدينة ايام الرومانيين تحت تسلط الغول وعدد اهلها الان مائة الف وخمسة وستون الف نفس وهي مدينة عظيمة ذات ورش ومعامل خصوصاً للحبر وقد مر عليها من الحوادث الطيبة وضدها ما لم يمر على مدينة غيرها خصوصاً ايام الامم المتبربرة التي

كانت تغلبت على ارض الغول عند تضعضع دولة الرومانيين
وعند تقسيم مملكة شارلماني كانت تخنًا لمملكة البرغوني ولم تدخل
في حكم مملكة فرانسا الا سنة الف وثلثائة واثنى عشر ايام الملك
فيليب الملّقب بالجميل فلما قامت الفرنساوية ارادت الخروج عن
الطاعة فحصرها حتى دخلت تحت طاعتهم وفيها معمل بارود
ومدرسة وورشة للطوبجية وهذا النهر بعد خروجه من المدينة
ينعطف نحو نهر الساوون على زاوية قائمة وبعد ذلك ينعطف
من الشمال الى الجنوب وهو نهر كبير العرض قوي الانحدار لحبسه
بين الجبال التي ترسل له تيارات قوية من السيول فيزيد بها
بغثة وتكبر سرعته وجريانه فيهرّ بمدن وقرى وحصون كثيرة الى
ان يصل مدينة ارل ثم ينقسم قسمين احدها يسمى الرون الكبير
يسير الى الجنوب الشرقي والآخر يسمى الرون الصغير يسير الى
الجنوب الغربي ثم ينقسم الكبير قسمين احدها يسمى الرون العتيق
والآخر يستمر على اسم الرون الكبير ثم ينقسم الرون الصغير قسمين
احدها يستمر له اسم الرون الصغير والآخر يسمى الرون الميت وجميع
هذه الاقسام تصبّ في البحر المالح وطول النهر من مبدئه الى
منتهاه ٨٠٠ الف متر منها ما هو صالح لسير السفن وهو خمسمائة
وعشرون الف متر ومنها ما لا يصلح وهو الباقي ولا نعلم باوروبا
نهرًا اقوى منه جريا لكثرة الانهار التي تنصب فيه ويمر من
ارض فرانسا على تسع عشرة مديرية ونهر الساوون المذكور عبارة

عن احد نهيراته وعليه بلاد ومدن وقلاع وحصون كثيرة كغيره
من الانهار وفي ذكرها تطويل على حضرتكم

واما نهر السين فمنبعه من الكوتدور ومصبه البحر الملح وارتفاع
منبعه عن مصبه اربعمائة وستة واربعون متراً ويمر من جهة الجنوب
الشرقي الى الشمال الغربي مستقيماً الى ان يتجاوز مدينة تروى
فيأخذ من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي وهناك يصلح لسير السفن
وهو يمر بمدن شهيرة وبلاد كثيرة وارض متسعة الى ان يصل
باريس ويتجاوزها فيمر بمدينة سانكلو التي فيها منتزهات الملوك
وعلى يساره على بعد ثمانية الاف متر مدينة ورساي التي كانت
مقر الملك لويز الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر وهي
المشهورة بمجاذلة قيام فرانسوا وعلى بعد اربعة الاف متر من جهة
الغرب مدينة سانسير المشهورة بمدرسة البياده المعدة لتحضير
ضباط البياده الفرنسية ويمر ايضاً بمدينة ساندنيس المعدة من
قديم الزمان لدفن ملوك فرانسوا الى الان ومدينة روان التي
كانت في الزمن القديم مقر حكومة النورمندي وهي من
المدن الشهيرة وعدد اهلها مائة الف نفس وفيها ورش ومعامل
وكانت سابقاً من القلاع الحصينة وجميع السفن ترسو عندها ثم
ينعطف هذا النهر انعطافات كثيرة الى ان ينصب في البحر
الملح قريباً من مدينة هافر وطوله من مبدئه الى مصبه ستمائة
واربعون الف متر والقابل لسير السفن منها اربعمائة وثمانون

الف متر وينصب فيه من جانبيه انهار صغيرة فعلم ما ذكر ان
نهر السين ليس اكبر انهار فرانساً وان كان اكثر منها نفعاً
لكثرة المدن ذات الصنائع والمعامل والتجارة على شاطئه لاسيما مدينة
باريس هذا هو سبب شهرته

فقال الشيخ في هذا الاوان يفيض نهر النيل ويروي ارض
مصر عموماً صعيداً وبحيرة وتبتدى زيادته بعد القطعة القبطية ويتم
ارتفاعه في شهر توت بخلاف باقي الانهر وللنيل خواص كثيرة
منها انه لا يعلم مبداه ومنها ان سيره من الجنوب الى الشمال مع
ان جميع الانهار تجري من الشرق الى الغرب او بالعكس ومنها
انه من الخرطوم الى ان ينصب في بحر الروم لا ينصب
فيه غير نهر ادبرا

وما اختص به هذا النهر ما ياتي معه من الزبد الذي
لواه ما كانت ارض مصر ولا سكنها انسان ولا عاش بها حيوان
حتى قيل انه اعظم الانهار طولاً وجرياناً واكثرها للارض فائدة ورياً
وخصباً وطمياً

فقال له الخواجا هناك ما هو اعظم منه طولاً واسرع جرياناً
لان غاية ما يبلغ طول النيل من مبتدئه الى مصبه تسعمائة
وسبعون الف متر واكثر اتساعه الف متر ولا تزيد سرعته
عن اربعة كيلو مترات في الساعة الواحدة وغاية ما يصرف في
الدقيقة الواحدة تسعة وثلاثون متراً مكعباً وربع متر مع ان

باوروبا نهر فولجا طوله ثلاثة ملايين وثلاثمائة وأربعون ألف
 متر ومنافعه ببلاد الروس كثيرة لانه اعظم طريق لنقل تجارتهم
 الداخلة والخارجة من المديریات الى التخت فضلاً عن نقل
 التيل والكتان والحديد والطوب والشاي والمشروبات وكذلك
 نهر الدانوب (الطونة) بالمانيا فان طوله مليونان وسبعمائة وخمسون
 ألف متر ونهر الدون بالبدال المهلمة ببلاد روسيا طوله مليون
 وسبعائة وثمانون ألف متر ونهر الدينير في بلاد الروس ايضا
 طوله مليونان من الامتار ونهر يانج تسي كيانج باسيا طوله
 خمسة ملايين وثلاثمائة وثمانون ألف متر ونهر الكنك وطوله
 مليونان واربعائة ألف متر وعرضه خمسمائة وخمسون متراً وهذا
 النهر اعظم طريق لسير المراكب للتجارة في هذه الجهات وقد
 قدروا عدد الملاحين به فوجدوهم ثلاثمائة ألف نفس وقيمة
 ما ينقل منه في السنة الواحدة من البضائع قريب من ثلاثمائة
 مليون من الفرنكات وقد اخذت منه الشركة الانكليزية
 خابجاً كبيراً لاصلاح زرعهم طوله الف واربعائة واثان وثلاثون
 كيلو متراً

وبافريقيا انهار غير نهر النيل منها السنجبال طوله الف ومائة
 وخمسة وعشرون فرسخاً واعظم من ذلك كله انهار امريكا واكبرها
 نهر مسيسيبي فان طوله سبعة ملايين متر وعرضه في اضيق
 طريقه ثلاثمائة متر ويعظم الى ان يبلغ الفاً وخمسمائة بل ٢٥٠٠ متر وعمقه

في بعض المواضع من خمسة عشر متراً الى عشرين ويبلغ في بعض الجهات ستين متراً وثمانين ويمر بارض تقرب من مائة وثمانين الف فرسخ مربع اي مقدار سعة فرانسا سبع مرات ويقطع في الساعة الواحدة ايام تقصيره اربعة اميال انكليزية وايام زيادته يعسر ركوبه لشدة جريه وفي كل مائة متر من طوله يكون انحدار مجراه جزءاً من مائة جزء من المتر واكبر فروع نهر المصوري وعرضه من الف متر الى الفين وسرعته في الساعة الواحدة الفا متر وهناك انهار اخرى منها نهر الاورينوك طوله خمسمائة وخمسة وسبعون فرسخاً ونهر البلانا طوله نحو ثمانية فراسخ

واعظم من جميع ذلك نهر الامزون فانه يجلب الى المالح جميع الامطار الواقعة على الوادي المتسع العظيم الذي قدر مساحته سبعة ملايين كيلو متر مربع وهو عميق جداً لان المحس الذي طوله مائة متر لا يصل الى قاعه وعرضه كبير جداً حتى ان اكبر سفن المالح تصعد فيه الى مسافة الف فرسخ وفي جميع هذه المسافة لا ترى شواطئه لعظمه وسرعته شديدة يقطع في الساعة الواحدة ثمانية الاف متر وما يصرفه في اللحظة الواحدة من الماء قدر ما يصرفه ثلاثة الاف نهر مثل نهر السين في تلك اللحظة وفي ارض كندا بامريكا نهر سانلوران عرضة عند مصبه عشرون الف متر وبعد اربعائة وخمسين الف متر من المصب يكون عرضه اثني عشر الف متر ويخرج منه ثمانية خلجان اكبرها خليج

ويلاند المار من بحيرة ايريه الى بحيرة اونتاريو بعد ان
يجاوز شلالات نياجارا وطول هذا الخليج خمسة واربعون
الف متر وعرضه ايام زيادته مائة متر وايام نقصه تسعة وعشرون
متراً وثلاثاً متر وعرض قاعه ثلاثة عشر متراً وثلاثاً متر وعليه
سبعة وعشرون هويساً موزع عليها الانحدار الكلي بين البحيرتين
وهو سبعة وعشرون متراً واما من خصوص عظم السرعة والجريان
فليس هناك نهر اعظم من نهر دجلة والاندوس (سيحون)
والدانوب (الطونة)

وفي جميع هذه الانهر تنصب انهر كثيرة فنهر الدانوب
ينصب فيه مائتا نهر بين صغير وكبير ونهر وولجا ينصب فيه
ثلاثة وثلاثون نهراً وهذه الانهر كلها مع كثرتها وغزارة مائها
واتساعها طولاً وعرضاً ليست شيئاً بالنسبة للبحر الملح فانه
لو فرض جفاف البحر الملح ونضوب المائى عنه وسلطت
عليه جميع انهر الارض فلا تملأه كما هو الان الا في اربعين
الف سنة

فقال الشيخ قد افدتني في الانهر ما لم يكن يخطر بالبال ولا
كان له في النفس خيال فله درك من حبر خبير وعارف بصير
ولكن مع ذلك فالليل اعظم الانهار بركة وأكثرها فائدة وقد
ورد عندنا في السنة المحمدية والشريعة الاسلامية انه افضل انهار
الدنيا كما قيل في ذلك

وأفضل المياه ماء قد نبع
 بين اصابع النبي المتبع
 بلبه ماء زمزم فالكوثر
 فنيل مصر ثم باقي الانهر

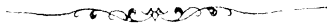
وللنيل مزايا انفرد بها منها انه يكتفى بسقيه فانه يزرع عليه ثم لا يسقى الزرع حتى يبلغ منتهاه ولا يعلم ذلك في نهر سواه ويزيد عند الحاجة وينقص كالعاقل المدير الشفوق فياتي الى الارض في اوان اشتداد القيط والحروب وبس الهول وجفاف الارض فيسقيها ويرطب الهول وهو موزون على ديار مصر بوزن معلوم وتقدير مرسوم لا يزيد عليه ولا يخرج عنه ولا يطغى على البلاد بالفساد والانهار تأتي من جهة المشرق الى المغرب وهو يأتي من جهة الجنوب الى الشمال فيكون فعل الشمس فيه دائما واثرها على اصلاحه متصلاً وليس في الدنيا نهر يزيد ثم يقف ثم ينقص ثم ينضب على الترتيب والتدرج غيره وليس في الدنيا نهر يزرع عليه ما يزرع على النيل ولا يحجى من خراج غلة زرعه ما يحجى من خراج غلة زرع النيل وهو اخف المياه واحلاها وارواها واعمها نفعا واكثرها خراجا وبالجملة فبطون الدفاتر مشحونة بمزايا النيل ومدحه نظماً ونثراً قديماً وحديثاً فقال الخواجا نحن لا ننكر فضل النيل ولا كثرة مزايا ولكن لو تأمل الانسان لوجد ان كل نهر في الدنيا لا يخلو من خواص ومزايا منها تلطف حرارة الجو

بالنسبة لكمية مجسم الماء الجاري في كل جهة من الدنيا فان كان نهر بعيد العمق جداً اثر ذلك في الجوف فتتقص درجة الحرارة في وقت الشتاء تدريجاً ويستحكم البرد الى ان يجهد ماء النهر فان كانت الاقطار متوسطة البرودة في الشتاء بان كانت لا تزيد على ثلاث درجات ونصف مئيتية لم يجهد الماء الا اذا بلغت درجة البرودة ثمانى درجات او عشرًا تحت الصفر

واما البلاد الموضوعة في ثمان وخمسين الى ستين درجة من العرض فان بردها يكون شديداً وقت الخريف لتأخر ذوبان الثلج فان كانت الانهار كبيرة العرض والعمق والسرعة تأثر الجوف بها وفي الغالب تتبع الرياح اتجاه الانهر وينبني على ذلك ان اتجاه الانجرة الرديئة تتبع اتجاه الانهر وهذا هو السبب في وجود الحمى عند سكان السواحل والدليل على ذلك المشاهدة فانه في سنة الف وثمانمائة وتسعة عشر ظهرت الحمى في الاندلس وانتشرت حتى سرت الى مدينة سوبل لان تهري سان لوران وجوادي الكبير قد نشرا في داخل المدير بات انجرة السواحل فالانهر وان كانت يمرورها تاخذ عفونة المساكن معها الا انها لفيضاتها وحصول النشع منها وشدة نقصها ورسوب المواد الطينية منها ينشأ عنها مضار كما يحصل من النيل والكنج والمسيبي والامزون فانها بعد نزولها تترك منافع وبركاً فيتولد عنها امراض بسبب الانجرة الرديئة المتصاعدة منها

وقد دلت التجربة على ان طول الاقامة فوق الانهر التي
 بالبلاد المحارة مضرة ضرراً بيناً ودلت التجربة ايضاً على انه اذا
 مات واحد من خمسة وثلاثين من سياحي البحر الملح يموت
 واحد من ثلاثة من سياحي نهر السنجال بخلاف اهل البلاد
 المعتدلة والباردة

والحكم التي اودعت في المياه كثيرة لم تقف الا على بعضها
 وعلى الانسان ان يبحث عن خواصها وخواص غيرها على حسب
 الامكان فان الرب الخالق لم يخلق شيئاً عبثاً



المسامرة (١١٦)

الاجمار الكريمة

وها نحن قد وصلنا فلندع الكلام في هذا الباب الى وقت
 غير هذا وكانت العربية قد وقفت بهم على باب عظيم مرتفع

فنزّلوا واخذ الخواجا بيد الشيخ حتى وصلا حجرة المأمور فلما رأها قام
لها واجلسها وامر لها بتهوة ثم اخبره الخواجا عن سبب محبهم وان
القصد الزيارة فرحب بهم وقام معهم وراهم عنابر المعادن واحداً
واحداً ثم وقف بهم على طاولة ممرّدة من قوارير وفيها من
جميع الاحجار التي يتخلّى بها وقال للشيخ ان هذه الاحجار هي مثال
الاحجار النفيسة التي يتخلّى بها وفي ترتيبنا هنا ان اولها هو حجر
الفيروزج وهو نوعان نوع سماوي اللون مركب من اوكسيد
الحديد والتحاس والنوع الثاني عظم قد استخرج مع فوسفات الحديد
وهو يوجد عروقاً في مادة طفلية في الارض بنواحي نيسابور من
بلاد العجم والجوهرية والصاغية يؤلفونه مع الماس واللؤلؤ والذهب
وحجر العقيق هو هذا الحجر الاحمر اللطيف وهو مركب من
ألومين وبعض مواد اخرى ويتنوع لونه فمنه ما يكون احمر
يوجد في بلاد البهيم والحجر في الصخور البركانية وله معامل في
بلاد الحجر والبهيم والتيرول

والزمرّد المشهور ببلاد المشرق وهو مركب من سيليس وألومين
وبعض مواد وانواعه كثيرة منها الاخضر الصافي وهو زمرد مصر
والبيرو ومنها الاصفر والازرق واعلاها الاخضر وهو المرغوب
بمصر وغيرها

واحسن زمردة معلومة الان هي الموجودة في خزنة الامتعة
ببلاد الموسكو والزمردة الموجودة في تاج البابا ويوجد الزمرد عادة

مغروساً في الصخر

واما الباقوت فهو هذا الحجر الاصفر وهو حجر زجاجي صلب يوجد في اجواف الصخور وانواعه كثيرة منها الاصفر والسماعي ومنها الاحمر الثاني البهرماني واعلى انواعه ما يجلب من بلاد الهند وما يرد من السكس ومكسيكو ثم اشار الى حجر ذي اللون متعددة بتعدد طبقاته فقال واما هذا فهو الحجر الياني

والصناع تحمال على تعاقب طبقات الوانه فتجعلها في التحضير قائمة او منحنية او غير ذلك ويوجد ذلك بفرانسا والمانيا واحسنه من بلاد العرب

وحجر اليشم هذا يستعمل في خواتم وقلائد وبعض حلى واقداح للشرب ونحو ذلك ومحل وجوده الطبقات القديمة التكوين من طبقات الارض

ثم قال واعلى هذه الحجارة حجر الماس وهو حجر زجاجي شفاف مجرد عن اللون له لمعان الماسي وهو سهل الكسر صلب يؤثر في جميع الاحجار ولا تؤثر فيه ولا يجلي الا بمسحوقه وثقله النوعي قدر ثقل الماء ثلاث مرات ونصف مرة ويتركب من كربون اعني فحمًا نقيًا خالصا واول من ظن فيه قابلية للاحتراق العالم نتون ومن بعده سلط عليه بعض الكيماويين تيارًا كهربائيًا شديدًا فانحرق وصار فحما كالذي يوقد به ويوجد هذا النوع في بلاد الهند وبريزيليا والسييريا ويوجد بين صخرارض الرسوب القديمة

التكوين المتقولة بالمياه ومن مدة ثلاثة قرون صار الجبل في استخراج
من محاجرهِ ويوجد ايضا في نواحي ديكان وجلوكوند وبانجال
وجزيرة بورنيو واستكشافه في برزيليا كان في القرن السابع
عشر في مديرية ميناسجييري والمستخرج منه غشبا كل سنة في
جميع الجهات يقرب من ستة كيلوغرامات الا انه اذا صفي ونقي لا
يبلغ الا نحو مائة وثمانين غراما

وكيفية استخراجهِ بالبريزيليا ان تفتت الصخرة التي يظن وجودهِ
فيها ثم تغسل في حوضان ماء عمق الماء فيها متر ويجلس الغسال على
حافتها ويده قطعة خشب مخوفة تسع اثنين او ثلاثة من الكيلوغرامات
من الرمل فلا يزال يحركها في الحوض حتى يعثر بشيء منه ومن اعتياد
العبيد على غسلهِ لا يفوت الواحد منهم شيء منه ولو صغيرا جدا ومن
عادتهم ان كل من وجد شيئا منه ينادي باعلى صوته قائلاً
قدس الله روح المسيح . ثم يسلم ما وجد للملاحظ فان كانت
قطعة كبيرة كافأه عليها وربما اعتقه في نظير ذلك

وقال بعض المؤرخين ان حرك الالماس واستعماله قديم
لكن كان على غير قانون من حيث الانتظام والشكل وقال
بعضهم لم يكن ذلك الا من سنة الف واربعائة وستة وسبعين
من الميلاد فان المخترع له رجل من اهل نروج مع ان هذا
الحجر وجد في بركة الدوك دنجو سنة الف وثلاثمائة وثمانية وستين
محكوكا فلذا حكم بقدوم طرق حكه

وآلة حكه عبارة عن قرص من الفولاذ اذقي الوضع يتحرك
 بسرعة شديدة وفوق القرص تراب الماس المحاصل من حك
 حجرين منه طبيعيين غير قابلين للتصليح ولهم في ذلك
 طرق والمعلوم الان ان الماس المستعمل بين الناس على
 هيئتين

الاول الشكل المعروف بالروزة ومعناها الوردية
 والثاني المعروف بالبرلاتا فاول وجهه الظاهر هرمي الشكل
 ذو اسطحة مثلثة والوجه الثاني مستو يخفي في مادة التركيب سواء
 كانت من الفضة او الذهب واما النوع الثاني وهو البرلاتا فكلما
 وجهه مسطح الوسط وفي دائر ذلك السطح اسطحة مثلثة او معينة
 والمجموع عبارة عن هرمين ناقصين والعادة ان يبقى مكشوفاً في
 تركيبه مع الفضة او الذهب ويرى من الاعلى كما يرى من الاسفل
 واختلاف قيمته باختلاف مائه وصفائه وكبره وشكله والحجارة
 التي لا تصلح للاستعمال يساوي قيراطها ثلاثين او ستة وثلاثين
 فرنكا وقدرة القيراط مائتان وخمسة ونصف من الميليغرام وقيمة
 القيراط المستعمل في الحلى تساوي ثمانية واربعين فرنكا اي ان
 قيمة الغرام منه تساوي مائتين وثلاثة وثلاثين فرنكا وذلك اذا
 كان وزن الحجر قيراطاً فان زاد وزنه عن ذلك فتقدر القيمة
 بضرب مربع الوزن في ثمانية واربعين واما المصوغ فقيمته
 تابعة لهياته وكبر حجمه كما ذكرنا واكبر حجر منه ما وجد بخزانة

ذخائر فرانساً وكانوا قد عثروا به على بعد خمسة وأربعين
 فرسخاً من جنوبي جلوكند ووزنه غشياً قبل حكه كان أربعمائة قيراط
 وعشرة قيراط وأقاموا في حكه سنتين وبعد الحك صار مائة
 وسبعة وثلاثين قيراطاً وبلغت قيمة ذلك الحجر ثلاثمائة وأثنى
 عشر ألفاً وخمسمائة فرنك وصرف عليه في الحك مائة وخمسة وعشرون
 ألفاً فاستراه الدوك دورليان بثلاثة آلاف وثلاثمائة وخمسة
 وسبعين ألف فرنك وهو الآن يساوي ثمانية آلاف ألف
 فرنك

ومن الحجارة المشهورة حجر يعرف بالنظام عند ملك جلوكند
 غشيه وزنه ثلاثمائة وأربعون قيراطاً وقدرت قيمته خمسة
 ملايين فرنك وفي ذخائر الروسية حجر وزنه مائة وثلاثة وتسعون
 قيراطاً وكان مجعولاً عيناً لصنم بمعبد براهمة فاخذه أحد عسكر
 الفرنسيين وباعه بخمسين ألف فرنك ثم صار يبتذل من يد إلى
 أخرى حتى وقع في يد القراليجة كاترين فاخذته بألف ومائتين
 وخمسين ألف فرنك

وفي ذخائر انسا حجر وزنه مائة وتسعة وثلاثون قيراطاً
 ونصف قيراط ويقال أن عند ملك البرتغال حجراً قدر بيضة
 الدجاجة وزنه ألف وستمائة وثمانون قيراطاً ولم يره أحد
 ممن أخبر عنه

ثم دخل بهم عبر الطير وأراهم ما فيه ومنه إلى عبر الحشرات

والافاعي ثم الى عنبر الحيوانات الوحشية ثم محل المواد
الكياوية ومنها الى محل الالات وارايم بعض خواصها فكان كل
ما انتقل بهم من مكان الى مكان يرى على الشيخ عدم رغبته في
الانصراف من المكان الاول حتى يستوفي البيان عما فيه الا انه
لضرورة المرافقة كان مجبوراً على الموافقة وكان في جملة ما رآه
في عنبر الافاعي ثعابين (حيات) ممتدة في السقف ففزع منها فزعاً
شديداً ولكنه تجلد حين رآهم لم يكثر ثقلها وما رآه في عنبر
الحيوانات الوحشية انواع السباع والضباع والنمورة والظبا والقردة
والفيلة والزرافة والأيل والحمر والبقر الوحشية وكذلك انواع
الطير والحيوانات البحرية كالدر فيل وفرس البحر والتاسيح فأول
حولها اطفالاً ترمي لها خبزاً فتجتمع عليه ورأوا حول بيوت القردة
خلقاً كثيرين يضحكون على العايبها ثم طاف بهم في البستان واطلعهم
على خواص ما به من نبات وشجر واخبرهم باسم نبات كل بلد
ودرجة حرارتها وما يستخرج منها من الزيوت والادهان العطرية
وغيرها وارايم نباتاً مغطى بسقف من زجاج وبين لهم الطرق التي
تزيد في الحرارة وبالجملية فلم يدع شيئاً بالبستان الا اطلعهم عليه
وذكر لهم ما يعلمه من خواصه ثم رجع بهم الى مكانه وطلب لهم
قهوة فشربوها ثم قال المأمور اريد ان اتشرف بحضرة الشيخ في يوم
غير هذا لاربه ما يجب ان يراه مما لم يره في هذا اليوم فقال
الشيخ لا بد من ذلك لاحظى برويتكم واستفيد من معلوماتكم

فقال المأمور للشيخ ألا أخبرك بأصل هذا المكان قبل ان
يعد لما رأيته به من انواع النبات والحجون قال نعم فقال اصله كان
فضاءً من فضآت باريز فلما جاء لوز الثالث عشر اصدر امره
بانشاء جنينة في خطة من خطط باريز تكون ادارتها ونظارتها
بعده لمن يقوم مقامه من عقبه فانشأ هذه الجنينة ثم ما زالت تتقدم
كل سنة عن السنة التي قبلها الى ان جاءت سنة الف وستمائة
واثنين وثمانين فجعلها بوفون مؤلف كتاب حياة الحجون والتاريخ
الطبيعي في هيئة جديدة وقسم طرقها واحداث فيها مدرسة لتدريس
العلم

ثم في سنة الف وسبعمائة واثنين وتسعين عمل لها مجلس الملة
لوائح وقوانين وامر بنقل جميع الحيوانات التي كانت بويرساي اليها
فازداد بذلك رونقها ومن ذلك العهد لا يمر عليها عام الا ويجلب
اليها من المستغربات وانواع الطير والحشرات ما لا يحصى

المسامرة (١١٧)

الهواء والماء

ثم استأذنوا في الانصراف وقاموا فودعهم الى الباب ووقف
هناك الى ان ركبوا وكانت الشمس قد أذنت بالغروب والسماء
مطبقة بالسحاب وبعد ان ساروا مسافة قليلة خرجت عليهم ريح
باردة من جهة الشرق فقال الانكليزي هذه علامة المطر فالاولى
ان ندخل قهوة نستكن بها حتى يسكن فما دخلوا القهوة الا والمطر
قد نزل كافواه القرب

فقال الشيخ ان اهل مصر الان يشكون من الحر ونحن نشكو
من البرد فقال الخواجا ذلك ناشئ من اختلاف الاوضاع الجغرافية
للبلاد ارتفاعا وانخفاضاً ففي بعض الجهات المنخفضة قد يشتد

البرد حتى تجهد منه الانهار وتكسى الارض بالثلج وتكثر الامطار وربما تستمر اشهرًا وفي تلك المدة يضطراهل تلك الجهات الى الاستمرار على ابقاد النار فيكون في كل مكان مقدار اكثر ويلبسون ثقل الثياب كالمرآء والمنصربات وكلما نزل الانسان الى الشمال ازداد عليه البرد والثلج وكلما صعد قل برده وادرك الحرارة

وشرح تلك المسئلة بجناس الى مقدمة اقصها عليك اذا اوينا الى مبيتنا فلما هداً المطر وركبوا الى محل اقامتهم قال الشيخ لخواجا انجز لي ما وعدتني فقال اعلم ان الهواء ولو كان في غاية من الصفا لا بد ان يحمل معه ابخرة مائية متصاعدة من الانهار والبحار والريج توزعها في الجهات فزركة الجو المتد في السماء الى ستين الف متر ناشئة من هذا البخار المتصاعد وذلك الجو محيط بجميع كرة الارض والخلق على اختلاف انواعهم تعيش فيه ومن فوائد البخار تلطيف حرارة الجو فيكون الهواء صالحا للاستنشاق وكل حين يتصاعد من البحار مقدار من البخار لاجل تلك الفوائد الجليلة ولولا ذلك لهلك ما على وجه الارض من حيوان ونبات وقد غلظا من جعل البخار والضباب والسحاب شيئاً واحداً بل هما متغايران فان البخار عبارة عن غاز يرتفع من الانهار والبحار الى الجو بكمية ثقل وتكثر فعلى كل مستودع ماء من نهر او بركة وكذا على الثلج ونحوه يتكون البخار فاذا تشبع الجو منه تحول بواسطة الهواء الى رطوبة محسوسة ودرجة التشبع تختلف

قلة وكثرة باختلاف درجة الحرارة التي في الجو ففي درجة عشرين تحت الصفر لا يكون في المتر المكعب من الهواء زيادة عن غرام واحد اي ثلث درهم وفي درجة ذوبان الثلج يكون فيه خمسة غرامات ومن درجة عشرة الى ثلثين تكون غرامات البخار التي يمتصها الهواء موافقة لارقام اقسام الترمومتر فان زادت درجة الحرارة عن ثلاثين زاد قبول الهواء للبخار فاذا بلغت مائة قبل من البخار بقدر حجمه وساوت حينئذ قوة الهواء قوة البخار وبعد ذلك تزيد قوة البخار على قوة ضغط الماء فيحصل الغليان في الماء ثم ان كمية البخار التي في الجو ولو انها قليلة وتابعة لدرجة الحرارة لكنها مع ذلك قد تنكسر كمية البخار المتصاعد من احد مائعين متساويين في الحرارة عن تصاعدها من الاخر بسبب هبوب الريح على احدها دون الاخر او كثرته عليه اكثر من الاخر فكلما مر عليه ريح تشبع منه وترك مكانه الى غيره وهكذا بخلاف ما اذا كان واقفاً او قليلاً وحينئذ فنصاعد الابخرة وتوزيعها في الجهات تابع ايضاً لكثرة هبوب الرياح ثم ان الهواء يكون فوق سطح البحر متشبعاً من البخار او قريبا من التشبع وكلما صعد من جهة الاستواء الى جهة الاقطاب يأخذ في النقص وكذلك يكون تشبعه في السواحل اقل منه فوق البحر وفي داخل الولايات اقل منه في السواحل وذلك بحسب توزيع الانهر والخلجان والبرك والجبال والغابات واختلاف الرياح واتجاهاتها فمقدار البخار في جو كل بقعة يخالف مقداره

في الاخرى فوق ارض بلاد الانكليز يكون الجو متشبعاً بالبخر او قريباً من ذلك وفوق صحاري آسيا يكون جافاً ليس له الا خمسة عشر جزءاً او عشرون جزءاً من مائة ما يمكن ان تشربه وعلى العموم فمقدار البخر في جو الارض القارة ثلاثة اخماس مقدار التشبع ومع كونه على هذه القلة فوجوده في الجو من اهم المهمات وبيان ذلك ان الارض تميل الى ضياع ما تشربه من الحرارة مدة النهار برده ثانياً الى الجو في الليل فاذا ردت النقطة البخارية المائية فتزيد حرارة الجو ولاحاطته بكرة الارض احاطة الظرف بمظروفه كان لها كغطاء حافظ لها من البرد ولولا هذا البخر هلك ما على وجه الارض كما مر وكلما جف الجو اشتدت حرارة الارض ففي النهار تؤثر اشعة الشمس في الارض فتلبسها حرارة وفي الليل ينبعث من الارض نحو الجو ما كمن فيها من تلك الحرارة فكلما اشتدت درجة الحرارة في النهار في بقعة كان ليها شديد البرد لان كمية البخار في تلك البقاع تكون قليلة جداً فلا تمنع الاشعة المتصاعدة من الارض من النفوذ فيها الى جهة السماء وما سبق يعلم ان البخار المائي ملطف لحرارة الاشعة الشمسية الساقطة على الارض ومانع لها عند انعكاسها من الارض الى الجو من ان تضع في السماء ومن فوائد ذلك حفظ درجة الحرارة الكافية للحياة

فقال الشيخ لماذا لم يمنع البخار اشعة الشمس الساقطة الى

الأرض ويمنعها اذا كانت منعكسة منها فهلا منعها جميعاً او لم يمنع واحداً منها

فقال الخواجا هذا لا يرد الا لو كانا على صفة واحدة اما اذا كانا على صفتين مختلفتين كما هما فلا وذلك ان الاشعة المنبعثة من الشمس الى الأرض حارة مضيئة بخلاف المنعكسة من الأرض الى الجو فانها مظلمة خالية من الضوء فلذا كان تشرب البخار للاشعة المنعكسة اكثر من تشربه للاشعة المنبعثة الا ترى انا لو عرضنا لوحاً من زجاج الى الشمس لنفذت اشعتها منه سريعاً ولا يسخن الا بعد مدة وما ذاك الا لملء حرارتها دون ضوءها فكذلك بخار الماء في الجو فانه يمنع اشعة الشمس المنعكسة من الأرض لظلمتها ولا يمنع اشعتها المنبعثة منها لوجود الضوء فيها

ومن الحكمة الالهية والالطاف الربانية وجود البخار في الجو لانه يجعل الدرجة المتوسطة للحرارة في كل بقعة اكثر من حرارة اشعة الشمس وحدها اي بدون بخار الجو لا صعوبة في تخليص الهواء من الانبخرة المائية المتزجة به فان ذلك يحصل بتبريده كما لو أخذت قلة ماء مثلاً وجعلتها في مكان حار وتركها برهة من الزمن فانك ترى سطحها قد كسي بانبخرة كالندي فكذلك يكون الجو اذا برد الهواء بعد غيبوبة الشمس فان الانبخرة المائية تتجمع وتصير ندى رقيقاً ومن تأمل في الخارج من فمه من النفس في وقت البرد رأى بخاراً ظاهراً للعيان وكذا اذا نظر

الى الابخرة المتصاعدة من دسوت الآلات البخارية فانه يرى البخار يرتفع ثم ينزل على الارض في هيئة مطر خفيف هذا ما تيسر ايراده من الكلام على البخار

واما السحاب والضباب فكل منهما عبارة عن تجمع كرات صغيرة حاصلة في الجو ولم تنفق آراء الحكماء من الطبيعيين في تلك الكرات على شيء فمنهم من يقول انها هوائية وفي جوفها ماء ومنهم من يقول انها نفسها ماء ثم ان بعض الناس يقول الضباب مناف للصحة ومؤذٍ للاجسام وهذا حق لان الضباب علامة على كثرة الرطوبة في الجو وانها متكونة في هواء راكد قريب من سطح الارض تتجمع فيه الابخرة المتصاعدة من القرى والمدن والمستنقعات واكثر ما يكون الضباب في الليل بسبب برودة الجو وقد يكون فوق المراعي الواسعة بقرب غروب الشمس ومتى صادف تكوُّنه في الجو سقوط ريح باردة من الطبقات العليا من الجو حبسته اياماً واسابيع ومن وقف على مرتفع من الارض رأى الجبال بارزة نافذة من خلاله فيرى السماء صافية لخلو الجهة العليا منه

واما السحاب فهو ضباب كثير العلو فوق سطح الارض يتميز عن الضباب بارتفاعه عنه في الجو وكثيراً ما يتكون من ابخرة ثلجية ولا حصر للصور والاشكال التي يكون عليها وتنقطع السحابة الواحدة الى قطع عديدة تسير في جهات مختلفة وينضم لها غيرها

ثم تتهزق ثانياً وكثيراً ما ينفصل السحاب ما ينزل على الأرض
مطراً قليلاً أو كثيراً فذلك الماء هو البخار الذي يحمله الجو
فقال الشيخ وما الذي يفصل ذلك البخار من السحاب حتى
يسقط على الأرض فقال له قد عرفنا ما سبق انه لا بد لفصل
الماء من الهواء من تبريد الهواء فالبرودة هي التي تفصله عنه والحرارة
تبقيه فيه وبانكماش الهواء وانضمام بعضه الى بعض تزداد حرارته
وبانبساطه وتمدده يبرد وقد جربوا ذلك بان وضعوا قطعة صوفان
في انبوبة مسدودة من احد طرفيها وادخل فيها من الطرف
الآخر مكبس فكلما زهد في كبسه انضم الهواء وتناقص وازدادت
حرارته فما انتهى الكبس الى الآخر الا وقد انتهت الحرارة فاحترقت
الصوفانة فدل ذلك على ما قلنا من ان انضمام الهواء وتقص حجمه
يزيد حرارته وبضدها تميز الاشياء في الطبقات العليا من الجو
تكون درجة الحرارة اقل منها في الطبقات القريبة من الأرض
لاتساع العليا وقلة البخار فيها فلا يكون بينهما توازن فترتفع
طبقات الهواء القريبة من الأرض الى الاعلى فتنبسط وتترك ما
فيها من الاجرة فتسقط ثلجاً او برداً او مطراً على حسب شدة
البرودة وضعفها فلو هبت ريح فصدمها جبل لم تقف عن سيرها
بل ترتفع في الجو وحينئذ يقل الضغط عليها وتنبسط وتبرد
وتنفصل عن اجرتها فتصير الاجرة مطراً ونحوه ومن المشاهد انها
عند مصادمتها لنحو غابة يحصل سقوط المطر وعند مصادمتها

لجليل يسقط ثلج ونحوه بحسب زيادة الارتفاع وقلته وتصادم تيارات
الهوا بعضها ببعض فوق سطح البحر المالح يحصل منه مثل ما يحصل
بمصادمة الاهوية للموانع المارة فسقوط المطر حينئذٍ تابع لحركة
الهواء وكل سحابة شاهدناها انما هي تاج لعمود من الاجخرة صاعد
من الارض الى السماء ثم ان المطر يكون اول نزوله نقطة صغيرة
بحيث لو اجتمع منه ثلاثون نقطة لا تزيد عن مليون وبسبب
تحرك الهوا تتلاطم تلك النقط فيلتحم كل جملة منها وتصور نقطة
كبيرة وكلما قربت من الارض كبرت حتى تكون النقطة الواحدة
قدر سائمتير فاكثر لان النقطة كلما كانت صغيرة لعب بها الريح
شمالاً ويمينا فاذا نزلت انضمت الى غيرها وكبرت وزادت ثقلاً
بحسب قوة الهوا ولا تنزل في خط رأسي بل تكون في نزولها
مائلة قليلاً او كثيراً وقد يشاهد عند سكون الريح سحب مرتفع
ارتفاعاً عظيماً وذلك ناشئ عن تبادل حاصل بين السحابة وما
تحتها من الاجخرة فيقع من الطبقات العليا نقط ما الى اسفل منها
فاذا وصلت الى طبقة حارة تبخرت وارتفعت ثانياً وهكذا فيكون
بين السحاب والاجخرة ذهاب واياب فاذا تغيرت درجة الحرارة في
جو السحابة يأخذ شكلها في التغير ومن يتأمل في السما بعد الظهر
يرى السحاب يتجمع ويتفرق او يأخذ في الزوال ويكون عن
ذلك صورة بهجة حسنة وارتفاع السحاب وانخفاضه يختلف باختلاف
البلاد تبعاً لطقس الجو واتجاه الرياح في جميع فصول السنة

فتارة تكون الرياح قريبة من المساكن وتارة تعلو رؤوس الجبال وتارة ترتفع في الجو وأكثر ما يبلغ ارتفاعها احد عشر الف متر وخمسمائة واربعين متراً كما اعتبر بالوسائط الفلكية وذلك يفوق على ارتفاع اعلى جبل في الارض بثلاثة الاف متر وبعض السحاب يرتفع في الجو أكثر من ذلك بكثير وارتفاع السحاب في اوروبا يختلف بين ألفي متر وثلاثة الاف فلا يقطع من جبالها الا جبال اليريني وجبال الالب وهذا الارتفاع يكون كثيراً في فصل الصيف قليلاً في فصل الشتاء ويختلف أيضاً سمك طبقات السحاب فتارة يعظم عظاماً هائلاً وتارة يقل عمقه وعلى العموم فتختلف حالته الوسطى في جهات اليريني من ثلثائة متر الى خمسمائة بحسب البقاع وكثيراً ما تكون طبقات السحاب متراكمة بعضها فوق بعض بابعاد ثقل وتكثر على حسب الاحوال وكية الامطار الساقطة سنوياً على الارض تختلف قلة وكثرة بحسب الممالك او جهات المملكه الواحدة وبالتجربة قد وجدت مناسبة لدرجة عرض الجهة وارتفاعها عن سطح البحر المالح وانها كثيرة في جهة القطبين قليلة عند دائرة الاستواء وسبب ذلك اختلاف درجة الحرارة وظهر من التجارب العديدة ان كمية المطر بمجائر الانتي تبلغ مائتين واربعة وستين متراً مكعباً وبوجهة بونباي تبلغ مائتين وثمانية وفي كلكتا تبلغ مائتين وخمسة وفي كندا من بلاد الانكليز تبلغ مائة وستة وخمسين وفي نابولي من ايطاليا تبلغ خمسة

وتسعين وفي ونديك واحدا وثمانين وفي لوندرة ثلاثة وخمسين وفي
باريز مثلها وفي مرسيليا سبعة واربعين وان ما ينزل بالجبال اكثر
ما ينزل بغيرها بسبب ان الجبال لارتفاعها وشدة بردها تجذب
السحاب اليها فيساعد البرد تكوين الامطار والناس في البلاد
الجبلية يهتدون في معرفة احوال الوقت بالنظر الى شواشي الجبال
الشاخنة لانها قبيل تغيير الوقت تحيط بها دخنة عظيمة رطبة
حاصلة من تراكم السحاب حولها فيعلمون بذلك حالة الجو وكمية
المطر في البقعة الواحدة تابعة للارتفاع فقد قدرا هل رصدخانه
باريز ما نزل على سطوح الدور وما نزل بساحتها فوجدوا
ما نزل بالساحة اكثر مما نزل بالسطح وذلك ان حبات
المطر كلما طالت مسافة نزولها انضم بعضها الى بعض فيكبر
حجمها كلما قربت من الارض وقد تحدث دوامات هوائية تجمع
حب المطر بعضه الى بعض وكذا في مدينة باريز وجد ارتفاع
ماء المطر فوق السطوح خمسمائة مليمتر وعلى سطح الارض خمسمائة
وستين وفي برلين يزيد النازل في الساحات عن النازل على
الاسطحة بنحو التسع وكلما ارتفعت ارض الولاية عن سطح البحر
الملح كانت بعيدة عن الانجزة البحرية ولهذا كان ما ارتفع من الجبال
في غاية الجفاف ولا يحصل من السحاب الملائم لسفحها والانجزة
الفاعلة في طبقاتها السفلى فعل على الثلج الدائم المتكون بها وقد
اخذوا مقدار المطر النازل بالولايات المستوية الارضية باوروبا

والولايات التي بها جبال فوجدوا النازل بالولاية المستوية باعتبار سنة واحدة خمسمائة وخمسة وسبعين مليمتر والنازل بغيرها ألفاً وثلثمائة مليمتر واختبروا ما نزل في وادي نهر الران فوجدوه من خمسمائة وستين الى خمسمائة وثمانين متراً مع ان ما ينزل في جبال الغوج يختلف من ألف مليمتر ومائة جزء الى ألف مليمتر ومائتين وما يفعل في درجة الرطوبة بالقلّة والكثرة القرب او البعد من الغابات الكبيرة والمياه العظيمة ومهاب الرياح وجنس الارض التي تمر عليها ولذلك كان ما يقع من الامطار على سواحل البحار اكثر مما يقع في داخل الارض وبالتجربة وجد ان ما يقع في المديرية الواقعة بين نهر الرين ونهر الساوون في السنة الواحدة خمسة واربعون اصبعاً مع ان ما ينزل بباريز لا يزيد عن اثنين وعشرين والرياح الجنوبية والغربية تأتي باخرة البحر الاطلمنطيقي والمتوسط الى اوروبا ولكثرة الغابات واتساعها وعلو الجبال الشاخنة يشاهد بجهات نورويج وسواحل افريقيا الغربية ضباب مستمر وامطار كثيرة ولعلو جهة مدينة مدريد بالاندلس على سطح البحر الملح كانت في جفاف تام ثم ان الامطار تنقسم الى منتظمة وغير منتظمة تبعاً لكيفية سقوطها في الولايات المختلفة فغير المنتظمة تكون غالباً في الاقاليم المعتدلة الحرارة بسبب تقلبات الفصول فيها مع مناسبة هيئة الارض فيقع منها في الاوقات الحارة اكثر مما يقع في الاوقات الباردة واما المنتظمة

فيمتدئ سقوطها في المنطقة الحارة متى سامت الشمس الرأس
بتقدمها الى المنقلب الصيفي وتنتهي الامطار متى رجعت الشمس الى
المسامة الاولى وتكون متوسطة في شهر يوليو الاقرب وتقوى في
شهري اغسطس وسبتمبر وتقل في شهر اكتوبر وعلى العموم تظهر
الامطار وتقوى في فصل الخريف ففي مصر تبتدئ من شهر اكتوبر
وتستمر الى شهر ديسمبر وفي الاقطار التي في عرض ثلاثين درجة
الى عرض خمس واربعين كبلاد اليونان والاندلس والبرانس
من فرانس يكون اكثر نزولها في فصل الخريف واما في فصلي
الربيع والصيف فتضعف حرارة تلك الجهات بسقوط الندى
الغزير ويقل مطرها وفي الجهات التي من عرض خمس واربعين
الى خمسين كبلاد فرانس والمجر تنزل الامطار الغزيرة في فصل
الربيع وتكون مدتها قليلة وفي البلاد التي من عرض خمسين الى
خمس وخمسين كبلاد الفلمك والمانيا ينزل المطر ويكثر الضباب
في فصل الخريف والتي من عرض خمس وخمسين الى ثمان
وستين كبلاد الدانمرك وسويد ونرويج اكثر مطرها في فصل الربيع
مدة قليلة ايضاً والتي من عرض ثمان وستين الى عرض سبعين
كبلاد لابوني وسبسيور وكشكا اكثر نزول مطرها في فصل
الصيف وما ينزل باوروبا ليلاً اكثر مما ينزل بها نهاراً والاقاليم
الموارية على العكس من ذلك وغير المنظمة تقع في غير فصل
الشتا وهي قليلة عند دائرة الاستواء كثيرة في الاقاليم المعتدلة

وتكون مدة المطر في هذه الجهات أكثر من غيرها وتكثر الرطوبة في الجو وتكون ملطفة لحرارته بخلاف الاقطار التي يكون زمن نزوله بها قليلاً ودفعة واحدة كالبلاد الحارة وقد استدلو على ان للبقعة تأثيراً في قلة المطر وكثرته بما شاهدوه في جهة السنجال حين وجدوا كمية المطر النازل بها في كل السنة اقل مما ينزل غيرها من البلاد البعيدة عن الاستواء ففي جزيرة كين تكون مدة المطر ثمانية اشهر او تسعة وارتفاع ما يسقط منه في السنة مائة وثمانية اصابع مع ان ارتفاع الساقط في جزيرة بوروبون تسعة وثلاثون اصبعاً وفي جزائر اللانتي ثمانية وسبعون ويقع اكثره في الزمن القليل ولبس في الجهات اكثر مطراً من سواحل مالابار واركان وجبال حملايا لان اكثر اسبابه موجودة بها لشدة الحرارة وارتفاع الجبال فيصعد من بحر الهند وحده من الانجرة اكثر مما يصعد من جميع الابحر وتسير به الرياح الى سواحل افريقية وسواحل اسيا فاذا مرت بجبل ارتفعت به حتى تصل الى الطبقة الباردة وعند ذلك يتحلل وينزل حتى يملاً الاودية وتفيض منه الانهار وقد قدروا ما نزل بجهة هناك مرتفعة عن المالح بقدر الف وثلثائة وستين متراً فوجد بعد عدة تجارب عملت في اربع عشرة سنة ان متوسط ارتفاع المطر سبعة امتار وثلثان في السنة الواحدة وفي بلد اخر من هذه الجهة كان متوسطه في السنة الواحدة خمسة عشر متراً الا خمس متر وذلك مقدار ما ينزل بالاسكندرية في

مدة مائة سنة وفي تلك البلاد ما يلي حملايا كان ارتفاع ما سقط في شهر يوليو سنة الف وثمانمائة وسبعة وخمسين ثلاثة امتار وثلاثة ارباع المتر وفي بعض تلك الجهات لا ينقص متوسطه في سبعة اشهر من السنة عن اثني عشر متراً ونصف متر وقد شوهد في هذه النواحي سيل عظيم استمر اربع ساعات فقط فغطى الارض بطبقة من الماء قدرها ثلاثة ارباع المتر واذا نسبت ذلك الى ما يقع على ارض فرانسا وجدته مقدار ما يقع فيها في سنة كاملة وارتفاع ما يقع في سواحل الهند متر واربعة اخماس المتر وما يقع على الجبال الداخلة فيها يكون قدره ثمانى مرات ثم انهم بالتجربة وجدوا اللتر الواحد من ماء المطر يشتمل على ثلاثة وعشرين ساني متر مكعبة من الغاز الذي في كل مائة حجم منه اثنان وثلاثون من الاكسوجين وثمانية وستون من الازوت بعد تنزيل اثنين واربعة اعشار من غاز حمض الكربون

وهذه المقادير تختلف باختلاف الارتفاع ففي الارض المساوية لسطح البحر يكون قدر الازوت والاكسوجين خمسة وثلاثين وفي الارض المرتفعة عنه بنحو الفين وستمائة واربعين متراً يكون قدر هذين الغازين اربعة عشر فقط وفي الارض المرتفعة عنه بنحو ثلاثة الاف متر يكون قدرها احد عشر فقط وكذا حمض الكربون يختلف قدره في ماء المطر بحسب الارتفاع ايضاً وقد يكون في المطر ايضاً ملح الطعام وذلك فيما يقرب من البرك وسواحل البحر

المالح ومتى سقطت مياه المطر على أرض اثرت فيها الحرارة وتسحب معها في سيرها بواقي حيوانات وحشرات وحشائش فتكون غير صالحة لمخزن بخلاف المطر المأخوذ من فوق سطح المالح فانه يصلح للتخزين لخلوه من ذلك ولذلك لما حلل بعض الكيماويين ماء المطر في جهات مختلفة وجد فيه مقادير مختلفة من الاتربة ففي بلاد الانكليز وجد فيه من تراب الفحم وقد يوجد فيه مركبات نشاديرة كالكربونات والنترات. وذلك اكثر مما يكون منها في ماء الانهار وهذه المواد وان كانت سريعة التطاير والصعود الا انها تنزل ثانيا مع ماء المطر

فقال الشيخ سبحانه لا علم لنا الا ما علمتنا فان هذا من الحكم الربانية والاسرار الالهية التي لا يقف على حقيقتها عقل ولا يحيط بكنهها قل فالانسان وان بحث ودقق واستكشف وحقق فمثله كمثل طائر تفر في البحر نفرة فهو وان روي بها ما اخذ منه مثقال ذرة ويكفي في ذلك دليلاً قول الله تعالى وما اوتيتم من العلم الا قليلاً ومن استنارت بصيرته وخلصت سريره يرى جميع ذلك مما اندرج تحت مفهوم قوله تعالى ان في خلق السموات والارض واخلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون

فقال الخواجا وازيدك انك اذا تأملت في المطر حال نزوله
وجريانه في مجاريه وجدت ذلك شبيهاً بتقطير الماء في
الانبيق فان اشعة الشمس تكون كأنها الفرن له والبحر الملح كأنه
الانبيق والجو المرتفع كأنه تاجه والجهات الباردة من الجو وشواشي
الجبال الشمالية المغطاة بالثلوج والبحور المخمدة هي المبرد له والأنهر
والتخلجان والبرك ونحوها هي الاوعية التي ترد الى المالح جميع ما
اخذته منه وهذا مستمر الى ما شاء الله فكلما اندفقت مياه الاوعية
في الانبيق تصاعدت ثانياً ورجعت الى الاوعية ثم منها الى الانبيق
وهكذا فالماء المحلو الزلال الذي يشربه المصريون من نيلهم
والباريزيون من نهرهم بل وسائر انهار العالم اصله من البحر الملح
وانما حلا بتكرير الصعود والهبوط كما ذكرنا لانه يصعد اولاً بخاراً
ثم ينعقد سحاباً ثم ينقلب بخاراً ثم ماءً ثم ينزل ويجري في مجاريه
ثم يعود الى البحر كما كان وهكذا ولذلك شبه بعضهم البحر برجل
بخیل لان جميع ما يخرج منه لا بد ان يعود اليه حتى البخار الذي
يخرج من الفم فانه يرجع اليه في صورة قطرة ماءً

ومن عجيب لطف الله ان البحر الاستوائية بفعل حرارة
الشمس الشديدة على مياهها تسخن وتكون لها من ذلك درجة كافية
تحفظها حتى تصل معها الى البلاد الباردة لتلطيف شدة بردها
وقبل ان تكون مياه الامطار في الأنهر والتخلجان تقع على سطح
الارض فتكون في المجاري الصغيرة التي في خلالها وتدخل في

الارض الهشة وبين الاحجار وفي جذور النبات وسيفقانه وفي هذه
السياحة تذيب ما فيها من المواد المعدنية الخفيفة في جوف الارض
ثم تاخذها معها وتوزعها الى انواع الحيوان والنبات وقد تتحد بغيرها
فتكون مواد يسميها الكيماويون الادرات او انها تكون في المنافع
فتحلل البواقي النامية او تساعد في تعفين المواد النباتية وتخميها
ويتحصل عنها مواد فحمية وليس من دأبها الدوام على حالة من
المحالات وبعد ما تكون في جسم الحيوان والنبات بالصورة السائلة
تخرج منه في صورة بخار وترجع الى الجو ومنه ترجع الى سائل
او ثلج او برد او جليد ثم تنتقل عن ذلك وتكون بخارا ثم تنتقل
الى ان تكون سائلا وهكذا فهي السائل الذي يجري في جذور
النبات وعروقه والندى الذي يرى على ورق الشجر والدم الذي
يجري في جسد الحيوان والرطوبة التي نحس بها والبخار المحررا
للواپورات والضباب المرتفع من اراضي المراعي وغيرها فهي المذ
الذي ياخذ منه كل حي قوامه فتكون جامدة وسائلة وبخاراً ف
تتغير من صورة من هذه الصور الالناخذ ما بعدها فاذا تركه
الجعر كانت على الارض لنفع الخلق وان تركت الارض ترجع ا
الجعر فتعلو الى الطبقات العليا من الجو وتنزل الى الطبقات
السفلى من الارض وتصابح الريح وتتبع ميل الارض وتكور
في جوفها فتكتسب حرارتها وتخرج منها حامية حاملة من ذخا
فلا يعوقها الصخر حتى تصقله وفي سيرها تنقل تماوي النبات

وبيض الحشرات من ارض الى ارض وتقلب الرمل والتراب
والزلاط وتقلع الحجر والشجر وتخرق الارض وتهدم الجبل وجميع
هذه الاعمال لاسباب دبرتها الارادة والقدرة لبقاء نظام هذا الكون
والكلام في شرح ما وصل اليه علم الانسان من ذلك طويل وان
شاء الله نجعل بقية الكلام في ذلك بكرة فوق نهر السين ثم اوى
كل الى فراشه وكانت ليلة ماطرة فناموا الى الصباح فاخذوا
ملابسهم واشياءهم وتوجهوا الى النهر فركبوا السفينة وكان يعقوب
قد اتخذ لهم في مقدمها خزانة فسيجة بامر الخواجا له فدخلوها وبعد
برهة اخذت اطراف السفينة وشرعت تسبح فوق الماء واخذت
كفات الطارة تضرب في الماء فيحدث فيه رغوة ويزيد والسفينة
تسرع في سيرها فصار الشيخ وولده ينظران الى البر والى الجبال والاشجار
التي على طرفي النهر ويسرحان الطرف في النهر وما حواله
وخرير الماء يسمع بين الحشائش واحجار البر وتذكر الشيخ ما
ذكره الخواجا بالامس وما ابداه من الاسرار والحكم واللطائف
التي ترتاح لها النفوس وتطئن لها القلوب فالتفت لابنه وقال
له يا بني العلم رأس مال الانسان وتجارة لا يعتريها كساد ولا
خسران وبه حياة النفوس وهو اجل ما تحلت به الطروس وبه
استنارت البصائر وهو الذي تنافست فيه الاوائل والاواخر ولقد
احسن من قال

العلم يغرس كل فضل فاجتهد

ان لا يفوتك فضل ذاك المغرس -
واعلم بان العلم ليس يناله

من همه في مطعم او ملبس -
واحرص لتبلغ فيه حظاً وافراً

واهجر له طيب المنام وغلس -
لتعز حتى لو حضرت بمجلس

اكرمت فيه وصرت صدر المجلس -
ان الخلي من العلوم مقامه

عند النعال له صوت الاخرس
فالعلماء مصابيح الازمنة كل عالم مصباح زمانه وذلك انه
لا يرى شيئاً الا بحث عن اصله وسببه وما يؤول اليه امره وما
يترتب عليه من خير وشرّ ونفع وضرر ممكناً دابه وديدنه ما دام
حياً فان مات بقي ذكره واما الجاهل فتراه لا يلتفت الى شيء الا
عند احتياجه اليه فيشرب الماء ولا يعلم من امره الا عذوبته او
ملوحته ويستقي به الزرع ولا يعلم سبب نموه منه وباء كل الثمر
ولا يدري من اين اثمه الحمل او اذا مر بنهر عجب من اتساعه
وتلاطم امواجه وتغير لونه وفيضانه ولا يبحث عن سبب ذلك
فكم من خلق تولد وتلد وتموت على شاطئه وهم على فطرتهم الاصلية
من الجهل بخلاف اهل العلم فان احدهم متى وقع بصره على شيء
لا يهدأ له سر الا ان وقف على سره وكشف حقيقة امره فمن

ذلك النهر الذي نحن فيه فان اصله كما قال حضرة الخواجه قطرات تصاعدت الى السماء ثم نزلت متفرقة فاجتمعت حتى صارت نهراً يجري على وجه الارض يقتلع ما قابله من نبات وشجر واذا مرّ بارض تلوّن بلونها فتارة يكون اصفر او الى الصفرة اقرب وتارة يكون اخضر او الى الخضرة اقرب وكلما قرب من مصبه وهو البحر الملح تشعبت مجاريه وربما رجعت الى خلف ثم استقامت وكما تختلف الوانه بحسب الارض التي يمر بها كذلك تختلف اسماءه على حسب ما على شواطئه من الجزائر والعمران واذا جرى رويت منه الاشجار وشربت منه الزروع فضلاً عن الاستعانة به في الاسفار وتقريبه ما بعد من الاقطار فسبحان من دبر الكون بحكمته وسخر ما شاء كما شاء بقدرته لا اله الا هو الفرد الصمد المنزه عن الشريك والمعين والولد

ثم التفت وقال للخواجه ارجو من جنابكم الاطنباب في هذا

الباب

فقال ان ثلاثة ارباع الدنيا مغمورة بالماء ولكن منه المغذي يرتوى به ومنه غير المغذي فالاول لا راحة له وانما فيه جزء من الهواء ذائب فيه وان طبخ به الخضراوات نضجت وصححت وان حلل به الصابون تحلل سريعاً وان غلي لا يتكدروا قط ولا يرسب في اسفل انائه الا شيء قليل من مواد جيرية تلزم لتكوين الحيوان ونموه فان كان فيه جبس فلا تطبخ به الخضراوات لان

الحجس حيثئذ يلتف عليها كالغلاف بعد تصاعد الماء فيمنع نضجها
ويمنع ايضا ترغية الصابون واما الماء الذي لا يروي فليس فيه
من الهوا الا شي يسير وبه مواد نامية متحللة فيه وذلك كما آجر
المالح وما غالب الابار وماء البرك الراكدة واصفى المياه واتقاهما
المطر الا انه لا يصلح للغذاء لخلوه عن القدر الكافي من الاملاح
والهوا الذي يجعله سهل الهضم فينأى على ذلك تقدر ان نحكم بان
جميع المياه الموجودة غير نقية فاذا كان الماء متكدراً بالطمي والأتربة
ونحوها ترك مدة حتى يروق بنفسه او بشيء يضاف عليه فان ظهر
له رائحة كريهة حاصلة عن تحليل بعض المواد النامية وضع فيه
قليل من فحم العظام المكلسة في افران مخصوصة داخل اوان مقفولة
فتشرب تلك الروائح وتلتقط ما فيه من المواد التي ينشأ عنها
ذلك وتخلص الماء وتجعله نافعا للاستعمال ويلزم تغيير الفحم متى
ضاعت خاصته ومن المياه ما يشتمل على معادن متنوعة وغالبا
لا يشتمل الماء الواحد على اكثر من ثمانية او سبعة منها ولكن
الحكم لاكثرها فيه ظهوراً فيسمى الماء باسمه كالمياه الكبريتية
تعرف لكثرة الكبريت فيها برائحة تشبه رائحة البيض المذر
واذا غمس فيه شيء من الفضة اسود والمياه الحديدية طعمها كطعم المداد
ومنها ما يكون حاراً ومنها ما يكون بارداً وتختلف حرارة الحار
منها بسبب بعد الطبقة الارضية النابع منها عن سطح الارض
وعدم بعدها

فقال ابن الشيخ فالماء الذي تستعمله الاطباء أي نوع هو
فقال الخواجا ذلك ليس منها وان كان لا يخرج عنها لان لم فيه
قبل استعماله اعمالا وذلك بان يضعوه في معوج من زجاج ثم
يوقدوا عليه نارا فيصعد منه بخار فيجمعونه في زجاجة موضوعة
في اناء فيه ماء بارد فمن ترك بعضه على بعض وفعل البرودة
عليه ينخل الى الماء المطلوب ويسى بالماء المتقطر وهذا اذا كان
اللازم منه قليلاً فان كان كثيراً قطروه بالانبيق وهو عبارة عن
اناء من نحاس له غطاء مثقوب ركب على ثقبه ماسورة قد سلطت
على كرة من زجاج موضوعة في ماء بارد وفي تلك الكرة ماسورة
حلزونية تدور على نفسها داخل ذلك الماء البارد فحين يصل اليها
البخار ينقلب ماء فيصب في اناء اخر ويقرب الالة ماسورة اخرى
لتغيير الماء اذا ضعفت برودته فالماء المتقطر خالٍ عن الرائحة
والاملاح والهواء ولذلك يكون ثقيلاً على المعدة ولو اتي فيه سمك
لمات وبالجمل فلا حصر لما اودع في هذا الجوهر اللطيف من
الاسرار

فقال الشيخ وحسبنا في ذلك قول الله تعالى وجعلنا من
الماء كل شيء حي حيث لم يقيد الماء بعذب ولا غيره ولا الشيء
بانسان ولا غيره

فقال الخواجا ومن وصل الى شواشي الجبال الشامخة الموزعة
فوق كرة الارض يطلع على المحكم العظيم التي اودعها الباري

سبحانه في هذا الجوهري العظيم ففي شواشي تلك الجبال تكون
 منابع الانهر والخلجان الجارية في جميع الارض وهي عبارة عن
 بحائر صغيرة بين جبال فيجتمع في تلك البحائر ما ينزل من السماء
 وما يذوب من الثلج الدائم المكسوة به روؤس الجبال الشاخنة
 فتري للخيال حكمة تجمع المياه التي استعارتها السماء من البحر بواسطة
 الشمس وحكمة ردها الى البحر ثانياً بواسطة الانهر والخلجان
 ونحوها فوضع الخيال على الارض تابع لقاعدة ثابتة وقانون لا
 يتخلل به نظام العالم فتري سير الانهر دائماً تابعاً لسير الجبال
 فسلال الجبال الاصلية من الدنيا القديمة خط سيرها من الغرب
 الى الشرق وفروع الجبال الخارجة عنها من الشمال الى الجنوب
 فنهر الفرات وخليج لعجم والنهر الاصفر والنهر الازرق وسائر انهار
 الصين اتجه سيرها من الشرق الى الغرب وانهر اوروا وافريقيا
 واسيا والبرك والابحر المتوسطة كبحر الروم والبحر الاحمر تسير من
 المشرق الى المغرب او من المغرب الى المشرق ولم يخرج عن ذلك
 الا نيل مصر وبعض خلجان ببلاد المغاربة وماء المطر الذي
 ينزل على سطح الارض منه ما تشربه الارض ومنه ما تبتلعه فيجري
 في جوفها الى ان يصادف طبقة لا يقدر على النفوذ منها فينبع سطحا
 ويجمع ويتكوّن منه ما متسع فاما ان ينصرف الى البحر او الى
 الانهر او يبقى في هيئة برك تفعل عليها احوال موضعية تردها الى
 سطح الارض وهناك انهار وخلجان تكون اولاً على سطح الارض

ثم تغوص في باطنها بعد مسافة عظيمة من سيرها ومنها ما يخفي ولا يعلم امره ومنها ما يخفي مسافة ثم يظهر كنهر جوديانا ببلاد الاندلس يخفي في ارض مستوية مكسوة بالعشب والمرعى ثم يظهر ثانياً بعيداً عنها ونهر الموز في فرانسا يخفي بالقرب من بلدة باروى ونهر الدروم منها ايضاً في ولاية النورماندي يخفي في وسط ارض مستوية وينصرف في جوف الارض في فتحة قدرها عشرة امتار وامثال ذلك كثيرة ومن الجائر ما يحف في بعض الازمنة ويغور ماؤه في جوف الارض ويزرع موضعه ثم في الوقت المعين ينبع الماء فيملأها ثانياً كما كان كبحيرة كيركينثز من ارض الكارينول وقدرها فرسخ عرضا وفرسخان طولاً فتكون في فصل الشتاء غامرة بالماء وفيها من السمك والسفن ما لا يحصى فاذا جاء الصيف تفتحت لها عيون من اسفل الجبال المحيط بها فتبتلعها بعد اربعة اسابيع وتزرع ارضها فاذا تم الحصاد تفتحت تلك العيون بعينها وجرى الماء حتى تمتلئ وتعود كما كانت وكان بالقرب من قرية سبليه في ولاية الانجو عين ماء قطرها من خمسة امتار الى ثمانية كانت تغور تارة فتظهر معها انواع شتى من السمك وسطح الارض مركب طبقات بعضها فوق بعض فيها مجاري للماء متنوعة على ابعاد مختلفة وقد قابل المجس بقرب ناحية ديب في قرية سنيقولا مجاري مياه تقرب من ماء يجري مفصلاً بعضها عن بعض بطبقات الارض ووجدوا بها اغصانا عليها ورقها وهذا

دليل على انها لم تكتث زمنا في باطن الارض وان الماء الذي على وجه الارض اتصلاً بما في باطنها وقد يحصل في بعض العيون زيادة ونقص ولكن لا تظهر الزيادة الا بعد نزول سيل في جهات بعيدة فيعلم ان تلك الزيادة من ذلك السيل ويختلف سير الماء في جوف الارض سرعة وبطئاً وكلما بعد عن سطح الارض اشتدت حرارته فلذا تجد ما العيون يتفاوت في الحرارة ويختلف ايضا في كثرة المواد الذائبة فيه وقلتها والان قد استعمل الاطباء كثيرا منه في معالجة علل مختلفة

وقد بلغني عن بعض السياحين انه رأى عيوناً في اسلنده تنفجر من باطن الارض فتندفق دفقات بين الدفقة والاخرى نحو نصف ساعة وكل دفقة عمود من الماء غلظه نحو ثمانية عشر قدماً فيرتفع في الجو نحو مائة وخمسين قدماً ثم ينحني وينزل على الارض فينحني في جوفها فتنتفخ لها عيون فتبتلعها وقبل تدفقها يسمع لها دوي وقرقرة وقد ينتشر فوق تلك العيون من الابجرة سخابة حاصلة من نجر الماء وفي زيلنده الجديدة لا حصر للعيون التي تدفق الماء والبحار وبعضها عظيم جداً تملأ الدفقة منه حوضاً محيطه نحو ثمانين متراً فمن كل ذلك يعلم ان الماء كما يجري على وجه الارض يجري في باطنها وان له اعمالاً في باطنها كما له في ظاهرها فاذا كان على وجه الارض دخل في اخليتها ومسامها فان تسلطت عليه البرودة جمد واثر في الصخور فيفصلها عن الجبال

ويلقيها في الوديان وفي الارض اللينة يذيب المواد القابلة للذوبان
ويأخذها معه في سيره وبلامسته للصخور الهشة والاحجار اللينة
يدخل بين جواهرها فيحللها ويزيل تماسكها فتفتت وتعدم وتتقل
اجزأؤها الى غير مواضعها والحصى والاحجار المسحوبة مع الماء تنبري
بلامستها لقاع مجرى الماء واحتكاكها مع ما يوجد به من الحجارة
وغيرها ودائماً تأخذ في صغر الحجم وقلة الوزن حتى تدق وتعلق
بالماء فالصوان وجميع انواع الاحجار مهما كان تماسكها وشدة صلابتها
لا تقاوم قوة الماء ويقلب الماء في سيره المستقيم المواد العائمة فيه
وبلامسته للبرور يسويها وينظمها ويدخله في اخلية الاجسام
ومسامها يفتتها وكذلك اذا انتقل الماء من السيولة الى الجمودة
ومن كل هذه الامور تتغير صورة الارض ولا ريب في ان الماء
يأخذ معه كل ما اذابه من الاحجار لما هو مقرر من ان زنة الشيء
في الماء اخف من زنته في الهواء وقد اثبت ارشيد الحكيم ان الجسم
اذا وضع في الماء خف بقدر زنة الماء الذي حل الجسم محله

وحيث كان الثقل النوعي لكثير من الاحجار لا يزيد عن
ضعف الثقل النوعي للماء علمنا ان كل ما يأخذه الماء معه
ينقص من ثقله قدر نصفه

وقد اختبروا الانهار بالنسبة لما فيها من المواد الطينية
فوجدوا في كل مائة وستين جزءاً من وزن ماء نهر (البو) جزءاً
من الطين وفي كل مائة جزء من ماء النهر الاصفر جزءاً من

الطين وإما نهر الكج الذي يصب في الملح وقت فيضانه ففي كل ثانية من الماء الفان وثمانائة وخمسون طولوناته فيصب من الطين في كل عشرة أيام ما قدر ضلعه الف متر وإما في غير وقت فيضانه فيقذف هذا القدر في ثلاثة أسابيع وقد قدروا حجم ووزن ما يلقيه هذا النهر في كل سنة فوجدوه قدر الهرم المصري الكبير باثنتين وأربعين مرة وما يلقيه في أربعة أشهر فيضانه قدر أربعين هرماً وهذه المقادير التي يلقيها هذا النهر في البحر ولا يشاهدها الإنسان تحتاج في نقلها إلى مائة سفينة كل سفينة تحمل مليوناً وأربعمائة ألف طولوناته وذلك بالنسبة لما يقذف به هذا النهر في وقت الفيضان فما بالك لو اضيف إلى ذلك ما يقذفه في السنة وكذا ما يقذفه كل نهر وخليج من الأنهر والخلجان الموزعة على سطح الأرض فان ذلك يقع الفكر في الحيرة ويحتمل أن الماء من آيات الله القوية الموكولة إليها تغيير أحوال الأرض وأوضاع المخلوق

وحيث كانت مياه جميع الأنهار مجمعة من جهات مختلفة بعضها على سطح الأرض وبعضها خفي يجري تحت الأرض فيلزم أن تشمل المياه على مواد كذلك ذائبة فيها كالجبس والجبس وأنواع الأملاح كالمنيزيا والسلمج وتراكيب حديدية وغيرها وبانصباب تلك المياه في البحر تتغير ملوخته وتضر بحياة ما فيه من الحيوانات أن لم يكن هناك من حكم الله تعالى ما يمنع ذلك ويبقي له حالته

الطبيعية وتلك الحكم اودعت فيما ينبت في قاعه وشواطئه من النباتات فانها تاخذ الاملاح المعدنية وتقصرها على نفسها فيتخلص منها الماء ويكون على حالته الاولى موافقاً لطبيعة ما فيه من الحيوانات وحيوانات المحار والشعوب لا تتغذى الا من المواد الجيرية فبعد ان تاخذها في جوفها وتسديها جرعتها تذفها في البحر محاراً وشعوباً فانظر الى نقط المطر الصغيرة الواقعة فوق قمم الجبال في سيرها كيف تحمل المواد الجيرية وغيرها لتكون طعمة للحيوانات الاخطبوطية الصغيرة ثم تذفها تلك الحيوانات من اجوافها فتجعلها مسكناً لها ثم تتراكم شيئاً فشيئاً فتصير حجراً ثم شعباً الى ان تصير جزيرة وتكسى بالنبات ويستحوذ عليها الانسان فيكون منه مسكنه وقوته

ثم ان اندفاع مياه الامطار يختلف قوة وضعفا باختلاف عظم الانحدار وقتله وفي اندفاعها قد تقلقل الصخور الكبيرة وكثيراً ما تسحب معها احجاراً قدر الحجر منها متر مكعب فاكثر فمن الحجارة ما يتراكم بعضه على بعض ومنها ما ينحدر مع الماء حتى يستقر في اودية بعيدة ومنها ما يجره السيل حتى يلقيه في البحر فيفتته حتى يصير رملاً فيدفعه الموج الى الشاطئ او الى الجزائر فيكون في وسطها او في سواحلها وكنيات الرمل التي نشاهدها في السواحل انما هي حاصله من الصخور التي جلبها السيل من الجبال البعيدة وفي الدنيا الجديدة انهر عظيمة العرض تجري في ارض غير

مستوية وتحد من المحلات الشامخة بسرعة شديدة واهل تلك البلاد لا يخشون الملاحه فيها وفي كثير من الجهات يفعل تيار الماء على الارض فياخذ معه الطين منها وفي سيره يتلف الشواطىء والبرور وياخذ فيه الطين بالترجج حتى يصير نهراً من طين وفي سنة ١٨٥٢ شوهد تيار من الطين في جهة جبال الالب فكان اسود اللون قليل الماء وانصب في نهر الرون فاجوب فيضانه

وكثيرا ما شاهد السياحون من ذلك تيارات في بلاد البيرو وجاوى حتى صارت طبقة جديدة على وجه الارض وقد تجمد انهار البلاد الباردة فينجبس فيها كثير من الاحجار وغيرها ويتقل معها حيث سارت

وفي كثير من الانهر توجد شلالات مختلفة ينشأ عنها تقل المواد الترابية وغيرها وتغير شكل الاراضي فمن ذلك انهم رأوا قطعة الثلج طولها سبعة امتار فكسروها فوجدوا في جوفها حجرا ضلعه نحو متر

ومن ذلك نهر النياجارا بامريقة الخارج من بحيرة ايريه فانه بعد اثني عشر فرسخاً منها ينصب من علو في منخفض عظيم الانخفاض ويخدر ويسيل حتى يختلط ببجيرة اونتاريو وهناك ينقسم مجزئة الى هدارين عظيمين يسمع لدويهما صوت كصوت الرعد فياخذان ما قابلهما من حجر ومدر فبعضه يرسب في مجراها

وبعضه يلقيه الماء على الشاطئ فيتراكم كالبناء فانظر كيف تسلطن الماء على ما انخفض وما ارتفع وفرق ما كان مجتمعاً وجمع ما كان متفرقاً فسبحان من خص ما شاء بما شاء وعمّ باحسانه من احسن ومن اساء ثم لا يخفى ان جريان الماء بهذه الكيفية يوجب غور مجراه وتاخر المصب عن موضعه

وقد شوهد سنة الف وثمانمائة وعشرين ان مصب نهر نياجارا المذكور تأخر عن موضعه الذي كان فيه منذ خمسين سنة نحو اربعين متراً فلو فرض ان التأخر في الماضي كان على هذا النسق كانت مدة حفرة للعشر الاف متر التي حفرها نحو عشرة الاف عام وان كان لا يقال ذلك الا بعد علم ما كان عليه الوادي في مبداء امره نعم ان استمر التقهقر على هذا النسق أمكن معرفة الزمن الذي كان يصب فيه ببجيرة ايريه وان استمر الحال على ذلك فعلاً قريب تحف ببجيرة المذكورة لان غاية عمقها لا يزيد عن ارتفاع الشلال ومن هذا القبيل نهر زنبير بافريقه لان به شلالات مرتفعة جداً يسمع للماء دوي من بعيد ويرى على النهر بخار ورغاوي ترتفع وتنخفض وعرضه الف وستمائة متر فاذا وصل الى محل الشلالات تقطع وخرج من بين الصخر وهبط الى مكان عميق حوله جبال فيكون للماء حيث تدومات وتلاطم امواجه فيسمع لها صوت مزعج ويصعد منها عُد من الماء بيضاء التواعد سوداء الرؤوس فاذا وصلت تلك العُد الى اعلي الصخور المحيطة به

انحدرت في مضيق هناك مع السرعة الشديدة والمزاحمة فمن تلاطم المياه ترى فوق الصخور سحابة من الزبد والرغوة وبسبب تراكم الصخور في ذلك المجرى الضيق جداً ترى المزاحمة والملاطمة تكثر وتزداد فيرتفع الماء عن قاعه ويفيض على الشواطئ وتارة ينجس في تلك الفوهة ويفعل في قاعها مع الشدة فيجفرها ويقلقل صخورها ويتبادى ذلك يتسع المجرى

وفي أرض السينيخال شلال نهر فيلو فان مائه يأخذ معه حجارة حمراء من حجارة شواطئه ومن كثرة ثقلها فيه وشدته واستمراره يؤثر فيها ويصنعها على صور مختلفة فقد راؤا على شواطئه في وقت التحاريق احجاراً مثقوبة واحجاراً تشبه الصور والتماثيل واحجاراً عليها رسوم تشبه المعابد وصور حيوانات واشجار حتى اغتر بذلك العبيد القاطنون هناك وغلبت عليهم الاوهام الفاسدة فعبدها ويوجد ببلاد سوميحة وجبال البيريني مصاب عجيبة الطفها شلال نهر الران القريب من شافوز والطف من ذلك الاثنا عشر مصبا النازلة من جبل باستدارة تعرف باستدارة جواراني وهي عبارة عن حائط في شكل قوس ارتفاع دائره نحو الف ومائتي قدم وفي اعلاه الثلج دائماً وفي خلاله اثنتا عشر فتحة كالطاقات تسيل منها المياه باللامسة للحائط فلا يسمع لها الا صوت لطيف مع انها نازلة من مسافة اربعائة واثنين وعشرين متراً فاذا هب عليها النسيم لعب بها فيكون لها عند ذلك رؤية تسر الناظر

وتشرح المخاطر ومن اعمال الماء ايضا ما يعمله في بعض السنين وهو انه اذا فاض من الثلوج او الامطار والسيول يعلو البرور والشواطىء ويهجم على اراضي الوديان ويكسوها بطبقة منه ولا يرحل عنها الا وقد ترك فيها طبقة من الزبد او ما كان اتى به من الطين ونحوه ويتوالي ذلك ترتفع الارض او قاع البحيرات وبحوار المالح تحدث ارض جديدة تزيد بالتدريج بما يلقيه البحر من جوفه فيها فتسكنها الناس وتكون مديرية في ولاية او ولاية كاملة جديدة يستخذ عليها الناس وتكسى رونق العمارة بالمزارع والمباني والمنشآت الفخيمة وما يحدث من المواد الراسبة من المياه ثلاثة انواع من الاراضي الاول في قاع البرك والثاني في البحر المتوسطة والثالث في افواه البحر عند مصبها في المالح وقدر الطين الراسب من نهر الرون عند مصبه كبير جداً حتى ان مدينة برتوس بعد ان كانت على شاطئ بحيرة جنوه قبل الان بثمانية عشر قرناً صار بينها وبينه نحو الف متر وكل حين تاخذ في الزيادة بما يلقيه النهر في البحيرة وفي الامريقا الشمالية في ارض كندا يرسب من البحيرة العليا التي هي اكبر بحائر الدنيا وهي قدر سعة اوربا بتمامها كمية عظيمة كل سنة من المواد فطمت ارضها واتسعت واستمرت آخذة في الزيادة والاراضي التي تتكوّن في مصاب الانهر تختلف بحسب الانهر فنهر الرون كوّن من رسوبه ارضاً متسعة عند مصبه في البحر الرومي ويمكن قياس تلك الاراضي ومعرفة مساحتها من الاثار الموجودة الى يومنا

هذا وذكرها المؤرخون فمن ذلك برج تنيومين الذي كان بناؤه سنة ١٧٣٧ من الميلاد فانه كان فوق البحر فصار بينه وبين البحر الآن الف وستائة متر وكذلك نهر البر ونهر الاريج اللذان يصبان في البحر الادرياتيكي فقد حصل عن مصابهما اراضي متسعة حتى ان بعض المين التي كانت تقف عندها السفن زمن اغسطس رُدمت بالطين وصارت مدينة بعيدة عن البحر عدة فراسخ وكذلك مدينة سنيين وكانت قبل الميلاد على شاطئه فصار الآن بينه وبينها نحو اربعة فراسخ وخليج ايزوتروا فانه تحول عن مجراه الاصلي وسلك طريقاً في غربي مجراه الاصلي بنحو فرسخ وامثال ذلك كثيرة

وهناك انهار لا تحول عن مجراها ولكنها بروسوب الطين في نفس المجرى تأخذ في العلو والارتفاع وترتفع شواطئها فيكون النهر دائماً منجساً فيها كنبيل مصر ونهر الميسيسي في وقت الفيضان يكون سطح مياه النهر اعلى من سطح الارض بحيث لو انكسر جوفه لغرقت الارض وبسبب كثرة ما به من الطمي يرسب على سطح الاراضي طبقة منه فتعلو بها كل سنة وذلك هو السبب في ضياع كثير من الاثار القديمة والمباني فلو كان انصباب الانهر واقعاً في البحر المحيط عوضاً عن انصبابها في الانهر المتوسطة لدخل البحر الملح في الانهار بالمد والجزر الى بعد عظيم من النهر فلا يتمكن النهر من احداث اراضي بقرب مصبه لان البحر ياخذ حيث يشاء جميع ما تأتي به الانهر من المواد ومن ثمادي هذا الفعل ياء كل مصب

النهر شيئاً فشيئاً ويدخل المالح في الاراضي ويتكون عنه خليج كبير ومينا عظيمة وقد يكون النهر فزوي السرعة والحجم ويدافع عن مواده الراسبة في مصبه الا انها تكون على التدرج ارضاً وتدخل في البحر كما نشهد ذلك في مصب نهر الكنج فانه تولد منه في البحر المالح لسان من الارض طوله نحو ثمانين فرسخاً في عرض اثنين وسبعين وفي خلاله خلجان مالحية كبيرة وصغيرة وصار ارضاً تأوي اليها الوحوش وكما ان الانهر تكسب الارض خصوبة وعماراً واهلها ثروة كذلك قد يحصل منها القحط وغلاء الاسعار وخراب البلاد وهلاك العباد وذلك اذا زاد فيضانها عن حده المعتاد وسبب الفيضان اما كثرة السيول واما الزلازل التي تنقلها عن مواضعها واما ذوبان الثلج المحابس لمستودع عظيم من المياه وكثيراً ما شهود ان السيول تكسو الارض النخبة بالاحجار والزلازل والمحصى وجذوع الشجر ونحوه فتصبح قحلة بعد خصوبتها ومثل ذلك يحصل من ذوبان الثلوج وتيارها واهل كل بقعة تعلم اسباب فيضان نهرها ولهم طرق ووسائل لوقاية بلادهم من مضاره وتحصيل منافعهم من فيضانه

ومن عجيب فعل الماء ان منه ما يقلب كل ما اليه فيه سواء كان حجراً او نباتاً او حيواناً او غير ذلك

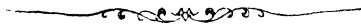
فقال الشيخ واين يوجد ذلك وهل نخرج تلك الاشياء عن حقيقتها الاصلية عند صيرورتها حجراً فقال له الخواجا اما وجود

هذا الماء فكثير وإما انقلاب الحيوانات وغيرها فقد كثر فيه كلام المتقدمين والمتأخرين فمنهم من زعم أنها تفسخ وتقلب حقيقتها ومنهم من قال ان تغيرها ليس الا في ظاهرها فقط وهي باقية على حقائقها وهذا هو الموافق للعقل لان في تلك المياه مواد جيرية مكيفة بحيث لو لمست شيئا لصقت به والبسته ثوبا غير ثوبه وعلى طول الايام تستخرج تلك المواد ومن هذا القبيل ما وجد بهيوز نابعة جهة كليرمون وسانتالبر وسانتنكتير من فرانساً متى ألقي فيها شيء كسي بمادة جيرية على قدر صورته ثم يستخرج

وفي اسيا الصغرى بمدينة هير وبوليس عين بسفح الجبل من هذا القبيل يتكون عنها شلالات بسفح الجبل وكذلك بعض مياه الامطار التي تبتلعها الارض متى قابلت فجوة في الارض او مغارات دخلت فيها وحدثت عنها اشكال عجيبه وسبب ذلك ان الماء يكون محملاً بجمض الكربون فيصادف في طريقه مواد جيرية فتحللها وتأخذها معها فتصير في مغارة او فجوة صادمت الهواء الجوي فينصاعد حمض الكربون وترسب المواد الجيرية في هيئات كثيرة وفي بعض المغارات الطبيعية يشاهد في سقفها اشكال على هيئة الابرنازلة الى اسفل وهي حادثة من ماء معدني نفذ في خلال احجارها فيميل الى السقوط نحو ارضها لكن يبقى معلقاً زمناً قبل السقوط وفي زمن تعلقه يفعل عليه الهواء الموجود في المغارة فيتجبر ويخلص حمض الكربون وتبقى المادة

الجيرية وكلما نزلت نقطة حصل لها مثل ما حصل لما قبلها
 فيزداد بذلك الحجم والارتفاع وبعد زمن تكون تلك النقطة في
 هيئة ساق ريشة طائر قاعدتها وهي ما غلظ منها بسقف المغارة
 ورأسها نحو أرضها وبانضمام هذه الصور الى بعضها يكون لها
 هيات واشكال لطيفة وبعد مدة ينسد الثقب ويسيل الماء
 عليها من ظاهرها بعد ان كان يسيل من باطنها وتصير
 مخروطية بعد ان كانت اسطوانية وما نزل منها الى الارض يتشكل
 باشكل تعلق فوقها وتكون مقابلة للاولى منها ما يكون طويلاً
 ومنها ما يكون قصيراً غليظاً او رقيقاً وبعضها يتصل بالاولى
 او يقرب منها حتى ان من لا خبرة عنده بذلك اذا دخل تلك
 المغارات ورأى تلك العمد على هذه الهيئات ظن ان ذلك من اعمال
 القدماء الذين محيت اثارهم وغابت عنا اخبارهم وامثال ذلك
 كثيرة منها ما هو في مغارات جبال اليربني قرب بيزنسون من
 فرانساً ومنها ما هو بمجائر اليونان بمغارة انتباروس ومغارة حان
 ببلاد الفلمنك ومغارة ارسى في بلاد سفول ومغارة كردال ببلاد
 الانكليز وبالمديرية التي بها مغارة حان نهير صغير يجري الى ان
 يصل جبلاً شاهقاً هناك فيسير تحته الفا ومائتي متر ثم يظهر صافياً
 لاكدورة فيه بعد ان كان محملاً بالطين والمواد الارضية
 فالمواد التي كانت فيه شربتها الصخور التي مر عليها فكانه في
 سيره يشي فوق تلك المغارة وهي مركبة من اثنين وعشرين عنبراً

عبارة عن مغارات وأولها تحت الأرض بنحو خمسمائة قدم وطولها مائتان وعرضها ثلاثمائة وخمسون يقولون أن سبب تلك العنابر زلازل حصلت من قديم الزمن وفي قاع بعض البرك المعدنية حجارة عجيبة أصلها رمل يرتفع عند طغيان الماء فتلتف عليه المواد المعدنية فيثقل ويقع في القاع ويأخذ في الكبر بما يرسب فوقه منها وبعد مدة يصير صخوراً ضخمة عبارة عن تجمع حجارة كروية كما رأوا ذلك في بركة ويشي وكربساد وفي تيفولي قرب رومة



المسامرة (١١٨)

فسحة خارج باريس

وبينما هم في الحديث وقفت بهم السينة فنزلوا واحضر يعقوب لهم عربة فركبوا وسارت بهم وسط غابة واسعة أرضها غير منتظمة

الى ان وصلوا مدينة عالية البنا واسعة الارجاء تشبه باريز في
 طرفها وحوائيتها واسواقها فسال الشيخ عنها فقيل له انها تسمى
 باللغة الافرنجية فنتين بلوأي العين الزرقاء ولها شهرة عند الامة
 الفرنسية وذكر في تاريخهم لما فيها من الاثار الغربية ثم وصف
 الخواجا لسائق العربية المحل الذي يقصدونه فسار حتى وقف
 ببابه وكان صاحب المنزل غائباً فخرجت لهم زوجته وقابلتهم بالبشر
 وحيّتهم وادخلتهم الى محل الجلوس فاجلسهم وامرت لهم بالقهوة
 ثم ارسلت الى زوجها فحضر فسلم عليهم ورحب بهم وزاد في اكرامهم
 وقال للخواجا لقد طوفتني منناً لا اقوم بشكرها حيث شرفت منزلي
 بحضرة الشيخ وولده فاجابه الخواجا بكلمات تستجلب المحبة وتجري
 في العادة بين الاحبة وكان ذلك كله باللغة الفرنسية فلم
 يفهم الشيخ منه شيئاً فلما رأى صاحب المنزل عدم فهمه لكلامه
 حول الكلام الى اللغة العربية الا انها بلسان اهل المغرب لانه
 اقام بالجزائر عشر سنين فلما سمعه الشيخ قال للانكليزي لقد
 قلدتني قلائد الامتنان اذ عرفتني بمن يعرف هذا اللسان فقال له
 الخواجا هذا بعض ما يجب علينا وسنرى منك في بلدك ما تراه منا
 هنا فتبسم الشيخ وقال لانت اعلم مني باحوال بلدي

ثم التفت الى ابنه فرأى سيدة البيت تتكلم معه ايضاً
 باللغة العربية فقال لزوجها اظن ان الست كانت معك حين
 كنت بالجزائر فقال لا ولكنها ولدت بمصر ولم اتزوجها الا بعد

خروجي من العسكرية ورجوعي الى بلدي مرسليليا وهي اعلم باللغة العربية مني فقال لها هل كانت اقامتك بالقاهرة نفسها او بقرية من قراها فقالت كانت ولادني باسكندرية وكانت بها اقامتي الا ان والدي كان في فصل الشتاء يتوجه الى مصر وياخذنا معه فنقيم بها مدة الشتاء بسبب متجر كان له وكثيراً ما سافرت معه الى دمياط والمنصورة وطندنا والمولد الاحدي وسافرت معه مرة الى الوجه القبلي ورأيت الاثار القديمة التي باسسا وادفو والكركنا فقال لها الشيخ لانت بارض مصر اعلم مني فاني لم اسافر الى الجهات القبلية بل يظهر ان علمك بتلك البلاد اكثر من علم اهلها بها فقال زوجها وكذلك كان لها علي حق التعليم فاني ما تعلمت الخط العربي ولا المطالعة في الكتب العربية الا منها لاني حين خرجت من العسكرية ببلاد الجزائر كنت لا اعرف الا الكلام المتعارف دون القراءة فقال الشيخ وحيثئذ تعرف الست القراءة والكتابة فقالت نعم كان والدي حال صغري يرغب في تعليمي اللغة العربية فاحضر لي معلماً فكان ياتيني كل يوم فعلمني القراءة والمطالعة وقرأت عليه القرآن والاجرومية وشرح الشيخ خالد في علم النحو وعندي بعض من كتب العربية بخط اليد ساطلعت عليها وكان معلمي عليه الرحمة بارعاً في فن الخط فتعلمت منه الثلث والرقعة والنسخ ولكن الان ضاعت مني القاعدة ومع ذلك اكتب خطاً مناسباً واغلب مما اكتبه هنا الخط

الفرنساوي فقال الشيخ هذا من اعجب المصادفات وانسر لذلك
واكثر من شكر الخواجا على تعريفه بهم فقال صاحب البيت ان
فرحنا بك اشد من فرحك بنا فاني مولع بحب مصر واهلها وكثيراً
ما تحدثني زوجتي باخبارها فتزداد رغبتني في التوجه اليها ولا بد
ان شاء الله ان نسافر اليها ونجتمع هناك فان الست مشتاقة الى
زيارة قبر اخ لها مدفون هناك بل كلما جاء الشتاء واشتد البرد
وتجردت الاشجار من زينتها وكسيت غصونها بالثلج تحن الى مصر
وطيب هوائها وتذكر كثرة خيرها وقناعة اهلها وما زالوا يتحادثون
في هذا المعرض حتى حضرت المائدة فاكلوا ثم دخلوا البستان
وطافوا في نواحيه فكانت الست تتكلم مع ابن الشيخ فتارة تصف
له ما يستغربه من الشجر والنبات وتارة تحادثه في مصر واحوالها
الى ان رجعوا فقال صاحب المنزل للشيخ لا بأس ان تستريح هنا
من وعناء السفر واخذ بيده وادخله غرفة مهيأة وقال له كن
عندنا كما تكون في بيتك وها هو انطوان الخادم تحت امرك وطوع
يدك ونادى انطوان وامره بطاعة الشيخ في كل ما يريد وكان
يعرف اللسان العربي تعلمه بالجزائر فشكر الشيخ هذا الصنيع ودخل
الغرفة ونزع ثيابه وطلب ماء فتوضأ وقام فصلى ثم نام فلما اصبح
دخل عليه ولده وقبل يده كعادته فقال له والده ماذا رأيت
في هذا المكان وكيف صحتك فقال احمد الله على كمال الصحة
ووالدي كيف كان نومه الليلة فقال من احسن ما يكون وشتان

ما بين هواء هذه الدار وهواء مدينة باريز وإن شاء الله نقيم هنا مدة فقال لابييه وماذا تصنع في الدرس الذي وظفته على نفسك فقال ان ها الايومان في الجمعة وقد اخبرني حضرة الخوجا ان بين ما هنا والمدرسة بباريز بعض دقائق في السكة الحديدية فتوجه للدرس ونعود مع الخوجا ففرح ابنه بذلك لانه كان يحب الإقامة بباريز لكثرة ما بها من المستغربات

ثم حضر الخوجا الانكليزي وبعد ان سأله عن صحته قال يلزم ان نقسم الايام التي نقيمها هنا على الاشياء التي نحب ان تراها فهل نجعل وقت التفرج قبل الظهر ام بعده فقال الشيخ الامر لك فانك بذلك ادرى ولكن اظن ان جعلها بعد الظهر اولى لنجعل ما قبل الظهر للمراجعة والتصحيح واقفهم صاحب البيت على ذلك ايضاً وقال ان اكثر التفرج يكون في الغابة فتارة نمشي على الاقدام وتارة في العربة بحسب قرب الاماكن وبعدها وتارة نستعمل الاثنين معاً وقد اخذت من الان في ترتيب الفرج وكيفيتها حتى تطلعوا على جميع ما يلزم فكانوا كل يوم يخرجون على هذا النسق وكانت تخرج صاحبة المنزل مع ابن الشيخ ويخرج زوجها والخوجا مع والده واقاموا نحو شهرين على هذه الحال حتى نسوا ألم الغربة وفراق الاهل والاحبة لان ابن الشيخ كان عند صاحبة المنزل بمنزلة اولادها خصوصاً وقد كانت تعلمه اللسان الفرنساوي وتشرح له جميع ما يقع عليه

نظره مع الفصاحة والمعرفة ولكن ما انساه حب باريز واهلها
 زيادة الابنة لم تسمى مريم كانت تدخل وتخرج معه وكانت ذات
 حسن وجمال وقد واعندال تخيل البدر بطلعتها تعلق قلبها به
 وتعلق بها فكانت تهواه ويهواها ويرى خيالها اذا غابت عن عينيه
 حتى كان اذا جاء يوم التوجه الى باريز للدرس يتعلل بتعللات
 موجبة للتخلف بعد ان كان لا يؤثر شيئاً على التوجه الى باريس
 فكان يترك والده مع يعقوب عند الست ويذهب الى الدرس
 فيكون تارة مع الست وتارة مع البنات ويقضي الاوقات في انواع
 المسرات وازداد افتنانه بالبنات وتمكنت بينهما اللفة وكان كما
 قال القائل

تولع بالعشق حتى عشق فلما استقر به لم يطق
 رأى لجة ظنها موجة فلما تمكن منها غرق

وفي ذات يوم توجه والده الى باريز للدرس واخذ معه يعقوب
 وترك ابنه في البيت فامرت الست خادما انطوان ان يخرج به
 وباولادها الى التنزه فاركبهم جميعاً عربة وسار بهم واخذ برهان الدين
 ومريم باطراف الاحاديث والمفاكهة ثم نزلوا ومشوا وهي تحادثه وتساله
 عما اعجبه في فرانسما ويحببها وهو غريق في بحار جمالها الى ان وصلوا
 هضبة كسيت بالاشجار ونبع ماؤها من بين الاحجار فصعدوا عليها فكانت
 مريم تري برهان الدين نهر السين والبلاد التي عليه والطرق الموصلة
 لباريز فكان نظره في خلال وصفها لا يفارق وجهها وكذلك هي

لا تقترب عن النظر اليه كما قال الشاعر
نظر العيون الى العيون هو الذي

جعل الهلاك الى الفؤاد سبيلا

ثم وصلوا الى مخدع سقفه غصون الاشجار وفرشه انواع العشب
والازهار فاطمأنوا فيه برهة ثم نزلوا من فوق الاكمة وداروا في ارجاء
الغابة الى ان وصلوا فضاءً بين ثلاث اكبات فصعدوا احداها
فراى برهان الدين حول الغابة ارضاً منزرعة ليس فيها شيء مما في
الغابة فسأل الخادم عنها فقال هذه الارض كانت قبل الان مغطاة
بالاشجار المرتفعة وفي كتب التاريخ ان اشجارها كانت متواصلة
وكما تنعطف الى الشمال تزداد التحاماً والتفافاً وارتفاعاً والارض
الخالية من الاشجار كانت بركاً ومناقع كما قاله استرابون فكان
البرد يزداد بسببها حتى يبلغ درجة يعسر معها نبت شجر الزيتون
والتين والعنب ولم تكثر بها الزراعة الا بعد استيلاء الدولة
الرومانية عليها فزرع بعضها وبقي بعضها غابات يأوي اليها
الفارون من ظلم الرومانيين فلما انت دولة القوم المتبربرة وهم
الامانيون وذلك سنة ٢٥١ للميلاد واستولوا على ارض الجول قسم
روم ساوهم تلك الغابة بينهم واتقوها على ما هي عليه وجعلوها محلاً
للصيد ومنعوا غيرهم من الصيد منها وجعلوا قصاصات شديدة على
من يخالف ذلك فكان كل من قتل حيواناً يقتل فيه فكثرت
بها السباع والوحوش والضباع حتى كانت تفترس الناس وتفسد

عليهم زرعهم وتهلك ضرعهم من غير ان يكون في قدرتهم منعها
فكان نصف الارض للوحوش ونصفها الاخر تشارك فيه الاهالي
لانها كانت تسطو عليهم فتهلك الاطفال والزرع وتقطع السبيل
ومن شغف الملوك والامراء بها كانوا يتهادون بها فيما بينهم فمن
كان في قسمه وحش ليس في قسم الاخر هاداه به فيرسله في غابته
ويجلى سبيله ليتج فيها ويكثر واستمر الامر على هذه الحال الى
القرن الرابع عشر من الميلاد ثم اخذت الغابة في النقص وارض
الزراعة في الزيادة وبعد ان كانت هذه الغابة وغابة وانسين
وبولونيا متصلة ببناء باريز صار بينها وبينها ما ترى هذا حاصل
ما قيل في هذا المكان وما كان عليه من اول الامر الى ما هو
عليه الان

فقال ابن الشيخ هكذا الدهر كله عبر ولكن لمن تأمل واعتبر
الدهر لا يبقى على حالة فطوراً يضر وطوراً يسر



المسامرة (١١٩)

القطن

ثم رجعوا وكان برهان الدين متغيراً مشغول المخاطر بالغرام ولما
وصلوا وجد والده مع الخواجا موريس يتمشيان في طرف البستان
قريب شجرة ارتفاعها نحو خمسة امتار وهي كثيرة الاغصان والورق
وعليها ما يشبه القطن الهندي وكان بيد والده شيء من ثمرها فناوله
لابنه وساله عنه فقال هذا يشبه ثمر القطن فقال الخواجا موريس
هذه هي شجرة القطن التي تنبت في الهند والصين
فقال الشيخ ان القطن يزرع بمصر ولكن لا يكبر لهذا الحد
فان غاية ارتفاعه متر ونسف او متران ومع ذلك ثمره اكبر من
ثمر هذا

فقال الخواجا موريس انواع القطن ثلاثة احدها يكون شجراً كهذه ولوزه قليل ولكنه اجود الانواع والثاني النوع الهندي وهو الذي يزرع بارض مصر والثالث نوع اقصر من الهندي واغصانه تمتد على الارض ويعطي محصولاً كثيراً ثم تأمل في الحوض الذي فيه شجرة القطن فوجد النوعين الآخرين وبقرهما التيل والكتان فقال هذه النباتات المباركة وردت لنا من الشرق فالتيل ورد لنا من جهات العجم ومن زمن قديم يزرع باوروبا واول من زرع الكتان المصريون كما قال مرسيانوس وفي زمن موسى بن عمران كانت اقمشة الكتان معروفة وفي زمن الرومانيين كان المدوح اقمشة الكتان المصرية وفي جميع الجهات قبل اشتها زراعة القطن كان لباس الناس الكتان او الصوف ولكن الان صار القطن هو المستعمل غالباً لكثرة زرعه في الجهات فبعد ان كان لا يوجد باوروبا اصلاً كثر الان حتى صار يزرع في الجهات الجنوبية من ايطاليا وفي بلاد الاندلس وجزيرة صقلية وجزائر اليونان فقال الشيخ ان اول من ادخل في مصر القطن الذي هو بها الان المرحوم محمد علي باشا وقبل ذلك كان يزرع نوع منه يعرف بالقطن البلدي كانت الاهالي تزرعه حول اراضيها وفي قطع ارض قليلة فتأخذ الاغنياء منه لكبس المساند والوسائد والطوالات وكان بعض الاهالي يغزلونه ويصنعون منه اقمشة غليظة للملابس وما يتعجب منه ان الاهالي لم تزرع القطن الهندي الا

برغم انها بعد ان عين المرحوم محمد علي باشا لذلك مفتشين
وحكاماً وعين مقادير تزرع كل سنة في كل جهة وتوعد كل
من تاخر في شيء من ذلك بالعقاب الشديد فكانوا يعدون ذلك
از ذاك ظلماً فلما علموا فوائده رغبوا فيه بانفسهم ولولاه ما امكنهم
التحصل على ما يسدون به ما يطلب منهم للميري وغيره

فقال الخواجا هكذا كان حالنا مع اهل الجزائر وحصل مثل
ذلك ايضا في جهات كثيرة وفي الازمان السنية كانت هذه النبابة
النافعة معلومة في بلاد الهند وكانت تبنت وحدها بارض مصر
والشام وبلاد العجم وهي التي تكلم عليها استرلين الجغرافي وبلين
المؤرخ وسمياها صوغاً حيث قال انه يوجد في هذه البلاد الصوف
على الاشجار بكثرة وكان قسيسوا مصر في زمن الفراعنة والبطلموسيين
يجعلون منه الملابس الرسمية وثيابه معروفة في المدة وقد تكلم
عليه المؤرخون كثيراً وكانت العرب تتحر به الا ان اليونان
والرومانيين الى اخر القرن الاول من الميلاد كانوا لا يعتنون
به في الملابس بل كانوا يلبسون حسب درجاتهم فبعضهم يلبس
الكتان وبعضهم الصوف وبعضهم الحرير وسمت اوروبا ثلاثة
عشر قرناً ميلادياً لا تعرف القطن ولا اقمشته وانما كانوا يستعملونه
فتائل للتناديل

وفي سنة ١٢٥٢ ميلادية ظهر ببلاد القريم والمسكوف وكان يجلب
اليهم من بلاد التركستان وكان له في تلك الازمان ورش ببلاد

الارمن والعجم ولم يعرفه الصينيون الى اخر القرن الثالث عشر مع
انهم يجوار الهند ومن ذلك الوقت اشتغلوا بزراعته اشتغالاً كلياً
حتى تركوا من اجله جميع المزروعات وتسبب عن ذلك قحط لم
يسمع بمثله فصدرت اوامر سلطانية بتحديد قدر ما يزرع منه ومنع
الزيادة عليه وعقاب من تعدى بالموت فقل الاحتفال به
شيئاً فشيئاً حتى صار يزرع ما يلزم لاهالي تلك المملكة منه
وفي وقتنا هذا يشترونه من خارج مملكتهم وقد حصروا ما يتحصل
لهم من زرعه كل سنة فوجدوه خمسمائة الف بالة وذلك عبارة
عن خمسة وسبعين مليوناً كياوجراما وهذا قليل جداً بالنسبة
لما يكفي لوازهم فحسروا ما يرد اليهم مخلوجاً من جهة الاينازوني
فوجدوه خمسة واربعين مليوناً كيلوجراما غير ما يرد منها ومن
الهند مشغولاً وذلك نحو عشرة ملايين كيلوجرام فجميع محصول
زراعتهم وما يرد لهم من الخارج مشغولاً وغير مشغول نحو مائة
وثلاثين مليوناً ولا شك ان هذا القدر قليل بالنسبة لهم لان
عدد اهالي بلادهم يبلغ نحو اربعمائة مليون ويؤخذ من سير
السياحين ان تسعة اعشار الاهالي من نساء ورجال يلبسون
القطن وكلهم يجعلون منه بنطلونات واسعة فاذا اغبرنا ذلك
مع ما يستهلكه كل شخص من جهات الدنيا غيرهم يمكن
ان نحكم بان قدر القطن المصنوع في ورش الصين والوارد
من الخارج يقرب من سبعمائة وخمسين مليوناً كيلوجراما اي

قدر ما يستهلكه اهل اوروبا بنامها والايمازوني من
الامريكا

والى الان لا يعلم قدر ما تستهلكه اهل الهند بالضبط بل
اختلف فيه المؤلفون وقدر لكل شخص من المائة والخمسين
مليوناً من الاهالي عشريورات انكليزية وبناء على ذلك جعل
اللازم لهم من القطن ألفاً وخمسمائة مليون ليوره في
خصوص الكسوة ونحوها خلاف الاشياء التي تصنع منه
ثم ان وجود القطن في الازمان القديمة بمجرات امريكا
لا شك فيه والدليل على ذلك ان اكفان الموتى الذين اخرجوا
من قبورهم كانت من القطن

ولما استكشف كرسنوف كلومب الامريكا وجد اهلها لابسين
من اقمشة القطن ولما استكشف الشهير فيرناند كورتيز ارض
المكسيك وجده مزروعاً بها وارسل الى الملك شرككان هدية
من اقمشتهم منه وكانت مناديل وثياباً ملونة باجل الالوان
متقنة الصنعة والصبغة وقد قيل انه كان يصنع بهذه البقعة
ورق الكتابة من القطن في سالف الازمان وكذلك كان القطن
معروفاً عند اهالي بربيزيليا كما اشار الى ذلك ماجيلان الملاح عند
استكشافه البغاز المسي باسمه ووجد السياحون شجرة القطن نابتة
بنفسها بشواطئ نهر الميسيسيبي

فقال الشيخ وقد وقع لي بعض رسائل في هذا المعنى فرايت

فيها ان هذه الشجرة كانت معروفة ببلاد الاندلس ايام كانت في يد المسلمين وانها كانت تزرع في جهات كثيرة منها وكان لنسجه معامل في مدن عديدة منها كغرناطة وكوردو وغيرها وكانت الاقمشة الاندلسية تساوي الشامية وربما فاقتها في الجودة وحيث كانت الاندلس من اوروبا فلا بد ان الاوروباوين انما اخذوا منافع هذه الشجرة عن الاندلسيين وقد سمعنا من ساحل بافريقية الداخلية وبلاد الحبشة ان القطن ينبت في ارضهم بنفسه

فقال الخواجا ان ذلك حق فان السباحين كتبوه وذكروا انه يوجد بالسواحل القريبة من افريقه مثل ارض السينجال وعنام وغيرها

واما وجوده في اوروبا فكان في اواخر القرن العاشر وكانوا قد اخذوه عن العرب ولكن كان غير مستعمل بسبب اوهام دنيئة كانت تدخلها المصارى على الناس لكرهتهم في دين من نشر زراعته

واول ظهور معامل نسجه كان في اواخر القرن الرابع عشر من الميلاد ببلاد ايتاليا واول من نقل منه الى بلاد الانكليز تجار البندقانيين

وفي سنة الف واربعائة وثلاثين ابتدا ظهور اقمشته ببلاد الانكليز ورغبت فيه الناس وكثرت معاملته من حيثذ الى سنة

الف وستائة واثنين وخمسين كان لا يلبسه شعر الخدم والرعاة
والى سنة الف وسبعائة وثلاثة وسبعين كانوا يجعلون منسوجاتهم
قيامها من الكتان واللحمة من القطن ومع ذلك لم يكثر
كثرة عظيمة الا من وقت ورود محصول امريكا الى
بلاد الانكليز

وما يستغرب من امر القطن ان اول من زرعه بكثرة بامريكا
للتجارة قوم مهاجرون من اورونا استوطنوا راس فيار من ارض
الغلوريد ولما رأَت الاهالي شياحه اخذوا يزرعونها واكثروا منه
شيئا فشيئا الى ان صار اساس الزراعة بامريكا الجنوبية والشمالية
واولا كانوا يزرعونها خطوطا متباعدة ثم رآوا ان التقارب يفيد
محصولا اكثر فصاروا يقرنون الخطوط من بعضها ويمدونه فزاد
المحصول وحسن الزرع ومكثوا زمنا يفضلون في نقاويه البذر
المجرد عن الوبر ثم اتضح لهم من تجارب عديدة ان البذر المكسو
بالوبر اكثر محصولا واجود لانه اكثر شسرا واسمرا بذرا فمن
ذلك انهد صاروا لا يستعملون الا البذر المكسو بالوبر ثم تحصلوا
على نوع منه طويل الشعر ذي صلابة ونعومة فوجدوه اجود
انواعه لان شعره يتصل بعضه ببعض في النسيج بسهولة ويسر
تدقيق غزله الى الغاية المطلوبة وقد تحصلوا من نصف كيلوجرام
من قطن السيلان على قتلة رقيقة جدا بلغ طولها قريبا من ثمانين
فرسخا وقطن مصر من هذا الجنس الطويل الشعر والذي جلب

لهم بذره رجل فرنساوي اسمه جوميل سنة ١٨٢٠ بامر المرحوم محمد علي باشا فأتى به من دنقلا ببلاد النوبة ثم جلب بذراً من الجويرجي من أمريكا من قطن يسمى بقطن سيا اسلنداي قطن الجزائر (وقد حرفتم الكلمة وقلتم سيلان) وهو احسن الموجود المرغوب فيه كثيراً بالفوريات واذلك تزيد قيمته على غيره بنحو الربع بل اكثر

فقال الشيخ انواع القطن بمصر كثيرة مختلفة لونا وحجبا فنه الاسمر والابيض والاصفر والاهالي لا تفرق بينها بل كل يبذر بارضه ما تيسر له من غير تحرر ولكن الان ابتداء ان يميزوا بين الانواع وتنبهوا لزرع السيلان وكثير منهم لا يزرع الا ما لبذره ورا لما راوا من فائدته وتركوا البذر الاسود لانه قليل المحصول وسمعت من بعض الناس ان القنطار من ذي البذر الاسود اذا حلج يخرج منه تسع كيلات بذراً ومن ذي الوبرخس ووزن البذر الثلثان والشعر الثلث

فقال الخوجا ان الوان الاقطان اللابئة بسواحل الكارولين الجنوبية والجويرجي تميل الى الصفرة بخلاف النبات داخل ارض تلك الجهات فانه ابيض ناصع واقل من الاول جودة لقلة صلابته فلا يتحصل منه على الغزل الدقيق ولون اقطان الهند يقرب من لون الزبدة الطرية واما اقطان الجهات المشرقية كقطن بنغال ومدراس وازمير ورودس وسالزنيك فضعيفة اللون باهتة وقد

حللوا ببلاد الانكليز تراب عود القطن وبعد حرقه وجدوا في
 المائة جزء اربعة وستين جزءاً من المواد القابلة للتذوب في الماء
 وهي ٤٤ و ٨٨ كربونات البوتاسه وعشر اجزاء موريات البوتاسه
 وتسعة اجزاء سلفات البوتاسه ووجدوا الباقي وهو ستة وثلاثون
 جزءاً لا تذوب في الماء وهي تسعة من فوسفات الجير واحد
 عشر كربونات الجير وثمانية عشر فوسفات المغنيزيا وثلاثة اجزاء
 بروتو اكسيد الحديد والباقي من الشبّ وبناءً على هذا التحليل
 يظهر سبب جودة خواصه في سواحل الجزائر المحنطة بالبحر الملح
 وفي بعض الجزائر يسمونه بالطين المخرج من قاع البرك المالحه
 كالطين الذي يخرج من قاع بركة المنزلة مثلاً وفي جهة الكارولين
 يستعملون في السباخ الجيراو الطين الذي يرسب في قرار البرك
 والمخجان بعد نضوب مائها

فقال الشيخ الاهالي عندنا كانوا لا يعرفون امر تسيخه والان
 عرفوه واستعملوا لذلك اتربة التلال القديمة وما يخرج من تحت
 البهائم وحققة وجدوا تسيخه فائدة عظيمة

ثم قال الخواجا وشجرة القطن تعيش في الهند اربع سنين او
 خمسا وفي الايتازوني سنة واحدة وابتداء جنيه اول شهر سبتمبر
 ويستمر الى اخر السنة فاذا جاء الثلج مات لوزه وكلما قلت صعوبة
 الشتاء وقصر زمنه كان محصول القطن كثيراً واذا فتح اللوز رايت
 كأن الارض مستورة بثوب ابيض والعبيد هم الذين يجمعونه من

روءوس اشجاره فيشتغلون من الصباح الى المساء ويرخص لهم في ترك الشغل ساعة وقت الزوال للاستراحة والاكل وذلك في غير وقت الصيف ففيه يرخص بساعتين ويرخص لهم ايضاً بالذهاب الى منازلهم لياكلوا فيها ويعطى لكل عبد مقدار من الذرة او من الارز ومقدار من العسل والسمك ولحم الخنزير ويؤذن لهم في اخذ بعض فواكه من الاشجار ومدة بذره تستمر من اول شهر مايو الى نصفه وبعد تمام زرعه يشتغل العبيد ايضاً بتنقيته من الحشائش الغريبة والسفل عندهم بالمطوعة ويعطى لكل عبد قطعة ارض يزرعها ما شاء ويتفع بما يخرج منها اما ببيعه لسيده او انه يرعى فيه ماشيته وفراخه وما اشبه ذلك ومن ذا يتحصل العبد على بعض دراهم يشتري منها ملابسه وما يلزم له فجميع اشغال القطن على العبيد فلذا يبتنون العبيد بكثرة فقد يجمع عند بعضهم نحو الفى عبد فتراهم عند توجههم الى الشغل يكونون فرقاً الفرقة عشرون عبداً او عشرة وعلى كل فرقة رئيس منهم او من غيرهم فان كان منهم كان شديد القسوة ويخافونه والمفروض على الرجل منهم في كل يوم ان يجمع مائتي ليورا وعلى كل صبي من ثلاثين ليورا الى اربعين وكل ما جمع يوضع بالمخزن عند غروب الشمس

وكان الناس في مبداء الامر يفصلون الشعر من البذر بايدهم فكان الشخص الواحد يفصل في اليوم ليورا واحدة من الشعر ووزن البذر ثلثا وزن الاصل

ولما رأوا صعوبة ذلك اخترعوا دواليب المحلجة وبها تمكن الرجل ان يبلج في اليوم الواحد ثلاثين كيلوجرام ثم اخترعت الات تدور بالحيوان او بالماء فصار يحصل بواسطة ثلاثة اشخاص اربعمائة وخمسون كيلوجرام في اليوم الواحد ثم في سنة ١٧٦٣ اخترعت الات احسن من تلك واستعملت الى الان في جميع امريكا الجنوبية

وبعد انفصال الحب من الشعريتنون الشعر مما خالطه من الاجسام الغريبة بنتفه في دواليب اسطوانية تدور بسرعة ثم يكبسونه بمكابس في اكياس تجعل بالات وينقلونه في مراكب بنهر الميسيسيبي الى اورليان الجديدة وهناك كل من له شيء يضع عليه اسمه وثمرته وهكذا فمن يرى المدينة من بعد يراها كأنها مدينة من القطن مقسومة حارات ممتدة مسافة عظيمة

وقد علم من دفاتر الاحصاء ان قدر العبوات المتحصلة من زراعة جهات الجنوب كل سنة خمسة ملايين بالة فقال الشيخ هل يمكن معرفة مقدار القطن المتحصل من كل بقاع الارض

فقال الخواجا يوءخذ من دفاتر الاحصاء سنة ١٨٥٨ ميلادية انه تحصل ١١٤٠٠٠٠٠ بالة ووزن البالة يختلف من مائة وثمانية وستين كيلوجرام الى مائة وسبعين اي وزن محصول سنة ١٨٥٨ كان ١٩٣٦ مليوناً و ٦٧٥ الف كيلوجرام وبيان

محمصول	كيلوجرام
الايثاروفي	٥٨٨٠٠٠٠٠٠
البريزل	٣٣٠٠٠٠٠٠٠
جهات من امريكا الجنوبية	٩٠٠٠٠٠٠٠
الهند الشرقي	٤٢١٠٠٠٠٠٠
بلاد الصين وبلاد سيام	٧٥٠٠٠٠٠٠٠
بلاد مصر	٢٩٤٥٠٠٠٠٠
بلاد الجزائر	١٨٠٠٠٠٠
سياراليونا من افريقيا	٤٥٠٠٠
بلاد التركستان والقرني	٥٠٠٠٠٠٠٠
جهات من افريقيا	٣٠٠٠٠٠٠٠٠
اوروبا الجنوبية	٦٠٠٠٠٠٠٠٠
كيلوجرام	١٩٣٦٦٧٥٠٠٠

واول ظهور قطن امريكا ببلاد الانكليز كان في سنة ١٥٦٩
 واكثر من اشتغل به اهل مدينة منشستر في المركز العمومي لصناعة
 القطن وتجارته في جميع بلاد الانكليز وبعد ان كان عدد اهلها
 في القرن السابع عشرين الف نفس اتسعت حتى بلغ اهلها الان
 زيادة عن اربعمائة الف نفس وابتداء صناعة القطن بها سنة ١٧٨٩
 ايام ثورة الفرنسيين الاولى ومن ذاك العهد اخذ يظهر في المدن
 المجاورة وفي مدة قليلة كثرت ورشه وصارت تلك البلاد مدنا

عظيمة بعد ان كانت قرى صغيرة لا يلتفت اليها وبلغ اهلها من
الثروة اعلى درجة وفي مبداء الامر كانت انواله متفرقة في جهات
كثيرة وكان كل صاحب نول يشتري لنفسه ويتجر بمصنوعه فكان
يحصل لهم تعطيل وضياح اوقات فتبقت اهالي منشستر الى ذلك
وتحلبت حتى اخذكرته وصار فيها الان نحو مائتي ورشة ندور كلها
بالبخار وعدد الشغالة يبلغ الفا وخمسمائة نفس في الورشة الواحدة
ويوجد غير ذلك مائتا ورشة للغزل فقط وهذا غير ورش كثيرة
بالضواحي ولو حصرنا الورش الموجودة في المدينة وضواحيها مع
جميع الورش المختصة بالغزل والحياكة في جميع بلاد الانكليز
لوجدنا الثلاثة الاخماس لهذه المدينة وتبحصل من اثمان ما يصنع
فيها ويوزع على جميع الجهات والاقاليم نحو الف مليون من
الفرنكات كل سنة ومقدار ما يدخل في ورشها من القطن السعر
كل سنة مائتا الف طن اي اربعة ملايين واربعائة الف قنطار
مصري وجميع ذلك وارد من مدينة ليوربول لانها المينا العمومية
لهذا الصنف وكانت الورش في بادى الامر تدور بالحيوان ثم
كثرت الاختراعات لتسهيل صنعته ولم توجد الوابورات الا سنة
١٨٢٠ وسنة ١٨٢٢ فتاب الوابور مناب الآلات القديمة جميعها
وقبل كثرة زراعته بامريكا كان يرد لمعامل اوروبا من الهند التابع
للانكليز ومن الاندلس ومن نابولي من ايطاليا ومن المرتينيك
وغوادياوب التابعين لفرنسا وقبل قليل كان يجلب من جزيرة صقلية

وبعد اشتهاره بأمريكا تركت أكثر هذه البلاد زرعه لكثرة تكاليفه
ورخص الوارد من أمريكا لقلة المصروف عندهم لان عبيدهم تشتغل
تقريباً بلا اجرة والجهات التي تزرعه الان الهند الانكليزي ومصر
والدول الأجنبية من أمريكا وجهات من بلاد المشرق

فقال الشيخ على حسب ما نسمع ببلادنا ان أكثر القمشة
الواردة اليها ولسائر جهات الدنيا هو من ورش الانكليز وجزء
قليل من ورش الدول الأوروبية وذلك يقتضي ان يكون
عدد الورش بملك المملكة والشغالة بها شيئاً كثيراً جداً

فقال الخوجا قد استحوذ الانكليز على جميع انواع التجارة لا
سواء تجارة القطن ففي سنة ١٨٥٠ حرر كشف بأمر البرلامنتواضع
منه ان الورش بالمملكة كانت ألفاً وتسعمائة والشغالة ٢٢١ ألف
شخص وان ما يرد لهذه الورش من قطن الشعر ٢٧٧ مليون
كيلوجرام ويخرج منها قمشة وشغل ٢٤٧ مليون كيلوجرام يباع
منه على البلاد الأجنبية ١٧٤ مليون كيلوجرام ويستهلك في
داخل البلد على الاهالي ٧٣ مليوناً باعتبار ان كل شخص يستهلك
كيلوغرامين ونصفاً وفي تلك الارمنة كان جميع ما يخرج من بلاد
أوروبا لا يعدل عشر ما يخرج من بلاد الانكليز فكان ما يخرج
من بلاد فرنسا ستة ملايين كيلو ومن بلاد السويس سبعة ملايين
ومن باقي أوروبا مليونين فقط ومع ذلك فلم تنف الانكليز عنده
بل اجتهدت كل الاجتهاد حتى صار عدد الورش سنة ١٨٥٦

الفين ومائتين وعشرة وكانت القوة المستعملة في ادارتها ٩٧ الفا و ١٢٢ حصانا منها بالجوار ٨٨ الفا وبالماء ٩١٢٢ وهذه القوة تعادل مليوناً ونصفاً من الرجال وقد بلغ عدد الشغالة بالورش في تلك المدة ٢٨٠ الف نفس نساءً ورجالاً صغاراً وكباراً والمشتغلون بتجارته بأنواعها ببلاد الانكليز يقربون من مليونين اي جزء من أربعة عشر جزءاً من الامة الانكليزية وما من يوم الا وتظهر ورش جديدة ويزيد ما يصنع بها ومن ثم ترى الاجتهاد متزايداً في جلب القطن الشعر الى الورش ففي سنة ١٨٥٧ بلغ الوارد لها اربعمائة مليون كيلو غرام صاع منه ٢٦١ مليوناً قمشة وخرج منه غزل ٨٥ مليوناً والباقي وهو ١٨٤ مليوناً صنع شيتا وغيره وخرج للتجارة واستهلك في البلد ٩٢ مليوناً وتحصل من ذلك ١٤٢٨ مليون فرنك وقدّر بعض العارفين قيمة جميع ما صنع من القطن ببلاد الانكليز سنة ١٨٥٦ بنحو ٦٥ مليون جنيه يخرج منها قيمة القطن الخام المشتري اربعة وعشرون مليوناً فيبقى للربح والمصاريف نحو اربعين مليوناً وقد قارن بعض المهندسين بين عمل الآلات والادمي فوجد انه لو بقي الامر في صناعة القطن على عمل الرجال للزم لذلك واحد وتسعون مليوناً من الرجال وذلك قدر اهالي فرنسا والبروسيا والنمسا واحصى بعض المؤرخين جميع ما يصنع من القطن بمجھات اوروبا فوجد ما يصنع منه ببلاد الانكليز مليون ونصف مليون بالة وفي فرنسا ٢٣٦ الف بالة

وفي بلاد الفلمنك وبلجيكا ٥٩ ألف بالة وفي باقي بلاد أوروبا
 ١٤٧ ألف بالة وفي ألمانيا ٢٤٩ ألفا وفي الروسية ١٢٠ ألف بالة
 فجميع بلاد أوروبا لم تصنع الا ثلاثة اخماس ما تصنع بلاد الانكليز
 وفي سنة ٥٧ كان مصنع بلاد الانكليز ضعفي مصنع
 جميع بلاد أوروبا تقريبا لانه كان الوارد في هذه السنة الى جميع
 بلاد أوروبا من جميع الجهات قريبا من ثلاثة ملايين من بالات
 قطن الشعير وفي السنة المذكورة كان محصول الاتيازوني وحدها
 ثلاثة ملايين من البالات نصفه يسافر الى الانكليز والربع يبقى
 في البلد يصنع في فوريقاتها والربع يوزع على سائر جهات الدنيا وقد
 امعن بعض المؤرخين النظر فيما يرد للانكليز من بلاد الاتيازوني
 فوجده آخذاً في التقص عندهم وفي الزيادة في باقي الجهات مثلاً
 وجد متوسط الداخل الى بلاد الانكليز في مسافة سنتين من ابتداء
 سنة سبعة وعشرين ٥٩٦ جزءاً من ألف من محصول الاتيازوني
 والموزع على الدنيا جميعها اربعمائة واربعة اجزاء من ألف وفي السنين
 الخمس التالية الى سنة ٢٨ كان وارد الانكليز ٥٦ والموزع على الدنيا
 ٤٣٥ وفي السنين الخمس كان وارد الانكليز ٥٣٨ والموزع على
 الدنيا ٤٦٢ ومن سنة ٤٥ الى سنة ١٨٥٠ كان وارد الانكليز
 ٥٠٦ والموزع على الدنيا ٤٩٤ ثم من سنة ٤٨ الى
 سنة ٥٠ كان داخل الانكليز ٤٨٧ والموزع على الدنيا
 ٥١٢ فيعلم من ذلك ان صناعة القطن اخذت في التقدم في

جميع جهات الدنيا وقد نسبوا الوارد من القطن لفرانسا الى الوارد منه الى الانكليز فوجدوا النسبة بينها كسبة مائة الى ٤٧٩ ونسبوا ما تصنعه الايتازوني في ورشها الى ما يصنع في ورش فرانسا فوجدوه كسبة ١٧٢ الى ١٠٠ ونسبة المستهلك في ورش الانكليز الى المصنوع في ورش الايتازوني من محصول تلك البلاد كسبة ٢٧٢ الى ١٠ ونسبة المصنوع في الايتازوني الى المصنوع في اوروبا كسبة ١٠٠ الى ٤٥٢ ومن سنة ٥٠ الى ٥٧ ورد ثلثا محصول الايتازوني الى الانكليز والثلث لجميع جهات اوروبا منه الى فرانسا ثلثه وثلثاه لباقي اوروبا ومن تامل حركة الورش وقوتها ببلاد الانكليز حكم بان في قدرتها ان تكفي جميع اهل الدنيا وليس في طوق دولة من الدول مشاركتها في تجارة هذا الصنف وصناعته لانها باستعداد ورشها وكثرة مراكبها وقوة الاتحاف يمكن لها ان تنقص السعر حتى لا تجاسر دولة على معارقاتها مع ان مدة الشغل عندهم عشرين ساعات ونصف بخلافها في الدول الاخر فانها اثنتا عشرة ساعة بل ثلاثة عشر وفي سنة ١٨٥١ كان قدر المصنوع من القطن باوروبا والايتازوني ٤٨٥ مليون كيلو وقيمة ذلك بلغت ثلاثة الاف مليون فرنك فزاد قدر المشغول سنة ٥٧ حتى بلغ سبعمئة وخمسين مليونا وبلغت قيمته اربعة الاف مليون من الفرنكات من ذلك قيمة القطن الخام ثمانمئة مليون من الفرنك وقدر

ربا المال المنصرف ثلثائة مليون فيبقى للارباح والاجر المتنوعة
٢٩٥٠ مليوناً من الفرنك

ومقدار الشغالة بورش اوروبا والايمازوني ١٢٥٠٠٠٠
نفس وباعتبار اجرة الشخص في السنة الواحدة خمسمائة فرنك
يكون المدفوع للشغالة كل سنة ٦٢٥ مليوناً من الفرنك
ومن حين انتشار هذه النبائة والتفات الناس اليها قل
زرع الكتان والتيل وصار اغلب الملابس والفرش منها بواسطة
الالات المخترعة للغزل والنسيج حتى وصل سعرها الى قيمة واهية
ولذلك تمكن الفقير من شرا ما يقيه البرد بادنى القيمة وانتفع بذلك
عموم الناس لانا نعلم في التاريخ انه في سنة ١٨١٦ كانت قيمة
الكيلو ١٢ فرنكاً وفي سنة ١٨٢٤ نزلت الى ستة فرنكات ثم في
سنة ١٨٥١ نزلت الى ثلاثة فرحم الله من عرف الناس بشجرة
القطن ومن علمهم زرعها وصناعتها وعلى الاوروبا ويين ان
يشكروا فضل العرب اثناء الليل واطراف النهار فانهم هم
الذين تقلوهم من خشونتهم الى السعادة التي هم فيها الان



المسامرة (١٢٠)

الثمار

ومن حقق النظر في الأشجار والنباتات المغروسة في هذا
 البستان وجد أكثرها انما وصل الى هنا من بلاد العرب او من
 بلاد المشرق بواسطة السياحين مثلاً شجرة البرقوق هذه
 اصلها من الشام من ارض دمشق وقد تكلم عليها بلين المؤرخ
 فذكر ان اول دخولها في ايطاليا كان زمن قاطون وانها باوروبا
 انواع منها الاصفر والاخضر وما بعضه اصفر وبعضه احمر وتارة
 تكون كروية وتارة مستطيلة وتوكل طرية وناشفة ويسمونها
 القراصية وهي تجارة عظيمة لجهات كثيرة من ارض فرانس وكذلك
 شجرة الكريز المعتدلة القد الملساء الجلد واردة من جهة سيرازونه

من الشام الى رومه ايام القيصر لوكولوس قبل المسيح بثمان وستين سنة وانتشرت في ظرف خمس وعشرين سنة بجميع جهات اوروبا وانتقلت من ايتاليا حتى وصلت جزيرة الانكليز الباردة والان يوجد منها انواع كثيرة وعند اثمارها تجد عناقيدها مدلاة نحو الارض نابتة من جذور الاوراق تجذب اعين الناظرين بلطيف لونها ومنها نوع عظيم الساق يبلغ في الطول عشرة امتار عناقيده سود ويستخرج منه شراب الكرز وشجرة اللوز الموجودة في جميع جهات اوروبا اصلها من بلاد افريقيا ومنها المحلو والمربوب ويستخرج منها دهن اللوز وهي مغذية ومبردة وتدخل في الطب ويوجد دهن اللوز بجميع الاجزائات واما شجرة الخوخ فاصلها من بلاد الفرس ويوجد منها ثلاثة انواع نوعان على ثمرها وبرة خفيفة والثالث لا وبر على ثمر واخذنا من الارمن شجر المشمش

واما شجر التفاح والكمثرى والسفرجل والمشملا فهي تنبت بطبيعتها في بلادنا وليست محنلة من الجهات ومن التفاح نوع حريف الطعم يستعمل في بعض جهات فرانس بدل العنب ويستخرج منه شراب يسد مسد النيذ ومن الكمثرى انواع كثيرة منها نوع يستخرج منه الشراب والسفرجل اصله من جزيرة بريد وهذه الشجرة الصغيرة المسماة بالقشطة واردة من امريكا الجنوبية والتين من البلاد المشرقية وكان ابتداء وروده في الجهات الجنوبية من فرانس قبل

المسيح بستائة سنة والذي غرسه هم الفينيقيون حين توطنوا مرسلينا
ثم تنوع انواعاً كثيرة ويؤكل اخضر وناشفاً والتجار يرسلونه الى
جميع جهات الدنيا واصل شجرة البرنقال هذه من الصين والهند
وهو انواع كثيرة ومنها اليوسف افندي ويزرع في الاندلس من
زمن مديد وغالب هذه الخضر اوراق وهذه الرياحين الزكية نقلها
السياحون الى اوروبا الا انهم تفننوا هنا في زرعها حتى كثرت
انواعها

المسامرة (١٢١)

العنب

واعظم الشجر عندنا نفعاً والذو طعماً شجرة العنب هذه ومنبتها
الحقيقي بلاد المجرستان نبت فيها بالطبيعة في صخور الجبال

الشائعة مثل جبال القوقاز وجبال ارارات وجبال توروس، وهو الآن يزرع في غالب اقطار الدنيا ولكن منه ما يزرع للتفكه رطباً ومنه ما يجفف واغلب جهات اوروبا وامريكا وبعض الجزائر يستخرجون منه النبيذ والمشروبات الروحية وليست خواص النبيذ واحدة بل متفاوتة طعماً ورائحة وتأثيراً على حسب الارض والهواء وكيفية زرعه وعصره وقدر الارض المشغولة بزرعه في فرنسا مليونان هيكتاراً وهو عبارة عن خمسة ملايين فدان مصري وبحسب الرغبة في النبيذ الفرنسي رغبات الاهالي في زيادة زرع العنب واتسعت متاجره حتى سار الى جميع بقاع الارض وقدر ما يتحصل من عصير المزروع منه بفرنسا يبلغ ستة واربعين مليوناً هيكتولتر (مائة لتر) من النبيذ الاحمر والابيض ومليون وربع من العرقى وكل ذلك قيمته تبلغ اربعمائة وستة وسبعين مليوناً من الفرنك وبهذا السبب تعد مملكة فرنسا اول مملكة بالنسبة لزرعه ويوجد منه ببلاد الاندلس والبرتغال وايطاليا انواع مقبولة عالية الاثمان ولكن نبيذها العادي لا يفوق النبيذ العادي الفرنسي وفي بلاد النمسا والمانيا والموسكو والفلمنك وامريكا يزرع العنب ويستخرج منه النبيذ غير ان الزائد عن لزوم الاهالي قليل جداً وفي هذه الايام الاخيرة صار تجربة زرعه في جهات الجزائر فنجح نجاحاً تاماً فاتسعت زراعته وحصل لزرعه ارباح عظيمة خصوصاً لما ظهر لم في نبيذه من الخواص الجيدة فلذا ترى اهل اوروبا وغيرهم يرغبون فيه

وعملیات استخراجہ اربع الاولی تقطیع العنب قطعاً صغيرة ثم یعصر بین اسطوانتین من حديد تدور کل منها علی الاخری والعملية الثانية تصفية المائع الخارج وذلك بعد تركه ثمانية ایام حتی یتخمر ثم یصفى فی برامیل ولا یملأ البرمیل بل یوضع فیہ الى نحو اربعة اخماسه ویترك حتی یصفو ویرسب ثقله وهذه العملية تكون فی شهری مايو وابريل وربما استعانوا علی کمال صفائه بقليل من الدم او بیاض البیض هذا هو النبیذ الجاری بیعه بین الناس سواء کان ایضاً او احمر والنبیذ الایض یتحصل من الاحمر ولا تختلف طرق عمله الا بفصل المائع عن التفل فی اول الامر وقت الدوس ولا یترك لیتخمر معه بل یجری تخمیره وحده فیکون ایض لان المادۃ الملونة لیست حینئذ فی العصارة وكذلك النبیذ المعروف بالشبانية وانبذة اخرى یحصل عند فتح قارورتها قرقة فطرق استخراجها کما وصفنا مع اختلاف قليل وانما عند ملء القارورات یضعون فی کل قارورة قطعة من السكر البانای ثم یحکمون سدادها فیتخمر بالسكر بعد عدة اشهر ویزید النبیذ جودة ویمحدث منه فی القارورة جزء کبیر من غاز الكربون فهذا هو سبب الفرقة الی تسمع وعلی انواعه واغلاها ما عصر بعد التذیب والجفاف لانه بذلک یقل ماؤه وتکثر مادته السكرية

المسامرة (١٢٢)

شراب التفاح والكمثري

وطريقة استخراج شراب التفاح تقرب من طريق استخراج
 نبيذ العنب وأكثر استعماله في البلاد التي لا ينبت بارضها العنب
 ويغلو فيها سعر النبيذ وكان العرب مدة اقامتهم بالاندلس يستخرجونه
 فتعلمه منهم سكان المديرية المجاورة لهم من فرانساً مثل اهالي توار
 وغيرهم وقال بعضهم انه كان معروفا من زمن قديم وفي بعض
 الكتب ان الملكة رادغوند ملكة فرانساً كانت تشربه دائماً وكانت
 في القرن السادس من الميلاد والمحقق انه لم يظهر بمجھات النورماندي
 في فرانساً الا في القرن الرابع عشر وكان مشروبهم قبل ذلك البيرا

فلما قام مقامها شربه غالب اهل فرانسا ومنها وصل الى الالمانيين والانكليز والروس وامريكا حتى بلغ مقدار المستخرج منه في السنة الواحدة ثمانية ملايين هيكتولتر وقيمة ذلك ستون مليوناً من الفرنك وانواع التفاح المستعمل في ذلك ثلاثة الحلو السكري والحامض والغض وهو الذي يستخرج منه احسن الاشربة ويبقى زمناً بخلاف المستخرج من النوعين الاخرين فانه لذيد الطعم ولكنه قليل البقا وليس في عمل هذا الشراب صعوبة فانه بعد جمع التفاح يترك نحو ستة اسابيع حتى يتم نضجه وتكثر مادته السكرية ثم يهرس في مھاريس كبيرة ثم يوضع في الهواء كبانا اربعا وعشرين ساعة فيكسبه الهواء اللون الكهربائي ثم يعصر ويوضع في براميل قائمة يخمر فيها ويخلص من المواد الباقية فيه فبعضها يرسب في القاع لثقله وبعضها يعوم على السطح لحفته فاذا خلص من ثقله صبّوه من حنفيات في براميل ليتم تخميره فيها ثم يستعمل

ومن الشراب ما يستخرج من الكمثرى واستخراجه كالذي قبله الا انه يبقى له لون البياض الحاصل من عصر المواد بعد هرسها من دون تعريضها للهواء وهذا الشراب كلما عتق كان اشد اسكاراً من جميع الانبذة

واما المشروبات الالكولية مثل العرقي والكونياك والكروش والجبن فتستخرج من التبيذ والسكر والبنجر (اي الشمندور) ونحو ذلك ويستخرج منها انواع اخر من المشروبات ولا حاجة لنا الى

شيء من ذلك لأنها تمنعنا عن الاطلاع على باقي ما هو في هذا
البستان من انواع النباتات الغريبة وايضا فمعرفة عمل المشروبات
الروحية لا تخصكم في شيء

فقال الشيخ لا يلزم من العلم بالشيء استعماله ولا يخفى عليكم
قولهم العلم بالشيء ولا الجهل به فحيث تكلمتم على كيفية استخراج النبيذ
فلا بأس بشرح عمل الالكول ونحوه

المقامة (١٢٤)
الكول

فقال الخواجا الالكول مائع يوجد في تركيب السكر ويخلص
منه بالتخمير مثلاً لو اذبننا قطعة سكر في قدح واضفنا اليها بعض

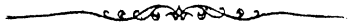
شيء من خمرة البوزة ثم تركاه في مكان درجة حرارته ٢٠ او ٢٥ او في الشمس مدة قليلة رأينا المائع قد اضطرب وتصاد منه غاز يكون قليلاً في اول الامر ثم يزداد شيئاً فشيئاً ثم ينقطع بعد عدة ايام فاذا صفى وركز حتى يهدأ وذقناه فاننا نجد الطعم طعم الشراب والرائحة رائحة النبيذ ولا نجد للسكر اثرأ فلو قطرناه بالانبيق لتحصلنا منه على مائع طيار ولا لون له يقبل الالتهاب فهذا هو الالكول وهو يستخرج من كل ما فيه مادة سكرية كعصارة العنب والتفاح والكمثرى والكريز ونحو ذلك وهذه لا تحتاج لوضع خمرة فيها لان في ضمن تركيبها مادة ازوتية متى مسها الهواء انقلبت الى خمرة وتحللت المادة السكرية التي في العصارة الى الالكول واذا تقطر النبيذ او البوزة او نحوهما من الانبذة يتحصل مائع يختلف فيه كمية الالكول بكثرة الماء وقلته فان قطرناه مرة ثانية قلت كمية الماء وزادت كمية الالكول وهكذا

وللمشروبات الروحية اسماء مختلفة في التجارة بحسب مقدار الالكول الموجود فيها فما كان الكوله النصف او اقل قيل له عرفي وما كان الكوله اكثر قيل له روح فالعربي عبارة عن ماء ممزوج بالالكول والالكول الخالص هو المجرد عن الماء بالكلية ولا يتحصل عليه الا بعد تقاطير عديدة وهو عديم اللون اكثر ميوعة من الماء يلتهب منه الفم رائحته لطيفة ولهبه باهت ضعيف
الضوء

وانواع العرقى وخواصه تختلف باختلاف المادة المستخرج من
عصارتها واحسنه المستخرج من عسل القصب او العنب او الكريز
واقل منه جودة المستخرج من التفاح او الكمثرى او المحبوب وقيمة
العرقى تختلف باختلاف درجة الالكول وتتميز هذه الدرجات في
التجارة باستعمال آلة بسيطة عبارة عن قضيب من الزجاج عليه
علامات وارقام اولها الصفر واخرها مائة وفي اسفله كرة من الزجاج
فيها زئبق فاذا اريد معرفة مقدار ما في المائع الروحي من الالكول
فتغمس الالة في المائع وتترك فتقف عند درجة من الدرجات
التي في القضيب فان وقفت عند رقم من هذه الارقام علم ان المائة
جزء من المائع تشتمل على اجزاء من الالكول بقدر ذلك العدد
وهذا في الحجم لا في الوزن وان الباقي ماء عادي وتلك الالة تسمى
مقياس الالكول وعند الفرغ تسمى الكولومتر ولجل تقسيمه غمسوه
اولاً في الالكول الخالص من الماء ورقموا عليه عدداً مائة ثم غمسوه
في مائعات درجاتها اقل بخمسة ثم بعشرة ثم بخمسة عشر وهكذا
فعرفوا درجة ٩٥ و ٩٠ و ٨٥ و ٨٠ و ٧٥ و ٧٠ وهكذا

ويقال ان اختراع المشروبات الروحية كان من الملك لويز
الرابع عشر عند هرمه لاجل اتعاشه وعود قوته وجميعها عبارة
عن عرقى سكري مختلط بمواد عطرية مثلاً الماء الذي تسميه الفرغ
ايزيت هو عبارة عن الكوئل وماء وسكر يتقع فيه من غصون هذه
النباتة الصغيرة التي اصلها على ما يقال من مصر وتخرج في ايتاليا

وتزرع الآن في جهة من فرانسما وما يسمونه كاسيس هو عرقى
وسكر وفاكهة ويصنع ايضاً شراب يدخله نوى المشمش او الخوخ
او البرقوق والشراب المعروف بشارب الكورانا يوخذ من عرقى
قديم ويوضع فيه قشر برتقان مع اضافة مقدار من السكر اليه
وشراب الابسنت حاصل من جعل زهر الشيبة او ورقها في
الالكول ثمانية ايام ويضاف الى ذلك لاجل التقطير حب
الانيسون او غيره وهو من السميات يقتل عند الاكثار منه



المعامرة (١٣٤)

الموزة او (البيرا)

واما البوزة (البيرا) فقد اتفق المؤرخون على ان المخترع لها
في الزمن القديم المصريون وقيل ان اول استعمالها كان بمدينة

يلون المعروفة عندكم بالطينة وهي من زمن مديد شراب اهل
الجهات الشمالية من فرانس والانكليز وجميع الممالك الشمالية يستعملونها
كثيراً ومقدار ما يستهلك بلوندره من هذا الصنف كل عام
مائتان وخمسون مليوناً من اللتر وباريز مقدار ذلك اربع عشر
مرة وهي من بين الخمور تشتمل على خاصتين التغذية والتنبيه وقد
امتنعها بعض مشاهير الكيماويين فوجد في كل مائة جزء منها ثمانية
واربعين جزءاً من مادة جامدة مركبة من مواد ليست ازوتية
كالنشا ومن مواد اخرى ازوتية كالتي في الحب المستعمل فيها
فلذلك يحصل لمن يشرب من جيدها غذاء بقدر ما يحصل له من
اكل ثمانية واربعين جراماً من الحبز اي ستة عشر درهماً

وطريقة عملها ان يوضع حب الشعير في حياض مبنية وبوضع
عليه من الماء قدر حجمه اربع مرات ويترك الى ان ينتفخ فينقل من
الماء وبوضع في اماكن فيها هواء درجة حرارتها من خمسة عشر الى
سنة عشر حتى تنبت واحسن الفصول لصنعها فصلاً الخريف
والربيع فما صنع منها فيهما فهو المقبول عند الناس اكثر مما صنع
في غيرها فاذا نبت اخذ وجفف سريعاً كي لا يذهب نشاؤه
ويكون تجفيفه اما بوضعه في الهواء او في محل يمر عليه هواء حار لطيف
ثم اذا تم التجفيف بفرك ويخل نخلًا يفصل به الحب من النبات ثم
يدش دشا خفيفاً وبعد ذلك بوضع في حياض من الخشب بعضها
فوق بعض في كل حوض خرق يصب في الاخر ثم يصب عليه

في الماء فبواسطة تلك الحروق يسهل مرور الماء في المادة وينفصل عنها ولكن في ابتداء العملية تكون الحروق مسدودة ويصب على المادة ماء حرارته ستون درجة مئوية وثقلب وتذلك وتترك حتى تهدأ ثم بعد ذلك يصب عليها ماء حرارته تبلغ تسعين درجة ويصنع بها كما سبق حتى يسخن الجميع وتكون درجة حرارته سبعين او خمسا وسبعين ثم يقلب ويدلك وتغلى الحياض وتترك ثلاث ساعات تقريبا ففيها يكتسب الماء جميع ما يلزم ان يكتسبه من المادة السكرية التي في الشعير فيؤخذ حينئذ ويغلى مع عروق النبات المعروفة بمحشية الدينار واوراقها لتكتسب المرارة والخاصة التي تبقى بها زمنا بدون تغير شيء من صفاتها ثم بعد تلك العملية ينقل المائع الى حياض اخرى ليعوذ فيها ولا يبقى في محله لئلا يتلف ثم توضع عليه الخميرة ويترك زمنا يختلف من اربع وعشرين ساعة الى ثمان واربعين وهذه هي الخميرة الاولى وفي تلك الساعات يظهر على الماء رغوة كثيرة ثم يؤخذ المائع ويوضع في براميل يستمر فيها التخمير ويظهر على الماء رغوة ايضا فاذا اخذت وعصرت يضعونها في كيس وتكون هي الخميرة للبوزة التي تستعملها الفطاطرية والحجازون ويستعملونها في البوزة للتخمير وفي المشروبات المحتاجة للتخمير ولا تكون البوزة نقية رائحة ذات لون لطيف كما يشاهد فيها الا بعملية اخرى وهي ان يضاف من غراء السمك على

المائع فبذلك يحصل بعد مدة رسوب جميع المواد وتصفو المائدة
المائعة الصفاء الذي ترى به عند التجار

المسامرة (١٢٥)

الاشجار والزهور

وعند هذا حضرت الست وابنها فقالت للخوفا أيجوز لك
حرمان الشئ من الاطلاع على ما في هذا البستان من الاشجار

والازهار التي قل ان يجمع مثلها في بستان وحرماننا من الانس
 به ويا ليتك شغلت وقته بالاطلاع على النباتات العطرية والرياحين
 الزكية فانها في جميع حياض البستان من خلفك وامامك وعن
 يمينك وشمالك وكان بيدها صحبة فاهدتها الى الشيخ فقبلها وبعد
 ان تأمل فيها قال حقيق انه لم يكن لنظام هذا البستان نظير
 فاني لم ار فيه شيئين متجاوزين من نوع واحد وارى وضع
 النبات على اصول الهندسة حتى انها حوت من اختلاف اللون
 الازهار المجمعة صحبا مختلفة الشكل والحجر وتوزيعها وسط
 الحياض بين الاشجار وبجافات الطرق كان لها صور ومناظر
 مختلفة باختلاف المواضع التي يقف فيها الناظر وما من صورة
 الا تسر الناظر وينشرح لها الخاطر ثم قال لست واني لاشكر
 فضلك ومعروف حضرة الخواجا لانه حصل لي من مجلسه
 فوائد ما كنت اعلمها قبل وقال لها الخواجا حيث اشرقت هنا
 طلعتك فينبغي لنا ان نتكلم في النبات العطري فقالت ان
 اكثر الورد والنبات الغريب والرياحين في الجهة المقابلة لنا من
 البستان وهناك كشك صغير قريب من مجرى الماء يسمع منه
 تغريد الطير فاطن ان لو رآه الشيخ لتهنى الاقامة فيه لانه فوق
 ربوة صغيرة ويرى من شبابيكه الطريق السلطاني والزراعين
 بالاراضي المجاورة له فاجابوها لدعوتها واخذ الخواجا بيدها واخذ
 الشيخ بيد ابنه وساروا حتى وصلوا مكانا مستدير الشكل في وسط

حوض ماء فيه نوفرة عظيمة مركبة من صور حيوانات وطيور
والماء يخرج من افواهها في اتجاهات مختلفة واشكال عجيبه فكان
تارة ينزل في دوائر الحوض وتارة يخرج عموديا او منحنيًا
قليلاً بحيث لا يتجاوز سقوطه رءوس الصور القاذفة له فيكون
لصوت الماء عند سقوطه على المعدن الحامل لتلك الصور في
الحوض رنات لطيفة وينشا عن امتزاجها بالاصوات الحاصلة
من اهتزاز الاشجار ومن تغريد الطيور نغمات مطربة فمروا من
جانها فراءوا طريقاً فسلكوه الى علوية مخفوفة بالشجر وعليها قبة
من انضمام اغصان الاشجار وراء اغصان الشجر منتظمة انتظاماً
تاماً وبجافتي الطريق صفين من اشجار الورد وانواع الرياحين
كالفل والياسمين وكل ماله رائحة طيبة مرتبة ترتيباً حسناً بحيث
لا يحجب نوع ما وراءه بل كل نوع خلف ما هو دونه وراءه
اغصان الفل والياسمين ملتفة على اغصان الاشجار ممتدة معاً
في دوائر القبة كأنها مصنوعة بيد مصور ومن نفوذ الاشعة
الشمسية في خلالها رسمت صورتها على ارض الطريق ثم جات
صاحبة البيت فسلمت على الشيخ وابنه وقالت للشيخ باللغة
الفرنساوية على ما ترجمه له الخواجا ما معناه ارجوك ألا تؤاخذني
في عدم مصاحبتك لك فان أكبر عذري جهلي باللغة العربية فقبل
الشيخ عذرها واطنب في الثناء على زوجها ثم قال وضع هذا
البستان على هذه الصورة الفاتنة في حسن الرونق والبهجة يتنضي

شدة الاعناء به وزيادة الانفات اليه وصرف اموال جسيمة فترجوا
 لها ما قاله فقالت ان زوجي لا يكتفي بخدمة الخدّمة بل يتولى
 الخدمة فيه بنفسه وكلما يسمع بنباتة ليست فيه بادر الى جلبها اليه
 بدون النفات الى كثرة ما يصرفه عليها واكثر اوقاته مصروفة
 في ذلك خصوصاً معرفة خواصها وكثيراً ما سافر الى بلاد بعيدة
 وقطع جبلاً وادية وبحاراً للاطلاع على ما فيها من النبات
 والاشجار وامتحانها لمعرفة خواصها ويعرف طرق ترتيبها وحفظها
 وهو الذي رتب هذا البستان وزرع ما فيه من انواع النباتات وليس
 هنا نباتة الا وعليها ثمرة ولها قيد بدفتر النبات عنده وفي دروسه
 التي يلقيها للنامذة في كل اسبوع يبين لهم ما يتعلق بالنبات وان
 كان لبعضه خواص بينها لهم كالنباتات الطبية والعطرية وغير
 ذلك وخلف هذا المكان محل التجربة والامتحان واماكن معدة
 للتدريس وخزانة كتب

فقال الشيخ قد اودع الله في النبات من العجائب والاسرار
 ما يبهّر اولي الابصار ولا يبعد ان المعلوم منها الان اقل من المجهول
 ثم ان كثيراً من النبات بعد زمن يزول وينبت غيره من غير جنسه
 فلم يقبض الخالق لهذه النباتات من يشتغل بالكشف عن اسرارها
 ويبين فوائدها وينشرها حرمت الخلق من تلك الفوائد ولقيت
 اسرارها مجهولة مع انها هي المعينة لنا على اعمالنا برّاً وبحراً اذ منها
 اقواتنا وبها يعالج ما اخل من ابداننا وفيها ما تتعش بشمه اواحنا

فحزى الله عنا المشتغلين خيراً اذ لولا هم ما عرف النافع من الضار ولا
 البارد من الحار . فقال الخواجا من تأمل رأى انه ما من شيء الا وتعتبره
 احوال غير متناهية ففي السماء تحدث سحابات وتظهر نجوم مختلفة
 وفي الارض تظهر نباتات وحيوانات كذلك ولا شيء مما نراه اولاً
 نراه الا وفيه شيء من سر الحياة ففي البعض تكون ظاهرة تدل
 عليها حركة الاعضاء وتنقل الجسم ونحوه وفي البعض تكون كامنة
 خفية فلا ندركها فالحياة في الحيوان امر وقف عنده علم الانسان
 وكذلك في النباتات وكما ان بعض الحيوانات يظهر في بعض
 الفصول ثم يزول ولا يظهر الا في ميعاده وبعضها يظهر في الظلمة
 ولا يهوى النور وبعضها على عكس ذلك فكذلك النباتات بعضها
 يخرج زهره في وقت معين دون غيره وكثير منها في هذا الوقت
 نفسه اما ان يتجرد من ورقه او يبس عوده ولا يعود لحالته الاولى
 الا في السنة القابلة مع الانتظام

ومن هنا رأى بلين الروماني ان يرتب الاشهر والفصول على
 حسب تزهر النبات ولكن لم يتم هذا المشروع الا في زماننا هذا
 بواسطة بعض العلماء وبملاحظته اتضح له ايضاً ان لكل اربعة
 انواع من الازهار ساعة معينة تنفتح فيها ولا نتعدها وبعض
 المتوحشين القاطنين بالبراري الشاسعة لا يعلمون الوقت الا من
 الزهور فيوزعون اعالمهم على حسب ذلك وبعض النبات لا يتفتح
 زهره الا بمجاذب من الحوادث مثلاً التوقحان اذا احس بتزول

المطر انضمت اكام الزهر عليه انضماماً جيداً ليحفظ نفسه منه وبعض
النبات لا يهوى الشمس مثل النباتة المعروفة بالبقلة اليهوديه
وتسميها الفرنج لترن وتنبت بارض السيريا فانها اذا احست
بالشمس انضمت اكامها ضمماً جيداً حفظاً للزهر من الشمس ولا
ينفتح الا اذا اظلم الجو وتغطت السماء بالسحاب وما يزداد تعجب
الانسان منه ان هذه النباتات بانواعها وهذه الاشجار مع غلظها
وارتفاعها اصلها خلايا صغيرة نامية وفي داخلها حويصلات صغيرة
بحيث لا ترى الا بالنظارة المعظمة وهذه الحويصلات عبارة عن
فقايع دقيقة كروية الشكل ثم من تأثير بعضها على بعض تكبر
وتنمو فتصير اجساماً ذات اسطحه متعددة بعد ان كانت كروية
ولا ترى بالبصر لصغرها لكن قوة الحياة فيها عظيمة بحيث انها تزداد
في اقرب وقت زيادة عظيمة فينشأ عنها الياف النبات والجرع
والغصون والاوراق وبواسطة النظارة المعظمة وجدوا داخل الخلية
الواحدة مع دفتها جدور اجسام من مواد مختلفة وشاهدوا في
الورق حباً كثيراً ومن الوانه اخذت الاوراق الوانه وبعض
الطبيعيين رأى في بعض النبات المائي حيوانات كالذروفي المنسوج
المخلوي يشاهد غالباً دقيق كالذي يستخرج من الحنطة وهذا الدقيق
يكون في جميع اجزاء النبات سواء كانت جدوراً او غصوناً او فاكهة
وسكان جزيرة تايقي يصنعون الخبز من فاكهة تخرج في
جزيرتهم فياخذونها ويحبسونها على النار ثم ياكلونها

فيجدون طعاما كطعم الخبز ولذا تسمى السياحون هذه الشجرة شجرة الخبز ويصل وزن الواحدة منها الى اقة مصرية بل انتين وثلاث وكثير من جزائر المحيط كجزيرة جافا وجزائر الملوك وجزيرة بندا وغيرها من الجزائر اكثر غذاء اهلها من جزع شجر يزرعونه في جزائرهم فمتى بلغ عمره خمسة عشر عاما قطعوه واخذوا منه بواسطة مغارف يغرفونه بها ثم يضعونه في حياض منحوتة من هذه الاشجار ثم يسدون اطرافها بمادة ليفية فاذا امتلأ الحوض من المادة المستخرجة من الخ اضافوا عليه ماء وقلبه حتى يمتزج الماء بالدقيق الموجود مع الخ ويمر من المادة اللينة فينزل في حوض اخر فيفعل به ما فعل بالاول ويتلقي في حوض غيره فاذا عرف ان مادة الخ تخلصت من جميع دقيقتها واجتمعت في الحوض الاخير مع الماء تركت فيه لترسب ثم يصفى الماء من فوقها ويؤخذ الدقيق طريا ويحفظ في اوعية تصنع في الحال من اوراق هذه الشجرة يسع الوعاء الواحد منها من احد عشر كيلو غرام الى اربعة عشر ولا يتركون الاوعية الى ان تجف خوفا من تلف ما فيها ومع ذلك فيغمسونها في الماء مرة بعد مرة واهل جهات الاوسترالي يعرفون جدور نباتات يتعاطونها فتقوم عندهم مقام الخبز ويخزنونها للقوت

فقلت صاحبة البيت ما من يوم الا ويذكر لي زوجي في بعض مسامراته احوالا جديدة للنبات مستفادة من استكشافات اهل هذا العصر من العلماء والسياحين الذين جابوا الارض

وان رأيتم الفرجة على المدرسة ومحل التجربة فما انا مستعدة لخدمتكم
وان رأيتم ان تنظروا باقي البستان الى ان يحضر الخواجا ويرىكم
بنفسه فلا باس

فقال الشيخ الرأي ما تريته واهما تختارين فهو الموافق واني
لاحب الاطلاع على الجهتين وفي وجودي بين جهابذة الفن مثلكم
فرصة لا بد من ان انتهزها واغترف من مجور علمكم الغزيرة ما
تتغش به روعي من الفوائد الكثيرة التي منها معرفة الحكم التي
اودعها سبحانه في عالم النبات فان هذه المعلومات من نتائج هذا
العصر السعيد الذي هو في اتساع دائرة المعارف البشرية فريد وما
ذكر من ذلك في كتب الاقدمين يوجد منتشراً في الكتب العربية
فضلاً عن كونه قليل الجدوى لقلته على انه لم تثبت صحة نقله
خصوصاً وان يد الجهل اضافت اليه خرافات كثيرة

فقال الخواجا الرأي المناسب ان نطوف في ارجاء البستان ونختار
منه الجهة التي بها المشمومات فان في ذلك مناسبة للستات فتبسمت
ثم قالت هذا هو الراي الحسن ولكن من الواجب اتباع راي الشيخ
فقال الراي ما رآه الخواجا فان النفس الى الروائح الزكية اميل
فساروا قليلاً ثم وقف الخواجا حذاء خطوط الورد وقال قد
جمع المعلم هنا كثيراً من مالوف النباتات ثم مد يده وقطف وردة
وناولها اياها فطلبها منه ان يتكلم على بعض الازهار ليجمعها بين اللذة
والفائدة فقال لا باس بذلك والاحسن ان نبدأ بالورد لانه

هو الذي بايدينا فنقول الورد انواع منه ما يزرع بالبلاد الحارة كالبلاد التي بساحل البحر الابيض من اوروبا وافريقيا وهذا النوع هو الذي يستخرج منه ماء الورد وعطره الذي تالفه الغيد والستات في جميع بقاع الارض ومنه هذه الوردة التي تراها بيضاء وزهرتها قليلة الورق وفي نهاية كل ورقة جزء اصفر فقد منحها الله كثرة العطر بدل ما تقص من ورقها وجعل نوعها افضل الانواع ولذا تختار في استخراج عطر الورد واما اصلها فمن بلاد المشرق وقد اهدت الينا جبال القوقاز هذه الشجرة العظيمة المسماة بالورد المثني لكثرة ورق زهرته واما هذا الورد السباعوي الذي لا يتقطع زهره صيفاً ولا شتاءً فاصله من دمشق الشام ومنذ ثلثمائة عام اخذنا من بلاد المشرق هذا الورد المسكي وادخلناه في ضمن الازهار التي تحلى بها بسايتنا وهذا النوع يكبر كبراً زائداً في جهة تونس حتى يبلغ عشرة امتار وبالفنن في زرع الورد ظهر نوع يعرف بالورد المجوز وبلي هذا النوع شجر البنفسج وهو اوروباوي الاصل ويوجد في الغابات تحت ظل الاشجار وزهره وان كان عزيزاً الا انه لا يتجرد من عطره وقد تعسر عليهم هنا استخراج عطره كما استخرجوا عطر الورد والياسمين وتبتدئ للسائر روائح ازهاره الزكية ويعطر الياسمين والمحدثق من اول شهر فبراير ويستمر يهدي البنات طيبات انفاسه الزكية مدة شهر مارس وابريل ثم اشار الى شجر الياسمين وقال

واما هذا النوع فلم يوجد باوروبا الا في القرن السادس
واصله من الجهات الحارة الواقعة فيما بين المدارين وهو نوعان
بحري وطبري فكبر زهره ولطف لونه الابيض الوردي واستطالة
شكله السنبل وتجمع ازهاره وحمله حمله فوق ساق وحيد وذبوله
التدريجي المتعاقب الذي يبقى لنا التمتع باستنشاق ريحه الطيب
عدة اسابيع كل ذلك جعل هذا النوع الطبري فائقا على ما حوله
من الازهار واختارته ايدي الحسان على غيره ثم اشار الى نوع
اخر منه وقال

واما هذه الشجرة ذات الوريقات البيضاء الخمسة التي يعطر
الجوشداها فقد نقلها الاوروباويون من اسيا الكثيرة العطريات
فزرعوها باراضهم واستخرجوا دهنها واكثر الموجود منها في
التجارة يستخرج من الياسين الزنبقي او العربي وهو كثير بالهند ثم
ان احدى السيدات مدت يدها الى شجرة قصيرة ذات وبر شوكي
ولها زهر مجتمع اجتماعا لطيفا ورائحة تشبه رائحة الفانيليا وقطفت
منها زهرة وناولتها للشيخ فرأى لها رائحة زكية وكان لم يسبق له
رؤيتها فسال الخواجا عنها فقال له هذه النباتة غريبة واصلها من
البيرو من بلاد الامريكا واسمها في بلادنا الهليوطروب وفسرها في
القاموس بدوار الشمس والصغيرة من هذا النوع تسمى عندنا
تنوم بمثناة فوقية فنون ثم واوفيم والكبيرة منه تسمى صامر يوما وعلى
ورقها من الجهتين وبر والوبر الذي على الجهة العليا اقصر واحد

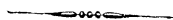
وازهارة الصغيرة متجمعة فوق الساق في هيئة صلبة ولونها ازرق
سجاي وكل زهرة على حدة فوق ساق بمفردها ويتكون عن المجموع
فوق الساق الاصلي شكل كالمظلة بهج المنظر تتميز به هذه النباتة
عن غيرها وياوروبا من هذا النوع ما ينبت بنفسه الا ان زهره
ابيض قليل الرائحة

ثم التفت الخواجا الى نبات اخر وقال ومن هذا النوع الذي
نسمونه في بلادكم بالنفاح يستخرج بالتقطير من ازهاره البنفسجية
اللون المشكلة في شكل السنبلة في اخر الغصون ماء شديد زكاء
الرائحة في مبداء امره ويقل ذلك تدريجاً بالملكث وطعمه حريف
ولكن اذا اضيف اليه ماء وشرب فانه يترك في الفم رطوبة خاصة
به والمشهور ان النفاح الفلفلي هذا ورد البنا من بلاد الانكليز
وهو كثير بالبساتين

ثم قال وهذا النوع الذي نسمونه في مصر بالسنبيل والخزامى
ونحن نسميه ثوند اصله موجود من قديم الزمن في الجهة الجنوبية
من ارض فرانسا ويقال ان له ميلاً الى الحمر وهو نبات عطري
طيب الرائحة الى الغاية وفيه حدة ومرارة قليلة وفروعه مستطيلة
مخيفة مربعة بيضاء مزينة في اسفلها بالاوراق وفي اعلاها بالازهار
الصغيرة البنفسجية اللون ويكون في اعلا تلك الازهار اوراق
خضراء

ثم نظر الى نبت فروعه كأنها ذر عليها من تراب الافران

وقال هذه النبتة هي التي تسمونها السعتر ونحن نسميها الثن ولها
 فروع دقيقة مستديرة مجتمعة باوراق صغيرة منضمة اطرافها الى جهة
 اسفل وفي اعلاها نقط ولون اسفلها ابيض وزهرها في اخر السيقان
 على هيئة سنبله دقيقة ومنه البنفسجي والابيض ويستخرج منه ماء
 السعتر وينبت بكثرة في سفح الجبال فيعطر سماها وبطيّب هواها



فهرس

الحزء الرابع
من كتاب
علم الدين

صفحة	المسامرة	في
١١٥٣	٩٧	الجمعية المشرقية
١١٨٠	٩٨	البركة في الحركة
١٠١٠	٩٩	أه مكليزي والنياترو والكتاب
١٢١٦	١٠٠	الجغرافية
١٢٣٥	١٠١	نزهة في ماريس
١٢٤١	١٠٢	فتنة حكاية بمقرب واخيه
١٢٥٣	١٠٣	البورصة
١٢٦٢	١٠٤	بيت الكتاب
١٢٧٣	١٠٥	قصه
١٢٩٥	١٠٦	البائكات واوراق المعاملة
١٤١٨	١٠٧	الهوام والدواب
١٠٢٦	١٠٨	الجراد

صفحة	المسامرة	في
١٢٢.	١٠٩	بور الغاز
١٢٤٧	١١٠	السلف، والخلف في الاسلام
١٢٥٢	١١١	الفار
١٢٥٧	١١٢	المستشفى
١٢٦.	١١٣	التبغ
١٢٧٥	١١٤	البنّ
١٢٨.	١١٥	الانهر
١٢٩٢	١١٦	الاحجار الكريمة
١٤٠٠	١١٧	الهواء والماء
١٤٢٦	١١٨	فسحة خارج باريس
١٤٤٤	١١٩	القطن
١٤٦٢	١٢٠	الثمار
١٤٦٤	١٢١	العنب
١٤٦٧	١٢٢	شراب التفاح والكمثرى
١٤٦٩	١٢٣	الكحول
١٤٧٢	١٢٤	البوزة او (البيرا)
١٤٧٥	١٢٥	الاشجار والزهور

